

عابرة سبيل هائمة

گهلاویژ

كهلويتر

عابرة سبيل هائمة

(قصة طويلة)

ترجمة : عبد الكريم شيخاني

اسم الكتاب : عابرة سبيل هائمة

ترجمة : عبد الكريم شيخاني

اسم المؤلف : كه لاويتر صالح فتاح

عدد النسخ : (١٠٠٠) نسخة

السنة الطبع: طبعة جديدة/ السليمانية/ ٢٠١٨

بخطوات اشبه بالركض و هي تلهث مسرعة، حشرت نفسها في حشود الناس الواقفة في محطة القطار.

كان قلبها يخفق بشكلحتى كانه كان يبغى شق صدرها و الانطلاق خارجا. بيد و أنامل متخدرة مرتعشة كانت قد لفت العباة حول جسدها المنهك و أمسكت بها بشكل محكم كأن العباة كانت تمثل اهلها جميعا و هي تتستر خلفها و في ظلها لتحميها.

من فتحة عبااتها ، نظرت بطرف عينها وجلة خائفة و التفتت متفرسة فيما حولها و شعرت بنوع من الارتياح حين وجدت أنه ليس ثمة أحد ممن كانوا يتبعونها.

تنفست (وهنهوشه) تنفسا عميقا ولحقت مسرعة بالقطار و القت بنفسها في احدى الحافلات و ادارت نظرها مضطربة في المكان و جلست بجانب امراة متقدمة في السن تلبس الملابس الكوردية. كان العرق البارد يتصبب من جسمها، و تحول لونها الى لون السفرجل في صفته.

تذكرت (وةنقوشة) كيف انها جلست دون استئذان و بغير أن تسأل المرأة فيما اذا كان هذا المكان ، الذي ارتمت عليه و جلست يخصص أحدا؟ لذا فانها قامت من

المكان و ادارت وجهها الى المرأة و قالت بمسكنة و بتلعثم: اعذريني ايتها العمة العزيزة اذ جلست دون استئذان .. الم اكن سببا للمزاحمة و الازعاج؟ الا يخص هذا المكان شخصا اخر؟ مدت المرأة يدها الى اكياسها و صرت جامعة اياها و سحبت حواشي ملابسها الى الاعلى و الى طرف الشباك قائلة: كلا، كلا، مرحبا بك يا ابنتي..أأني لجد مغتبطة..ورحبت بها عدة مرات معربة عن فرحها و سرورها. وردت (وهنهوشه) متممة نصف واعية و عاودت الجلوس. كانت الحافلة (الفارغون) على وشك الامتلاء بالمسافرين و ارتفع الضجيج و الجلبة و كان الناس يتدافعون. فكان أحدهم منشغلا بكيسه و صرته حقييته، و اخر يعبر عن سأمه بشأن عدم توفر المكان، و اخرى كان طفلها يبكي، و شخص اخر في ذلك الطرف على وشك احداث شجار على المكان.

و لكن (وهنهوشه) لم يكن لها شأن بكل هؤلاء سوى أن ترفع يديها بالدعاء بأن يتحرك القطار بأسرع ما يمكن و يجري، و أن يبعدها عن هذا المكان و الى الابد. امتلأت الحافلة بالناس و استقر كل في مكانه. اختلط السعال و دخان السكائر و صفير القطار.. و في الصفير الثالث تحرك القطار و بدا دويه بالبروز، و مر على مهل و تدريجياً امام المودعين الذين كان بعضهم يبكي و بعضهم كانوا يلوحون بأيديهم لاقاربهم و معارفهم الذين اخذهم القطار و سار تاركا اياهم بقلوب معصورة و عيون دامعة.

المرأة الجالسة بجانب (وهنهوشه) سرعان مامتت يدها الى الزنبيل الموضوع امامها و اخرجت بعض (الكليجة) و الفواكه و القتها في حضن (وهنهوشه) قائلة ببسمة حلوة: ها قد تحرك القطار و نحن ينبغي أن نأكل شيئا، هيا حبيبتي تناولي أنت ايضا هذه الاشياء و لكزته برقة و هدوء قائلة: اثناء السفر و في الطريق احب الاكل كثيرا و ترينني في السيارة و في القطار يتحرك فمي بالاكل و مضغ الطعام.

ضغطت (وثةنقوشة) على نفسها لتظهر البشاشة على الاقل اكراما لهذه المرآة الطيبة و أن تجيب على كلامها، لذا قالت و بسمه و اهنة تعلقو ثغرها : أشكرك جزيل الشكر عمتي العزيزة. نحن لازلنا في اماكننا، على الاقل فلنبتعد عن المدينة.

كانت العمة منشغلة بتناول كيس اخر حيث اخرجت قليلا من حبة الرقي و اشياء أخرى و وضعتها في كيس صغير من الورق و القتها هي الاخرى في حضان (وثةنقوشة) قائلة : هيا حبيبتي تناولي هذه وتسلي.

و لكن اين (وثةنقوشة) و التفكير في الاكل ، و أنى لها أن تفكر في الجوع و العطش؟! كانت تضحك في سرها و تقول: اه ، ايتها العمة العزيزة تقدمين لي الطعام و الفواكه؟ لو تعلمين ما أنا فيه و كم أنا هائمة؟! و لكن لم يكن لها مناص ، و نظرا لتوسلات العمة القت الادوية و هم يكرهونها على تجرعها. خرج القطار من المدينة و اخذ يزيد من سرعته ، و بدأ صوت صرير عجلاته و صفيره و الدخان يتداخل بعضه ببعض و تعكس صداه في هذه السهول و البراري. مع طول الوقت ، كان القطار يبتعد ، و كانت (وثةنقوشة) تبدو اكثر امنا و اطمئنانا و شعورها بالخوف بدأ يتضاءل.

و بعد فترة اخذ القطار يبطن في سيره ، و من بعيد ظهر وميض بعض المصابيح ، و يبدو انهم وصلوا الى احدى المحطات.. رويدا ، رويدا توقف القطار. ترجل شخص او شخصان بدا أنهما قرويان ، و صعد اخرون ، بيد ان القطار توقف لعدة دقائق فقط و سرعان ما اخذ بالتحرك. يبدو أن هذه المحطة كانت من المحطات القريبة و الصغيرة . نقلت العمة ، (وثةنقوشة) الى جانب النافذة ، و أنتقلت هي الى مكانها قائلة : يمر الناس ، و حتى لا يحتكوا بك ، فلأجلس أنا من الطرف الاخر.

و تحرك القطار مرة أخرى و اخذ يزيد من سرعته ، و بعد فترة خيم الصمت على الناس و تمايلت اعناق بعضهم و استغرقوا في النوم بينما اخذ البعض الاخر بالتحدث مع بعضهم البعض.

الصقت (وةنقوشة)، بائسة حزينة ، رأسها بنافاذة الحافلة و لفت عباؤها حول جسمه لفا محكما و اغمضت عينيها النجلالوين الحزينتين مصطنعة النوم ، و خاصة بعد أن ركنت العمة الى السكوت .

كانت (وهنهوشه) كأنها في غيبوبة و استيقظت من غفوتها ، استردت وضعها و فكرت في ما هي فيه :

_ حسنا ، و لكن الى اين ذاهبة أنا الان ؟ اية بغداد ؟ ثم هل أنني أستطيع أن اتكلم كلمتين باللغة العربية ؟ و حتى لو تعلمت التحدث بالعربية ، فأين فتاة مثلي في السابعة عشرة او ثامنة عشرة لا اعرف أحدا ، و لا أعرف اي سبيل سأسلكه ، الى اين أنا ذاهبة ؟

_ حقيقة ، لماذا اصابني الجنون بهذا الشكل .. ليت رقبتني كانت قت قصمت و لم اكن قد فعلت هذا . كانت كركوك افضل ، فرما كنت اعرف أحدا او احصل على أحد المعارف او الاقارب .. ما هذا الذي فعلته بنفسني .. رباه ، ماذا يمكنني أن افعل ؟

مرة أخرى استبد الخوف ب(وةنقوشة) و مدت يدها تحت العباءة و مسحت دموعها ، غير انها ابدت ندمها و قالت في نفسها : فليحدث لي ما يحدث ، اذ أن ذلك احب الي من أن اقع بين براثن هذا الوحشي القذر السئ الخلق. ياترى الايمكنني أن احصل على شخص من بين كل هؤلاء الناس يحمل ذرة من الضمير و الشفقة و الرحمة في قلبه ؟ و من هي هذه المرأة الطيبة ؟ سوف اروي لها الان كل شيء .. بالله انها تبدو امرأة محترمة.

_ لا ، لا لا أتجراً على ذلك . من يقول انها سوف تصدقني و لا يدور في
خلدها انني واحدة ايضا من تلك الفتيات التافهات المحطمت كل القيم . ثم
من يقول انها سوف ترضى أن اكون سبب بلاء لها ، و الله وحده يعلم ، هل
لهذه الامرأة اولاد ؟ ثم من الذي يقول أن ابناؤها و بناتها يرضون .. ما هذه
الاقوال ؟ أو من يقول أن هذه العمه سوف لا تخدعني فيما بعد ؟ او انها تقربني
بالكلام المعسول و يا روعي يا روعي ، ثم من يقول انها لا توقعني في مأزق ؟
_ لا ، بالله لا اصدق أن يصدر عن هذه النفس و المظهر الملائكي سوى
الانسانية و الاعمال الحسنه.

اعتقد أنني كنت محظوظة أن صادفت هذه المرأة الطيبة . كان لمرأ حسنا حيث لم
اذهب الى حافلة أخرى . ألم تنظري اليها كيف فتحت لي حضنها و اظهرت لي
محبته .

لقد تقاذف الخيال ب(وثةقوشة) .. فكانت تقوي قلبها حيناً و تقول، لقد احسنت
صنعا حين جئت ، و حيناً اخر كانت تشعر بالخدر و تصاب بالحفقان حين تتذكر
أنهم سوف يصلون الى بغداد بعد مدة ، فماذا يمكنها أن تفعل بعد ذلك .. لماذا
لم تجد حلا اخر لنفسها . أن سفرها هذا و ذهابها الى بغداد بالقطار كان حماقة و
تهوراً و سوء تدبير.

استمر القطار فترة طويلة على سرعتها هذه ، و كان الصمت قد اطبق على
معظم المسافرين . قلل القطار مرة أخرى من سرعتة و ظهرت المصابيح
الكهربائية و توقف القطار تدريجياً. أنتشر الهرج و المرج بين المسافرين ، فقام
البعض و هياًوا أنفسهم للترجل من القطار ، بينما صعد البعض منهم حاملين
الحقائب ، و استيقظت العمه من النوم و قرأت الشهادتين و التفتت الى
(وثةقوشة) و قالت لها بصوت مبحوح يبدو فيه النعاس بوضوح ، و هي تقرب
رأسها منها كأم رؤوم : ها يا روعي الحمد لله أنت ايضا نمت . و اكملت حديثها

ببسمه حلوة قائلة : و لكن بين كل هذه المجموع و أنت جلسة ، كيف يتأتي للمرء أن يغفو قليلا ؟ حرام ، بسبب صراخ و سعال هذا الطفل و بكائه ، لم يعرف النوم الى عيني سبيلا .

قالت (وثةوشة) في نفسها : ايتها المعة العزيزة ، لم تكوني على بينة من وضعي . لقد نمت نوما جيدا . الويل لي ، كيف يعرف النوم الى عيني سبيلا . و لكن سلمت ايتها العمة العزيزة و لتكونين في احسن صحة ، فها نحن قد مررنا بمحطتين و أنت تغطين في النوم و تشخرين و تقولين أنني لم أنم .

فجأة ، شعرت (وثةوشة) بخدر يسري في جسمها و خفق قلبها وجف حلقها و اصابت الرجفة ركبتيها حين شاهدت أحدهم بملايس الشرطة دخل الغرفة و في غمضة عين مر في خيالها بأن هذا الشرطي قادم و يفتش الحافلات و يبحث عنها و من يدري بأن هذا الوحشي المنحط ليس في إحدى الحافلات الاخرى و من يعلم بأنه لا يبحث عنها . رغم انها حين نزلت من الباص شاهدت ذلك الساقط هو و من هم حوله يتجهون نحو باب سيارتهم ، و لكنها لم تتيقن فيما اذا كانوا قد ذهبوا او عادوا الى محطة القطار .

لفت (وثةوشة) مضطربة العباءة حول نفسها و قالت و هي تتمتم : من يعلم بأنه لم يلحظني و لم يعد الى محطة القطار ، ليس ذلك بعيدا . رياه ماذا افعل و اخذت تتدب حظها . قطعت العمة خيالها و قالت : فديتك اخرجي البطاقة ، فهذا مفتش القطار يدقق في البطاقات .

أوشكت (وثةوشة) أن تلقي بنفسها على ايدي و قدمي العمة ، و كادت أن تصاب بالاغماء فرحا ، لذا فانها و هي ترتعش و ببسمة اشبه من بسمة الميت مدت يدها بسرعة الى جيبها و قالت بهدوء : طيب ، على عيني ، ها هي البطاقة .. اماه ، زاغت عينايا ظننته شرطيا كان العمة منهمكة و بتؤودة في

اخراج بطاقتها و قالت هامسة : ويلاه ، ماتت عمته ، أنت الاخرى تشعرين بالاضطراب لدى رؤية الشرطة .. خطفهم الموت ، لاتدريين كم أنا اكرههم .
تحرك القطار مرة أخرى .. و كان الليل متأخرا و هدأت أصوات المسافرين و صراخهم و أن من كانوا قريبين منها يعلو شخيرهم .

لم تكن الرجفة التي اصابت (وةنقوشة) قد زالت حين شاهدت مفتش القطار المدقق في البطاقة و الذي حسبته شرطيا . رغم انها كانت تقوي نفسها لتكون قادرة على التحدث مع العمه و ترد عليها ، غير انها لم تستطع اخفاء طقطقة اسنانها . و اصاحت العمه بسمعها و سمعت فجأة صوتاً يشبه طقطقة الاسنان ، فضربت على صدرها بحرص و لهفة و تناولت حقيبتها قائلة : لا ماتت امك .. هل تشعرين بالبرد ؟ بالله تصدقين ، أنا الاخرى ارتعش و تكاد الرجفة تنتابني ، و خاصة أن الليل صحو ، لذا فإنه بارد جدا ، و التفتت العمه الى النافذة قائلة : و خاصة في هذه الصحاري و السهول .

اخرجت العمه سترة صوفية سميكة و التفتت الى (وةنقوشة) و هي تقول : هيا البسيها ، لماذا لم تتكلمي قبل الان .. انها سترة بنتي (شقويو) ارسلتها الى اختها كهدية و أخذها اليها ، قالت العمه و هي تريد تشويقها على ارتدائها : بالله انها جديدة و لم يلبسها أحد .

شكرتها (وةنقوشة) شكرا جزيلاً و كانت على وشك أن تقول كيف و ماذا ، و لكن العمه لم تنتظرها و وقفت قائمة و اتخذت من عباءتها كستارة و قالت باسمه ، بالله يا ابنتي ليس من أحد مستيقظاً و ليس ثمة من يرأنا ، قومي .

اضطرت (وةنقوشة) أن تطيعها و اخذت تزيح العباة عن نفسها على مهل و شعرت في ارتداء السترة .. و لكن ماذا وجدت العمه ؟ اصيبت العمه بالدهشة البالغة و لم يسعها الا أن تقول هامسة ماشاءالله ، جنبك يا ابنتي من عيون السوء .

استغربت العمة من العمل الالهي و كل هذا الجمال الذي كان مخفيا تحت العباءة . اصببت العمة بالوجوم لفترة ، و كامرأة متزنة ذات خبرة عضت على شففتها و استغرقت في التفكير ثم بعد أن لفت عي الاخرى راسها بذريعة الاخلاذ الى النوم :

_ رباہ ، ماهذه الفتاة الجميلة ؟ فمنذ جلست بجانبني لم اسمع صوتها تماما . كل هذا الصمت و الارتجاف ؟ لا ملابس معها و لا حقيبة ، و لا كيس ؟ كل هذا الضطراب لدى رؤيتها الشرطة .. ماذا يمكن أن تكون ؟ لابد أن شيئا ما موجود .. يا ترى ..؟

كلا ، انها تبدو محترمة .. و لكن لم كل هذا الملح ؟ لابد انها قامت بعمل ما ؟ و لكن من يقول انها لا تصطنع المسكنة و البراعة ، او انها لم ترتكب اثما ؟ التوبة ياربي لا تلمني على هذا .

_ كلا ، لا اصدق ابدا أن يكون السوء نابعا من هذه العيون الجميلة المليئة بالحزن .؟ لا اصدق أن يستطيع المسيئون أن يغيروا أنفسهم هكذا . بقليل من التحدث و المخاطبة تظهر لديهم اشارة أو دليل ما . انها دخلت قلبي منذ النظرة الاولى . اذ يتقطر منها الاحترام و الحياء .

غاصت العمة في بحر الخيال ، و كانت (وثة نقوشة) قد أمالت برقبته و هي تفكر صامتة . كان خياله قد اثير و اصبب دماغها بالجمود ، و كانت اشبه بمن وقع في بحر لاقرار له و لا حدود و لم يبق لها طريق للخلاص.

مرت في خيالها حياتها كشاشة السينما ، منذ الطفولة و كيف اصببت بالمصائب و النكبات و كيف انها لا تتذكر عن امها و ابيها شيئا سوى ما سمعته من الاقارب الذين كانوا يقولون بأن والديها كانا شخصين يتصفان بالطيبة و اللياقة و كانا يمتلكان بيتا جيدا و كانا صاحبي ديوان للضيوف ، و كم كانا يحبانهما ، و كم كانت مدللة و أن الدنيا قد نورت فرحا بولادتها ، و

كيف أنهما في طريقهما الى فرح أحد أقاربهما في القرية تعرضا الى وابل من الاطلاقات خطأ و لقيا مصرعيهما و انها كانت في حضنهما و لم تصب بسوء .
اطلقت (وثةنوشة) آهة هادئة و نزلت الدموع من عينها الجميلتين ، و وضعت يديها بهدوء على بعضهما البعض و شبكت اصابعها بشدة و قالت بأنين صامت : فديتك رباه .. لم أبقيت علي و لماذا لم تقتلني معهما و عرضتني الى كل هذا الشقاء و سوء الحظ ، .. لماذا ، لماذا ؟

خافت (وثةنوشة) أن يطرق صوت بكائها و حشرجتها مسامع العمه ، لذا فأنها كانت تحاول إرغام نفسها على الصمود و الأمتناع عن البكاء . و لكن حينما تذكرت عمته لم تستطع التحمل فاجهشت في البكاء و نزلت دموعها مدرارا على خديها و فكرت في حال تلك العمه حين يعود زوجها و ابن زوجها الى بيت ، يا ترى ماذا فعلا بهذه المسكينه و كيف أنهما صبا جام غضبهما عليها .
مرت عمته امام عينها كيف انها ببسمتها الطاهرة و قلبها الساذج لا تعرف شيئا عن هذه الاموال التي يحصل عليها بشتى صنوف الخداع و النصب و الاحتيال ، لا تعرف شيئا عن كل هذا سوى البقاء ليلا و نهارا في المطبخ بين الدهونات و السمن و أن كل ملذات الدينا لديها تنحصر في ملء بطون اولادها و ارضائهم و ارسال الموائد و الصواني الى غرفة الاستقبال التي يضعها زوجها النصاب امام المقامريرين من معارفه الذين يلعبون القمار و يشربون الخمر من المساء حتى الصباح ، فلا زوجها يعرف ما تتجشمه هذه المسكينه من عناء و تعب و لا هي تعلم بما يقوم به زوجها .

عصر قلب (وثةنوشة) حين فكرت كيف أن عمته لم تكن تسمح أن تبتعد عنها قيد شعرة و كيف انها كانت تنصحها خوفا من ابن زوجها السقط خلقا ، لانها كانت تعرف كم هو سيئ الخلق و الذي كان دوما يركض وراء الخادومات في البيت ، و أن اي واحدة منهن لم تكن تبقي في هذا البيت طويلا خوفا من هذا

الوحشي و أن اسوأهن اخلاقيا لم تكن تمضي في البيت شهرا واحدا من كثر ما كان يعتدي عليهن و يتحرش بهن.

قامت (وثةقوشة) في خيالها بتفقد كل واحد من الذين كانت تعرف بأن زوج عمتها سوف يتهجم عليهم و يتحرش بهم و سيدعي بأنهم قد ساعدوها اي (وثةقوشة) و اخفوها ، او أنهم قد خلصوها و أرسلوها الى أحد الاماكن .

اطلقت (وثةقوشة) آهة هادئة و قالت في نفسها : أنه سوف يصب جام غضبه على الام خورشة المسكينة اكثر من الاخرين . و يعتقد بأن رحيلي هذا قد حدث بتدبير منها .

عصرت (وثةقوشة) يديها و اصابعها و ارتعشت شفتاها بسبب البكاء و قالت متمتمة : كيف لا تحبني ، فهي أمي و هي التي ربتني .. و لكن ماذا يدخل في

دماغ هذا الخبيث ، و هل يعرف معنى الام و هل تدخل الرحمة و الشفقة قلبه ؟! اين للام خورشة أن تعلم بأنني قد اختفيت ، ثم لو كانت تعلم هل كانت تسمح بذلك ؟ و كيف كانت تطلقني هكذا ؟ و الان بعد أن علمت باختفائي ، ربما تقطعت نياط قلبها او انها أنتحرت حزنا و أسفا .

مسحت (وثةقوشة) دموعها بظهر يدها و بأبتسامة كأبتسامتها السابقة ، هزت رأسها تحت عباءتها و هي تقول في نفسها : نعم ، كان البك ينوي أن يقطع مهري عليه يوم الخميس و يتم زفاني الى جنبه .. هكذا و بكل بسهولة ، كأن المدينة لا صاحب لها ! دون أن احب ذلك إكراها و إجبارا و هو كان يعرف كم أحبه ! ماشاء لله !

لملت (وثةقوشة) نفسها ، هذه المرة ، و قالت في نفسها سأصبح خادمة البيوت ، افضل القيام بأسوأ و أوسخ الاعمال من العيش مع هذا الخبيث الوحشي . لم تكن عمتي المسكينة مطلعة على شئ . هل كان من الممكن أن أخبرها بذلك ، كان زوجها يحاول ضربي ، كان الوالد و ابنه يجملان علي .

توقف القطار في محطة أخرى و استيقظ معظم المسافرين . و استيقظت العمة ايضا و أخذت في الحديث مع (وثةقوشة) و هي تروي لها كيف أن طفلا في هذا الطرف بدأ بالبكاء و ايقظ طفلا من الطرف الاخر.

و أنتقلت من الحديث عن الاطفال الى الحديث عن احفادها من أبناء إبتها و إبنها و كم تحبهم ة ماذا يقول أحدهم و كيف يكلمونها . و كان قلب (وثةقوشة) ، كلما مر الوقت ، يصاب بخفقان أشد ، لان العمة قالت مرة او مرتين ، لم يبق أمامنا الكثير و سنصل بغداد ، أنشاءالله ، مع شروق الشمس.

إلتفتت العمة الى (وثةقوشة) و قالت : عزيزتي يقع بيتكم في أية محلة ؟ أن شاء الله يكون قريبا من بيتنا ، قالت العمة ببسمة مفعمة بالاخلاص و الحب :
_ ماذا يمكنني أن أفعل ، أني أفكر فيك منذ الان لا أستطيع أن أفكر في أننا سنفترق الان..لا أدري لم أحببتك هكذا و لم اسبغت عليك حناني كأنني أعرفك منذ زمن.

قالت (وثةقوشة) في قلبها : الويل لي ، أي محلة و أي بيت ؟ لماذا ، هل أعرف أين أولي وجهي ؟ استجمعت (وثةقوشة) قواها و قالت لنفسها : لا حل لي ، فلاقل لها و احدها عن نفسي بمزيد من السرعة .. هذا أنا وحظي و لا اعتقد أن يحدث لي اسوا مما حدث لي في السابق و خاصة أن الله قد القى هذه المראה الطيبة في طريقي.

كان الصبح قد أنبلج ، و كان الناس يهيؤون أنفسهم و يحملون حاجاتهم . كان رجل شاياتي قد دخل الحافلة حاملا القوري و الاستكانات يبيع الشاي و قرص الخبز و البيض المسلوق ، و تجمع حوله عدد من الناس يشتررون منه . و كان قد بقي لدى البعض مأكلمهم الذي قد أتوا به من بيوتهم ، فيشتررون الشاي فقط.

كانت العمة لاتزال مجهشة في البكاء و أن قصة (وثةقوشة) قد اثوت فيها تأثيرا كبيرا و كانت كمریضة تهذي و تكرر تحت شفيتها معبرة عن حبها ل(وثةقوشة)

مواسية اياها ، و تضع يدها على عينيها و تقول : والله سأضعك على عيني هاتين ، لاتفكري في شيء ، فلو تخليت عن ابنتي (شوقيو) لن أتخلى عنك . كانت تقرب فمها من أذنها و تقول لها هامسة : لاتتصوري أنني اتركك..الله حمد ، لي بيتي الخاص بي ..حفظالله الابناء و البنات لانفسهم ..لست محتاجة الى اي واحد منهم .. انتقاضي الراتب التقاعدي لوالد (حمه) زاده الله راحة في قبره ، و لو أن بيتي في السليمانية ، و لكن لي بعض الاعمال ، و بسبب ابنتي التي بيتها في بغداد ، فأحيانا ابقي في السليمانية ، و احيانا أخرى في بغداد . فكيفما يكن الامر ، لا تحملي هما .

توقفت سيارة الاجرة التي تحمل العمه و (وثةنوشة) على رأس زقاق في حي (الحيدر خانه) و نزلت الاثنتان منها .

كانت (وثةنوشة) قد لفت جسدها لفا جيدا حاملة كيسي العمه على كتفها . و كانت العمه تلهث و هي تحمل زنبيللا و حقيبة صغيرة تسير أمام (وثةنوشة) ، و ماأسرع ما ضاعتا في الازقة الملتوية لحي الحيدر خانه.. و بعد فترة من السير ، وقفنا امام أحد البيوت . طرقت العمه الباب و اسرع طفل في حوالي الثانية عشر من العمر و فتح الباب ، و ما أن رأى العمه حتى توجه اليها و أخذها بين ذراعيه متلهفا صائحا امه و أباه بأن المدة قد عادت .

جاءت بنت العمه و زوجها و ابناؤهما مسرعين لأستقبالها حيث أنهم كانوا قد إستيقظوا من النوم مزمعين على تهيئة أنفسهم للذهاب الى المدرسة و اعمالهم الخاصة .

و بعد اجراء التقبيل امام الباب قادوا العمه و (وثةنوشة) بينهم و دخلوا البيت و هم يكررون عبارات الترحيب معبرين عن فرحتهم .

و قالت العمه و هي سائرة في الطريق الى الداخل .. و هذه ابنة خدر ابن عمي الساكن في قره داغ ، و حين علم أنني قد أتيت الى السليمانية ، كان قد حمل

معها (ثقرى) ليزورني ، ثم انها كانت متوكعة قليلا فجلبتها معي لتكون معي فترة من الوقت ثم نعود معا .

أصغت (وثةقوشة) ام الاطفال ذاهلة الى كلام امها و اعادت النظر في (وثةقوشة) و قالت في نفسها : ماذا تقول أمي ؟ أي (ثقرى) و اي ابن عم كلها عدة سنوات و رأيت خلالها ابن عمها . (ثقرى) كيف كبرت هكذا و بهذه السرعة .. و لكن في غمرة فرحتها بمجيئ امها قفزت فوق خيالاتها بأسرع ما يمكن و خاضت بشوق في التحدث و السؤال عن أوضاع الاقارب مع كل سكان المدينة.

اما صهرها ، زوج شقرمن و والد الاطفال فبعد الترحيب الحار بها و توجيه التحيه و السلام اليها ، ذهب الى غرفته لتبديل ملابسه .. و قال في نفسه و هو يرتدي ملابسه ، من اجلك يا رب اي نوع من الفتيات هذه .. و اه ، كم هي جميلة كأنها في الحقيقة حورية ! اين كانت حماتي قد خبأت ابنة العم هذه .. أنتهى الرجل من تبديل ملابسه و عاد للوقوف امام المرأة و أعاد النظر الى نفسه ، ثم بدأ يمشط شعره . و وقف برهة و نظر الى نفسه مرة أخرى و علت البسمة شفتيه و حرك كتفيه و رفع حاجبيه الى الاعلى ، ثم وضع المشط الذي كان في يده جانبا و ذهب متجها الى حيث حماته و الاخرون و أعاد الترحيب بها مجددا و السؤال عن احوالها ، فخرج مع اولاده ليأخذهم الى مدارسهم و يذهب هو الى دائرته و محله . ثم اخذت العمه (وثةقوشة) الى الحمام لغسل أيديهما و وجههما .

اغلقت العمه الباب و قربت رأسها من (وثةقوشة) و قالت لها هامسة : كفي عن ذلك و لتنفرج اساريرك و لتعل البشاشة وجهك لكي لا يقولوا ما هذا ، و لماذا هذه الفتاة حزينة غير مرتاحة . و بأبتسامه حلوة ضربت صدرها و قالت ، سأفديك بروحي ، و بعون الله سوف تنسين كل ما لاقيته من الاتراح و الشقاء . و اثر ذلك بأدرت بتقبيل (وثةقوشة) ، و قامت (وثةقوشة) بتقبيل يدها و قالت خجلة سأظل ، مادمت حية ، خادمة لك ، و تعانقتا .

و طلبت العممة من (وثةنوشة) الاستعجال قائلة : اذهبي أنت و اجلسي ، و بعد أن علمتها على كيفية التصرف.

خرجت (وثةنوشة) من الحمام بعد أن غسلت وجهها و لفت غطاء رأسها حول جيدها و اتجهت الى الغرفة التي كانت معدات الأفطار فيها و نادتها شه رمن بوجه بأسم الى الدخول للغرفة و أنتهزت هذه الفرصة للوصول الى امها لتسألها عن موضوع ابنة العمم هذه التي كانت قد داخلتها الشك ازاءها و لجت شه رمن الحمام في الوقت الذي كانت امها عاكفة على احكام ربط غطاء رأسها و تكرار التشهد ، و اقتربت من امها و قالت لها هامسة و بشيء من الدهشة : اماه .. ماهذه الفتاة ، انها جميلة جدا ، ثم متى كانت ابنة عمك .

ثقرى بهذا الجمال ؟ ماشاء الله ماأسرع أن اصبحت هكذا ، و الله أني لجد حائرة من عمل الله.

قالت امها ببسمة جميلة : كيف يابنتي ، ألا تعلمين أن البنات يكبرن هكذا و بسرعة ، ثم أنك لم تربيهم منذ عدة سنين . كيف أنك نسيت أن ثقرى كانت جميلة و هي طفلة ، و لكن تبدو _ ماشاء الله _ انها نمت و كبرت .. ثم هناك من لا تظهرن في طفولتهن على شئ من الجمال و الملاحظة ، و لكن حين يكبرن يظهر جمالهن و ملاحظتهن و هناك من هي بعكس ذلك.

التفتت الام بلهفة الى ابنتها قائلة : دعي الان هذه الاقوال ، اخبريني عن اخبار العزيز شةمال ، كيف هو .. سأشرب الان استكانا من الشاي و اذهب لازوره .. اكاد اصاب بالجنون هما عليه .. بالله عليك كيف حاله؟

أن شقوغم التي كان موضوع ابنة عم والدتها قد اشغل ذهنها من جهة ، و أذ انها لم تكن تشق قلبيا بكلام والدتها و من جهة أخرى كان الهم قد استبد بها و كانت تحب أن تعرف من هي هذه الفتاة . كما انها من جانت أخر كانت تستاء من أن تدخل فتاة جميلة كهذه بيتها التي تعشقها النساء ، فما بالك بالرجال ،

و خاصة أن زوجها رجل تجلب عروس المطر انتباهه و يميل برأسه اليها ، فما بالك بهذه المليحة؟

أجابت شقرمن على أسئلة والدتها بنوع من الامتعاض و بسرعة . و قالت : أن شةمال على أحسن حال ، و لكنه وقع في بعض التلاسن مع صاحب البيت .. فضربت العمة صدرها بلهفه و قالت :

_ لا قدر الله .. بالله عليك قولي لي .

وكانت شقرمن التي كان خيالها قد اخذ بها كل مأخذ عادت الى نفسها و قالت:

_ طلب صاحب الدار أن يقوم باجراء مناسبة ختان طفله الصغير في تلك الدار ، لانها كما يدعي انها دارهم القديمة و تحظى بنوع من القدسية عنده ، و قام بعملية ختان جميع اطفاله في الدار هذه . فضربت العمة نفسها مرة أخرى قائلة : و لكن بالله عليك كيف ؟ و قالت شقرمن :

ماذا أقول .. أنت تخمني ماذا حدث . اكملت شقرمن حديثها قائلة : لم يجدهم ذلك نفعا ، و أصر صاحب البيت على أن يتم هذا الاحتفال في تلك الدار او أن يذهبوا و يخلوها .

فخشية من أن يطلع صوتهم الى الخارج ، قال :

_ حسنا يا اخي تفضل كما تشاء ، تقوم بأجراء مراسيم احتفال فيها او مناحة لوالدك ، افعل ما يبدو لك . فاضطروا الى جمع الاوراق و الاشياء الاخرى الموجودة و وضعها في غرفة السرداب و اغلقوا عليها الباب .. فتمارض دليير و ظل هناك ، و ذهب شةمال الى بيت أحد معافه و ظل هناك الى أن أنتهت مراسيم الختان.

و أصيبت العمة بالذهول و قالت :

باللّٰه عليك ، هل يمكن أن يحدث مثل هذا العمل .. حولتك أنت و مراسيم
عملية الختان الى اللّٰه ايها الرجل ، و لكن بعيدا عن الطفل الذي لا ذنب له .
ثم اكملت العمة حديثها قائلة :

__ الدكتور حسن ، الم يكن قادرا على قول شئ بهذا الخصوص ، فهو على وفاق
كبير من الرجل صاحب الدار ؟
فهزت شقرا من رأسها و قالت:

__ عجبا ، الاتعلمين أنهم مخافة أن يصدر لهم صوت ، هل كانوا قادرين على
التفوه بشئ؟
فقالت العمة:

و اللّٰه أنك تصديقين . ثم اردفت قائلة : ((و خاصة شخص مثل شةمال فدته
امه . و لكن بقدر علمي ، لا بد أن الرجل قد علم شيئا لذا فإنه يخلق الذرائع
من اجل أن يخلوا الدار ، لانني قبل عودتي الى السليمانية ، صادفني امام
الباب و قال لي : سلم على شةمال افندي و قال له أنني أنوي اجراء بعض
التعميرات في الدار لاجل أن ييحثوا عن دار أخرى ، رغم أنكم أناس طيبون و
أنني احبكم)) .
قالت شقرا من :

__ اظن أنه كان قد أخبر الدكتور حسن ايضا ، و لكنني اعتقد أنهم قد اقنعوه
بالعدول عن قراره . ثم اكملت شقرا من كلامها قائلة :
بعض المرات يقول بأنني اقوم بأجراء تعميرات في الدار ، و يقول احيانا ، يسكن
في الدار شباب عزاب ، و أنا عندي بنات عزباوات .. اين ، أنني لا ارى نساء
او اطفالا سوى شةمال الذي قلما يكون حاضرا في البيت.
علت بسمه وجه شقرا من و قالت :

حين لم تكوني هنا ، ذهبت و أنا و الاطفال و والدهم الى البيت و مكثنا الليل هناك ايضا لعله يصدق و يقول أن هناك عائلة و اطفال يدخلون البيت .
قالت العمه : سأشرب استكانا من الشاي و سأذهب . قالت هذا و خرجت من إبنتها من الحمام . نظرت الام الى ابنته نظرة اشبه بالتوسل و قالت لها :
_ بالله عليك ، خذي بالك من ثغري فهي متوعكة قليلا . فمطت ابنتها شفيتها من تحت ، و كانت غارقة في التفكير في ابنة عم والدتها هذه.
قبل الظهر وصلت العمه الى بيت ولدها ، فتعانقا بلهفة و حرارة ، و سألت العمه بجرارة عن احوال الاولاد و الاخرين.

قال إبنها شتمال ، حللت بألف خير ، في الحقيقة كنت قد جعلت منا يتامى ..
فأنبرى صديقة دلير من مكانه قائلا : يتامى فقط .. قل يتامى و هاثمين . و قال صديقهما الاخر فريدون، مرحبا بك.. متنا من كثر ما أكلنا البيض المسلوق.. فمئذ رحيلك لم نأكل طعاما سوى مرتين.
ضحك شتمال و دلير.. و قال الاخر:

مصائب الدنيا من جهة وكرش هذا الولد من جهة أخرى..
أنظري قبل كل شئ يشكو من عدم تناوه التمن.. واستغرق الجميع في الضحك.
جلست العمه و سحبي الزنبيل و الكيس من أمامها الذي كانت قد جلبته كهدية لهم، التفتت بلهفة و تمهل الى ولدها قائلة : ماتت أمكم يا ولدي ، ماذا كانت قضية الدار ، فقد أصابني هم ثقيل.

قال ابنها شتمال و هو يهز بيده : دعي الموضوع ، أن صاحب الدار يبحث عن الذرائع و يشعر بالخوف. و كان قد اخبر الدكتور حسن بأن صديقك هذا لا يشبه الكسبة و التجار ، فهو يظل جالسا في البيت ، لا زوجة له و لا عائلة ، و قد أخبرتني بأنه صاحب عائلة ، غير أنني لا ارى أحدا سوى هذين الولدين الذين يأتيان و يذهبان و لا أدري ماذا يعملون.

و لكن الدكتور حسن زرع في قلبه الاطمئنان ، و جدد لنا الايجار لمدة ثلاثة اشهر أخرى.

و رحب ابنها مرة أخرى بها و قال : في الحقيقة جئت في الوقت المناسب ، فأنه لو يعلم ذلك سيفرح كثيرا . أنه على حق و الجدار ملاصق للجدار و له بنتان و ثلاث بنات عزباوات جميلات.. و الرجل من عرب العشائر المتعصبين.

في المساء جمعت العمه نفسها قائلة : يجب أن أعود الى بيت شقرمن ، ثم أزوركم ثانية.

قال ابنها بشئ نت الحدة و عدم الراحة : عجبا ، ما اسرع ما جئت و ما اسرع ما تعودين .. فمنذ الصباح و أنا اتحدث عن كل شئ لك و قال الاخر : اي ذهاب .. بالله لا يمكن ذلك ، نحن كنا نتمنى عودتك.

قدمت العمه ذرائع عدة بأنها ينبغي أن تعود . كانت تقول مرة : لم اجلب الملابس ، و تارة أخرى تقول : شقرمن مريضة ، و لكن ذلك لم يجد نفعا ، و قالوا : لا يمكن أن تعودى .. اذهبي غدا و قومي بأكمال هذه الاعمال.

كان خيال العمه كله عند ونةوشة التي تركتها و هي على هذا الحال ، فتاة غريبة و منقيضة الصدر. ياترى مالذي تفعله الان وربما كانت عينها على الطريق دوما، و اذا لم تعد الليلة اليها ، فانها من الممكن أن تظن قادتتها الى هنا و تركها ، ينبغي أن تبقى عندها هذه الليلة ، لعلها تقوم بافهامها قليلا و تعرف شيئا عن راي ابنتها و صهرها . من يقول بأنها لو تركتها عالية عليهما لا تصبح سببا في المتاعب و المشاكل؟! يا رب ، ماذا عليها أن تفعل . وقعت العمه في حيرة، و قالت في نفسها : ماذا تقولين لو اخبرت شةمال بذلك؟ ثم من يقول أنه لا يثير ضجيجا حول الموضوع، و خاصة بالنسبة للاوضاع التي تحيط به. اصيبت العمه بأضطراب بالغ و قالت في نفسها ..أنظري ، لم يكن

اختفاء شة مال كافيا للمتاعب حتى اضيفت اليه وضعية هذه الفتاة المسكينة،
لا ادري اي من المشكلتين أداري و اخفي أيا منهما.

لم يبق لدى العمة حل..و اخيرا طفح الكيل و دعت ابنها الى غرفة أخرى..
بلهفة شديدة اشبه بالتوسل و اخبرته عن وضع وة نقوشة و هي تذرف الدموع.

كان ابنه كمن القى به من أعلى أحد السطوح الى الاسفل و قال مذهولا : هجم
الله بيتك هذا هو المثل يقول : الثعلب لم يكن قادرا على دخول جحره ، فربط به
غصن شجرة . هل هذا عمل قمت به ؟ أن الله وحده يعلم من هي هذه الفتاة و
ماذا هي ..لماذا أنت سريعة الوثوق و صافية النية .. لماذا اوجدت لنفسك هذه
البلية.. و الان ماذا تفعلين بها .. فنحن قد ضاق بنا المكان على سعته.

الم تفكري أن لك أبنا محتفيا عن الانظار و الحكومة تبحث عنه و هي ظمأى بدم
رأسه كما يقولون .. كيف تتقربين من امثال هؤلاء الناس ؟ كانت عيون العمة
اصبحت تحلق في المكان و هي تصغي الى كلام ابنها الذي كان على وشك
الانفعال ، و كانت تعلم أن الظروف التي هو فيها غير مواتية ، أن التنقل كل
يوم من وكر و مدينة و قرية كم اثرت فيه ، و ان عمله المنصب على الكتابة و
اصدار البيانات و الجرائد السرية قد اوقعت حياته في خطر . و رغم أنه لا
يفصح عن ذلك و لا يتكلم مع زملائه إلا بشجاعة و اقدام . و لكن ياترى كم
مرة يصاب بخفقان القلب كلما واجهته حادثة. مثل حادثة صاحب الدار الذي
كان قد اخبرهم بوجود اخلاء الدار ، او حين يرى أحدهم شريطا يمر بالحلة، أو
أن يطرق أحدهم الباب سهوا.

مسحت العمة المسكينة الحزينة عينيها و قالت :

حسنا ، فديتك لا تغلق ، فلاذهب لعلي أجد حلا للمسالة مع وة نقوشة ، أنسد
حلقتها بسبب البكاء و قالت : على الاقل تقوم بعمل ما من الاعمال
المنزلية..فليأخذوها تحت جناحهم في سبيل الله. انها فتاة منكوبة . مدت العمة

يدها و مسحت عينيها بربطة رأسها قائلة : لتمت امها كما ماتت ، أن المرء
يجعل من سيماها ، من قدها و قامتها ..ماذا أقول ، أن جميلة كهذه لا
تستطيع أن تجد مأوى تلتجئ اليه.

قال شةمال ببسمة ساخرة : ماذا ؟ تبقى في بيت شقرمن ؟

و الله شئ جميل ! اظن أنك نسيت شقرمن و زوجها ، هي التي تسيء الظن
بزوجها الى هذا الحد ، و هما في شجار مستمر ، لا تعمل شيئا و تسمح لهذه
الفتاة ، التي هي على هذا القدر من الجمال كما تقولين ، أن تبقى في بيتهم .
غدا يصل الامر بهما الى الطلاق .. و ها أنت قد عملت خيرا ؟

نظرت العمه بمسكنة الى ابنها و قالت :

_ حسنا ما هو الحل ؟ كيف يمكن حل الامر فلأرجع الليلة لیتني اصل الى حل

. قال ولدها واجما : حسنا اذهبي ، قام من مكانه و قال :

لا حول و لا قوة الا بالله . و الله هذه هي الحفلة الاجمل .

كانت وقتوشة المسكينة البائسة قد نكست برأسها و كانت تخجل حتى الذهاب
الى دورة المياه.. كانت قد حشرت نفسها في زاوية من الغرفة و هي مشدودة
العيون بطريق عودة العمه . و كان الاطفال قد عادوا من مدارسهم و شرعوا
يوجهون اليها شتى الاسئلة : من أنت ؟ ما اسمك ؟ من أنت بالنسبة للجدة ؟
لماذا لون شعرك هكذا ؟ لماذا عينك هكذا ؟ هكذا عم الاطفال و اسئلتهم
السادجة البريئة . لم يمض وقت طويل حتى عاد ابو الاطفال الى بيت و هو يحمل
عدة اكياس مليئة بالاكل . وضع الاكياس ، بوجه باسم و بشوش و قال لزوجته
مساء الخير و سلم عليها و عانقها و طبع عدة قبلات على وجهها و خرج من
الغرفة مسرعا و قال :

كنت متلهفا أن اخلص العمل و أعود من اجل عمتي لانني لم ارها صباحا
لانني كنت مستعجلا.

خرجت زوجته وراعه و قالت سخريه دون أن تنظر اليه :

_ والدتي ليست بالبيت ، اذ انها كانت متلهفة على اخي شةمال ، فشريت قدحا من الشاي و ذهبت اليه ، و خاصة حين رويت لها قضية الدار . قالت هذا و سكتت و هي تقول في سرها : صدقتك ، عدت مسرعا من اجل عمته ام من اجل ابنة عمها .. الى حد الان فأن عمته قد ذهبت و جاءت ، فهل عدت مسرعا هكذا ؟ كنت دوما تعود ليلا و أنت تقدم الذرائع عن سبب تأخرك . ذهبت شقرومن و زوجها الى الغرفة التي كانت وةنقوشة و الاطفال فيها.. سلم زوجها عليها و احتضنه الاطفال الصغار.

عانقته ابنته التي كانت حوالي الثانية عشر من عمرها و قالت له بوجه باسم : كم هي جميلة قريبة الجدة هذه ! أني فرحة بأنها جاءت الى بيتنا .. بالله عليك فلتبق هنا ، و الله أني احبها كثيرا. لو كان بيد شقرومن لقطعت لسان ابنتها ، لانها كانت تتحدث عن وةنقوشة بهذا الشكل. و قال والدها في نفسه : اي و الله يا إبنتي تصدقين فأنها جميلة جدا . ألا تعلمين أن أباك كان يعد الدقائق و الساعات حتى يعود الى البيت ؟ ثم قال للاطفال بهزء مشوب بالتهديد :

_ يا اطفال .. اتركوا ثقري خان و شأنها ، لا تؤذوها و لا تلحوا عليها كثيرا و قال في نفسه :

_ اتمنى لو كنت مكانكم .. لكم الحق و أنتم مجتمعون حولها . إضطرب قلب شقرومن و شعرت في قلبها تقوم بالتدابير اذا رجعت أمها ماذا تقول لها . كانت مضطربة و غير مرتاحة .. كانت تؤنب امها .. ما هذا ، و لماذا أتت بهذه البلية لها ، أي قريب و أي شئ؟! و كانت تندم فجأة و تقول : شئ محز ، و لكن ماذا تقول هذه ، هل من المعقول أن تكسر بخاطر امها و تقول لها لماذا جلبت هذه الفتاة معها .. من الممكن الا تزور امها هذا البيت مرة أخرى طيلة حياتها .. أو ماذا تفعل البنت المسكينة ؟ فهي ليست رجلا . و لكن اين امها أن تعرف

ما بقلبها هي التي منذ الدقيقة الاولى التي شاهدت فيها هذه الفتاة كأنها قد سقطت عليها كل بلاء الدنيا .

عادت العمة الى بيت شقرمن بقلب منقبض .. رياه ماذا تفعل بهذه الفتاة المسكينة ؟ اين يذهب بها ؟ هل تتجرأ بأن تضع فتاة بهذا الجمال في أي بيت معين ؟

ورغم أن ابنتها شقرمن استقبلها بجمرة و وجه باسم ، تناولت العباءة منها ، ثم عانقها ، وسالته عن احوال شقمال اخيها ، الا أن نوعا من الوجوم كان باديا على محياها ، و ما أن سمعت وةنقوشة صوت العمة ، كانت كأن ابواب الفردوس قد فتحت لها ، عمت رعشة فرح كل جسمها و امتلات عيناها بالدموع ، و استنشقت نفسا طويلا ، لانها كانت هي الاخرى قد ذهب بها الخيال الف مذهب .. كانت وةنقوشة خائفة تمام الخوف ، و أن عددا من الاحتمالات ((ياترى)) قد شوشت عليها فكرها و نفسها و حين ابصرت العمة هرعت اليها و لفت يديها الباردتين الواهنتين حول عنقها و أخفت رأسها بين صدر و جوانب جيد العمة ، كانها كانت تريد أن تبقى دموعها و تنهداتها ضائعة بين غطاء رأس العمة و صدرها .

لم تبق في يد العمة حيلة سوى أن تظهر السرور و البشاشة و اخذ حفتها يشبعونها تقبيلا و فتح صهرها لها ذراعيه بوجه باسم و شرع في السؤال عن اوضاع شقمال . اراد صهرها رواية النكت و الاقوال الماثورة و اراد بذلك اضحاك الحاضرين و التفت الى حماته هاشا و باشا و قال :

هل حدثوك عن موضوع الختان ؟ ثم اخذ في التحدث عن الرجل صاحب الدار ، و سخر منه و من عقله الذي يعيش مثل انسان العصر الحجري و كيف أنه الح على أن يقيم حفل الختان في هذه الدار .

ارادت العمة انهاء الموضوع بأسرع ما يمكن ، لأنها لم تكن تحب أن يثار هذا الموضوع و كانت تخاف من التحدث عنه بشكل مكشوف ، لذا مدت يديها الى غطاء رأسها و قالت ، عاجل الله الامر و أن الرجل قد لجأ الى الصمن في الوقت الحاضر . قال صهرها : بالله ، حسب علمي .فأن ذلك كان حجة .أنه كان يأتي بالذرائع لاخلاء الدار له . ثم اغرق في الضحك مقهقهها و قال : لم يتحدثوا لك عن الزيل و القشور و اعقاب السكائر حيث أنهم قد قاموا بتنظيفها و لم تكمل ؟

قالت العمة بسأم : هو الاخر سينتهي .. ماذا نقول ، لا اارانا الله اسوأ من ذلك !

دخلت شقرا من حاملة صينية من الاكل و وضعها امام امها و التفتت الى وةنقوشة قائلة :

_ و الله سأشكوك لدى أمي . فمئذ الصباح و نحن نتوسل اليها ، لم تتناول شيئا اخر أكثر من ملعقتين من التمن ، ستموت جوعا .. منذ الان اينما ذهبت خذيتها معك .

فأنقبض صدر العمة اكثر من ذي قبل و قالت بحزن و بأبتسامة مصطنعة مادام الامر كذلك فأني لن أخرج من البيت.

أعد الفراش للعمة و وةنقوشة جنبها الى جنب الاخرى ، و ذهبت كل واحدة الى فرشها . كانت وةنقوشة متعبة و منهكة الى حد كبير فاستغرقت في النوم سريعا و باطمئنان ، و لكن العمة كانت تتقلب على جنبها مرتبكة حائرة ، غريقة في بحار من التفكير و الخيالات ، و كانت تبحث عن حل و تتوسل الى الله في قلبها أن يسهل لها هذه المشكلة العويصة و يلهمها حلها و كانت تفكر في تدبير ما ستفعله غدا ، و لكن كان تفكيرها يقفز الى طريق و تدبير اخرين.

كان الليل متأخرا .. كانت ليلة قمراء و ضوء القمر قد دخل من نافذة غرفة الطابق الاعلى التي كانتا نائمتين فيها ، و كان نور القمر قد أضاء الغرفة. قامت العمة بتؤدة و استوت على فراشها ، تم تشهدت بهدوء و شربت جرعة ماء و التفتت الى وةنقوشة التي كانت تبدو على بريق ضوء القمر كأنها حورية القيت عليها طرحة فضية .. حين شاهدت العمة هذا المنظر تدرجت عبراتها من عينيها و تحسرت بهدوء و قالت في قلبها :

تعالى .. الا تصبح هذه الدنيا و الحياة غير ذات جدوى و غير ذات قيمة لديك و لا تعلمين ماذا تفعلين بمليحة كهذه ؟

و الله سأتمسك بها غدا و اذهب بها الى شةمال .. ليس هذا بلد الكفار ، فأن تزوج يوما ما ، فهل سياتزوج من هي أنظر و اجمل من هذه ؟ و لم لا يتزوجها ؟ أن الله قد ارسل له فاتنة كهذه . امتلا قلب العمة لوعة و قررت أن تأخذها غدا الى شةمال و قالت : و لو أثار ضجيجا ، فأني اتركهم جميعا و لن اتخلى عن هذه الفتاة ، تذكرت فجأة الوضع الذي ابنها واقع فيه .. اية زوجة ، و اي شيء ! كيف يمكن أن تأخذ الفتاة الى ذلك البيت ؟ يصدق شةمال ، فلماذا هي سريعة التصديق الى هذا الحد ؟

من الذي يقول بأن الفتاة سوف ترضي بأبنها زوجا ، و بحياته الصعبة المحفوفة بالمخاطر . و حتى اذا رضيت الان من اجلها و لم تقل شيئا لانها ليس بيدها حيلة و ذهبت معها الى ذلك البيت ، فمن يقول بأنها سوف تقبل به الى نهاية المطاف و من انها سوف تجلس الا الى أن تتفتح عيونها و تبحث عن فرصة و تهرب .

فبسملت العمة و حوقلت و قالت فجأة : التوبة ياربى ، استغفر الله ، و بصقت على الشيطان و قالت لماذا اكاد أنا الاخرى أن يستبد الارتياب و الشكوك قلبي و استلقت ثم سحبت الغطاء و تغطت به و قالت في نفسها :

لا ، لا ، بالله لو كان من الممكن أن اقوم أنا بما هو سيء ، فأن هذه الفتاة المسكينة لا يمكن أن تقوم بما يشين .. فلينبلج الصبح سأعرف ما الذي سأقوم به ، و سأتدبر الامر .

استيقظت العمة مبكرة ، رغم انها لم تكن قد نامت الليل بطوله بسبب ماضاق به قلبها من هموم و خيال و تدبير الامر . نهضت في وقت مبكر صباحا ، كانت تشعر بقليل من السرور ، فذهب للتوضوء و الصلاة و أيقضت وةنقوشة ايضا و شرعت في تهيئة ادوات الشاي من الكتلي و السماور و تخدير الشاي ثم استيقظ اهل المنزل كلهم و بدأوا بالتهيؤ و تناول الفطور .

اخرت العمة وةنقوشة أن تهيء نفسها كي يذهبها و خاصة بعد أن احست بأن إبنتها مكتئبة و أن صهرها قد نفدت نكاته و اقواله الماثورة ، و هو الاخر ساكت ، و يبدو أن شجارا وقع بينهما .

بعد أن ودعها زوجها و حفدتها و ذهبوا الى مدرسة واعمالهم ، قامت العمة منتصبه و تناولت عباعتها و هيأت هي وةنقوشة نفسيهما للذهاب . التفتت العمة الى ابنتها قائلة : لا تنتظرونا مساء ، فرما لا نعود الليلة .

فكرت شقرمن التي كانت تشعر بالحجل . لماذا ضاقت الدنيا بها هكذا ، فهي منذ امس تشعر و كان مصائب الدنيا قد سقطت عليها .. هل كانت هذه الفتاة المسكينة تغتصب منها زوجها المكور ذو الشارب المنفوش .. لم يكن عسلا حتى تقوم بابتلاعه .

التفتت شقرمن متلهفة الى امها و قالت : أمي العزيزة ، الى اين أنت ذاهبة بهذا الصباح الباكر ، ثم الى اين تأخذين ثقري ؟ فلتبقي هنا . علمت امها التي خبرت الدنيا ، ان ابنتها المسكينة ، تقول ذلك لشعورها بالحجل ، لذا قالت : لا بأس يا ابنتي ، سأخذ ثقري ايضا لانني أنوي أن اذهب بها الي السوق و بعض الاماكن الاخرى .. و ضعت العمة العباة على رأسها و قالت : لا تنتظرونا

ليلا ، ربما نستقر في مكان معين ما ، لاننا سنعود الى السليمانية سريعا ، لذا قلت اخذها الى خارج البيت ..هذا و تعانقتا مع شقمرن و سلكتا الطريق . بعد تردد كثير ،قررت العمه ان تحدث وةنقوشة شيئا عن احوالها و اوضاعها و لتعرف ما سوف تقوله هي و لتقوم معها بوضع تدابير ناجحة موفقة ، لذا حاولت أن توصل نفسها الى مكان هادئ غير مزدحم ، و اخيرا ذهبنا و جلسنا في ظل بعض اشجار النخيل و الاشجار الاخرى . و بعد قليل من الاستراحة توجهت العمه الى وةنقوشة قاتلة :

ابنتي الحبيبة اود أن تخبريني عن كل نواياك القلبية أو لست نادمة على ما جلبته على نفسك ؟ فأن كنت غير مرتاحة ، و لك قريب او شخص مخلص و أنك تنوين على شيء فقولي ذلك لامك ، و أنني سأعمل كل ما أنا قادرة عليه و يكون بأمكنني ، سوف اساعدك و اقوم به لك .

شحب لون وجه وةنقوشة و تسارعت نبضات قلبها و امتلأت ماقبها بالدموع راسا و قالت بكأبة بالغة : عمتي استمتني ؟

لم يكن حال العمه بأحسن من حالها هي ، و انها حين تفوهت بهذه الاقوال ، كانت منقبضة الصدر و هي على وشك أن تضيق نفسها خجلا ، و لكن لم تكن باليد حيلة و كان يجب عليها أن تقول ذلك لعلهما يجدان حلا ، و خاصة أن اوضاع ابنها شةمال الصعبة قد جعلته غير قادر على ان يستقر على قرار معين الى النهاية ، و انها كلما كانت تفكر في ابنها و تشخص امام عينيه اوضاعه تلك ، كانت تجفل و تخاف من اكثر الناس قربا و تصاب بنوع من التردد ، فما بالك بهذه الفتاة التي لم يمض سوى يومين على الصدفة و المصير اللذين جمعهما معا .

ضربت العمه صدرها و قالت بملق يكاد البكاء و الغصة يخنقانها و نظرت الى وةنهوشه :

أسأمك انت .. لا احب أن تقولي مثل هذا الكلام.. والله ، انت احب الي من روحي ، و كم اتمنى السعادة و الرفاه لاولادي . اتمنى ذلك لك ايضا و ربما اكثر من ذلك.

مسحت وةنقوشة عبراتها و خفضت رأسها و قالت و هي تتجشأ : و لكن لماذا تقولين ذلك ؟ الم اخبرك بأن ليس لي أحد سوى تلك الحالة .. و حتى لو كان لي أقارب اخرون ، فأنهم لا يتجرأون على ايوائي خوفا من زوجها و ابن زوجها السقط و لا يتجاسرون على ذكر اسمي ، لا أحد قادر على خلق المشاكل مع هذين اللاشريفين ، فمهما حدثتك عن وضاعتهما و سيئاتهما ، أكون قد قلت القليل بهذا الشأن ، و خاصة أنهما من الرجال الحكومة ، و يدور حولهما جميع الساقطين و المنحطين خلقيا و رجال الامن و اللصوص و السيئون .

سحبت وةنقوشة نفسا طويلا و اكملت حديثها قائلة : ربطني امرأة و كانت تحبني كثيرا . قالت لي مرة : أن بيت أحد جيراتنا يقيمون احتفالا ، فتعالى أنت و تفرجي على الحفلة . فما كان من هذا الوحش غير الشريف حتى هجم عليها كالكلب المسعور و اخذ يركلها و يصفعها ووجه اليها الاف الشتائم المقدعة ، و قال لها .. ماهذا ، اتأخذينها كدلالة لها؟

ثم اجهشت في البكاء مرة اخرى و قالت : و هكذا فمن يتجرأ ليقول لي من اين اتيت .

قالت العمة بلهفة : لا تبكي ، فديتك لا تقلقي .. فقط اردت ان اسألك ، قلت ، قد يقوم المراهقون ببعض التصرفات ثم يندمون عليها ، و الا مثلما قلت لك سابقا و أعود أقول مرة أخرى ، سأضعك في قلبي مادمت حية و الدم يجري في عروقي و لن اتخلى عنك ابدا. مسحت وةنقوشة عينيها و نظرت ، و بسمة خجلة حلوة تعلقو شفثيها ، الى العمة و قالت : تخافين ان اتعرض الى المضاعب و فقدان الراحة ؟ اه يا عمتي .. و ما الجدوى ، لا تعلمين داخل اي نار و بؤس و

مصاعب ، كنت اعيش ، بل قولتي أنني قد اكتويت ، و أن اي مصاعب و نكبات مهما كانت كبيرة لا تصل الى ساعة من المرات التي ذقتها .
واست العمة وفتوشة ، و بنبرة مشوية بالخوف تحدثت اليها بأن لها ابنا مناضلا ، يناضل مع رفاقه في صفوف الحركة الكوردية بشكل سري و أن الحكومة تتعقبهم دوما .. و انها تقول لها ذلك منذ الان ، مخافة أن تصاب هي الاخرى بالمتاعب و المصاعب بسببهم ، غير انها لم تخبرها عن مكان ابنها .
قالت وفتوشة بلهفة و فرح : ((أن ما يصيبني بسببكم فأني اعتبره كأنه جنة و يشمخ به رأسي)) . ثم زفرت زفرة عميقة و قالت : ((اه يا عمتي الحبيبة ، أن زوج خالتي و ابنه و شلتهما حين كانوا يظلمون الفقراء و المساكين و يلحقون الاذى بهم و كانوا يساعدون السلطة لألقاء القبض عليهم ، كان قلبي يكاد يذوب ألما ، كنت اجلس مع خالتي و نذرف الدموع خفية على هؤلاء الناس الذي كنا نعرف اي ظلم يلحقونه بهم ، و لكننا لم نكن قادرين على عمل شئ و لم نكن نتجرأ عن النطق بشيء .. اه ، كم من الدور أنتزعوها من أيدي اصحابها بشتى الاحاييل و اساليب الخداع و التضليل .. فما أن يقوم شخص ما برهن داره لديهم اضطارا او بسبب ضيق ذات اليد ، لم يكونوا يتركونه وشأنه حتى يجبروه على بيع الدار ، فكانوا يشترونها منه بثمان بخس ، كان عشرات من النصابين و الكاذبين يحيطون بهم .. قالت وفتوشة بجزن بالغ : ((اني اتجرع هم خالتي و الام خورشه فقط ، ان هاتين الاثنتين كانتا تخلصان لي اخلاصا كبيرا ، كانت خالتي مسكينة و ساذجة)) .

سألتها العمة : انها اخت ابيك او اخت امك .

فارتجفت شفتا وفتوشة مرة أخرى بسبب البكاء و قالت :

_ ((انها اخت والدتي .. اتذكر ، انها كانت جميلة الى حد الذي كانت و كأنها

وردة . اما الان فهي قد ضعفت و وهن قواها و أصابها النحول و لم تبق منها

الا حنفة صغيرة ، انها محترقة مكتوية . أني كنت اقاسي كل هذا البؤس و الشقاء ، اننا كنا نؤدي كل اعمال البيت الكبير ، و لم اكن افترق عنها ، و حتى في الحمام لم اكن اجراً أن اكون وحدي خوفاً من زوجها و ابنه اللذين كانا يتحرشان بي و لم أكن أجراً أن أخبرها ((.

قامت العممة منتصبه و قادت وةنقوشة أمامها ، و سعدتا سيارة باص و وصلت الى حوالي مزار الامام الكاظم ، فنزلتا و توجهتا الى دار في بداية الشارع كتب على بابها ((الدكتور حسن علي)) .

كانت العممة ذاهلة ، مضطربة ، و كان التردد و القلق و الخوف و الشفقة و الغيرة قد اربكتها ، و لم تكن تدري مالذي ينبغي أن تقوم به تماما ، و اخيرا لم يبق امامها سوى أن تطرق باب بيت الدكتور حسن الذي كان أحد اكثر المخلصين للبارتي الذي كان يؤدي تحت ستار الطب و العمل و المستشفيات الحكومية كثيرا من الاعمال المتصفة بالرجولة و الشهامة و كانت حقيته اليدوية مليئة دوما ، بالأضافة الى الادوية و الادوات الطبية ، بالبيانات و الاوراق الممنوعة التي كان يأخذها الى هذه الجهة او تلك . و ما ان طرقت العممة الباب ، حتى اسرعت امرأة سمراء خفيفة الظل ففتحت لها الباب ، و ما ان وقعت عينها على العممة ، حتى اسرعت اليها بشوق و لهفة و عانقها ، و فعلت الشيء نفسه من وةنقوشة يضا و رحبت بهما ترحيبا كثيرا بلغة كوردية مكسرة و قادتتهما هي تكرر تفضلا تفضلا ، ثم سرعان ما شرعت في تهيئة الشاي و احضرت لهما الاكل و الفواكه كأنهما كانت قادمتين من صحراء مقفرة و أنهما لم تذوقا شيئا من الطعام منذ مدة ايام .

و لم يمض وقت طويل ، حتى جاء صوت الباب فذهبت المرأة لفتحه ، فشاهدت حماتها ، و من هناك بشرتها بأن العممة رحمة قد جاءت . و لما دخلت لم تعمل اقل مما قامت به كنتها و قدمت العممة رحمة و وةنقوشة و عرفتها بانها بنت

عمها كانت تشعر بتوعك قليل ، لذا جاءت بها الى بغداد معها. حين ذهبت الحماة و الكنة نحو أعمالهما ، أدنت العمه رحمة خان رأسها من وةنقوشة قائلة :
__ فديتك .. سأذهب الان لاداء عمل لي و أعود اليك مساء ، و ابقيك هنا أنهم طبيبون جدا الى حد يفوق الوصف ، فالكنة احسن من الحماة ، و الحماة احسن من الكنة ، و الدكتور حسن نفسه مثل ابني ، و زفرت زفرة و قالت : لا يوجد أناس طبيبون مثلهم .

كانت وةنقوشة التي قد اطمانت الى اقوال العمه فرحة جدا و قالت ببسمة جميلة متمهلة : هؤلاء من العرب ، أن لغتهم الكوردية غريبة لا افهمهم جيدا .
قالت العمه هامسة :

__ كلا عزيزتي ، انهم ليسوا عربا ، هم من الكورد الفيليين ، لا تعلمين كم هم كورد طبيبون مخلصون .

بعد قليل من الراحة انتصبت العمه واقفة و قالت و هي في باحة الدار ((ام حسن..سأذهب أنا الى هذا الطرف و ارجع بعد ذلك ، فلتبق ثقري عندكم)) .
كانتا تعرفان الى اين ستذهب ، لانهما كانتا ملمتان بالنضال السري للكورد لذا قالتا :

حسنا.. اذهبي ، رافقتك السلامة .. اوصلي تحياتنا و لا تقلقي بشأن ثعربخان. وصلت رةحمة خان الى ابنها شةمال و الذي كانت الهموم قد استبدت به بشأن حديث أمها و موضوع الفتاة ، لذا فإنه استقبلها متلهفا و اخذها الى الغرفة و قال : هيا لا عرف ماذا فعلت ؟ منذ البارحة و أنا أفكر في فعلتك ، و اصاب بالدهشة كيف جلبت هذا البلاء على نفسك ؟

نزعت امه عباعتها واثقة و بوجه باسم و قالت : ها هي قد وضعتها في بيت الدكتور حسن . ثم نظرت بالتسامة أنتصار الى أبنها و قالت : ((سوف

أحدثك الان بالتفصيل ، و لكن لاتقاطعني الى ان اكمل الحديث ، اتند اذا لم يروق لك كلامي سافعل مثلما تريد و ماذا تريد)) .

هز ابنها رأسه مرغنا و قال : ((هيا تكلمي ، ماذا تقولين ؟)) سوت رحمة خان مكانها و مدت رجليها قليلا و قالت :

__ سأسألك أولا شيئا ، قل لي لماذا أوقعت نفسك في كل هذه المخاطر و العذابات و حرمت نفسك من الراحة؟

ضحك ابنها و قال :

__ و مادخل هذا بالعمل الذي قمت أنت به ؟ مثلما يقول المثل الكردي "اين سقط الحمار و من اين تمزقت القربة" .

قالت امه ، بوجه باسم : ان فعلتي هذا تتعلق كثيرا بما تناضل و اجله ، او لم توقع نفسك في المخاطر و المخاوف نت اجل الناس المنكوبين و الفقراء و المضطهدين و الذين لحق بهم الغدر و الظلم من ابناء الشعب؟
قال ابنها : نعم .

فقالت امه : اذن لو علمت ما هي مجريات حياة هذه الفتاة و ما الذي حدث لها و اي غدر قد لحقها و من يد اي وحشي فاقد الشرف ، فاقد الوجدان من ازلام الحكومة قد فرت ، لما كنت تصاب بالدهشة فقط ، بل يظهر لك بانها واحدة من تناضل من اجل تحريرهم .

لقد حدثتني البنت عن كل شيء .. أن حديثها قد اثر في تاثيرا بالغيا بحيث أنني لا استطيع أن اتركها او اتغلى عنها بأي شكل من الاشكال .. أن زوج خالتها و ابنه كليهما من ازلام الحكومة و أن لهم سلطة واسعة ، يلقون القبض عليها و يهتكون عرضها ، و اما يقتلونها ، او تقع في ايدي أناس فاقد الضمير و يعرضونها للفضيحة و يعلم الله ماذا سيحدث لها و اين يكون

مصيرها ، و خاصة و هي بهذه الملاحظة التي جعلها الله بلاء على هذه المهجومة بيت الاب.

وهنا ضربت رحمه خان بقبضتها ولدها ضربة خفيفة ، بابتسامه جميلة قائلة :
شاهدها أنت اولا لتعرف بأنك سترسل الف رحمة الى والدي لاني قد اتيت بفتاة
جميلة لك : و اعلم بأنك لم تكن تحلم حتى في الحلم بفاتنة مثل هذه : و لا بد أنك
يجب أن تتزوج في يوم من الايام .

أنتفض شةمال و ضرب يدا بيد و قال : هوجم بيتك ، فقد جعلت الامر حقيقة ،
أن شاء الله سوف تزفينها لي و تقطع مهرها علي ، و الله أنك لقادرة على
عمل كل شيء . اماه لا تقولي مثل هذا القول ، لماذا توقعين هذه المسكينه في
النار المستعرة.

قالت امه و هي تهيء نفسها واضعة يدها على صدرها :
_ بعون الله سأتم لك كل شيء .. الان سأذهب لاجلبها الى هنا ، لقد تحدثت
اليها في كل الامور .

قال شةمال : لم تبقى مجالا للحدث ، هيا اذهبي ، اننا في وضع جيد ، فلتضف
اليه هذه المهربة ايضا ، و كما يقولون :
((كلما كانت البركة اعماق كانت السباحة فيها اطيب)) .

أنتصب رحمه خان واقفة ، و اقتربت من ابنها قائلة:
سنبقى هذه الليلة في بيت الدكتور حسن ، و غدا أن شاء الله ناتي بعد الفطور
، و لكن يجب ان يعتقد الوالدان بانها بنت عمي .

و في الغد ، في وقت الضحي وصلت رحمه خان و وةنقوشة امام بيت شةمال
لأطلعت وةنقوشة الليلة الماضية على كل شيء فيما عدا مسالة زواج . طرقت
العمة الباب بمزيج من الارتباك و الخوف من العملية التي تقوم بها ، و كانت
تتوسل في سرها الا تكون الندامة عاقبة هذا العمل المفعم بالخطر و أن يكون

آخره خيرا . و لم يمض وقت طويل حتى فتح فريدون الباب جافلا . القت رحمه خان بنفسها الى داخل بسرعة قائدة ونةقوشة معها و قالت مبتسمة:
كيف حالك يا ابني ؟ هل تقبلون بالضيوف ؟ و قالت و هي تدخل صاعدة:
صادفنا صاحب الدار ايضا و رحب بنا ترحيبا حارا و اعرب عن ارتياحه و سألني متى جئت ، فقلت له : ((منذ يومين و سأبقى هنا و لن ارجع)) .
حين أنتهت العمه من كلامها ، قال فريدون : ((تتفضلين و تقولين ، هل نقبل بالضيوف ، اجل بالله نقبلهم ، كالسجناء و لن ندعهم أن يذهبوا الى اي مكان اخر ..حللتم اهلا و على عيوننا ! تعجب فريدون من الفتاة التي كانت من رحمه خان ..ياترى من تكون ؟ بغمضة العين هذه ، جلبت أنتباهه و لم يكن يدور بخلدها انه رأى فتاة كهذه في المنطقة المحيطة بهم ، غير أنه كان محترما جدا و خجولا سرعان ما خفض رأسه و شرع في الترحيب بهم دون أن ينظر الى اي شخص.

و شةمال الذي كان في الغرفة الواقعة خلف البهو ، حين سمع صوت امه ارتبك قليلا و اخذ قلبه يخفق خفقانا شديدا ، استوى واقفا كأن البلايا تسقط عليه و هو غير قادر على تحاشيها ، اسرع الى استقبال والدته و الفتاة و رحب بهما ، و من اجل ان تفهم رحمه خان فريدون بأن الفتاة التي تصطحبها هي ابنة ابن عمها ، التفت الى ابنها قائلة : شةمال تعرفت على ثقرى ؟ انله عليك أم تنم سريعا بالنسبة الى سنها ؟ اختلط الامر على شةمال خجلا و ارتجفت شفثاه و تتم عدة مرات ثم رحب بهما مرة أخرى .

قالت رحمه خان مبتسمة : كان ابن عمي خدر ناويا أن يأتي معنا و لكن ظهر له عمل طارئ و تغلى عن المحيء مرغما و قال : لا بأس ، هذه المرة اذهبي أنت مع ثقرى ، و كنت احب أن تصطحبني ثقرى ، لانها كانت متوعكة قليلا ، و قلت سأعرضها على الطبيب هنا.

كانت دار شةمال ، دارا قديمة تتكون من طابق واحد و كانت ثمة غرفتان على بهو تشرف نوافذهما على الزقاق .. و من البهو كنت تأتي الى باحة مربعة الشكل مفروشة بالاجر . و في اعلى الباحة ، كان ثمة بهو تشرف عليه غرفتان ، احدهما لشةمال ، و الاخرى لرفيقيه . و من الباحة ايضا كنت تذهب الى غرفة طويلة نسبيا تشبه نصف سرداب عن طريق سلم متكون من ثلاث او اربع درجات ، و كانت هناك في الغرفة آلة الطباعة و جهاز الرونيو و منضدتان او ثلاث مناضد تكدست عليها الاوراق. و في الجانبين كانت توجد داران اخريان لصاحب الدار ، يسكن هو أحدهما ، و توجد في الاخرى الاخشاب و الطابوق و ادوات واثاثات البنائين و كان بابها مسدودا على الاغلب ، و أن ما يحيط بهم ، كان بيت ابناء و اصهار صاحب الملك . على العموم كان الزقاق مكانا جيدا و هادئا و امنا و كان مفضلا لدى رفاقه و يحبون وجودهم فيه بالنسبة الى عملهم . و نظرا لان المرأة ظهرت في بيتهم فأن صاحب الدار يشعر باطمئنان اكثر و على الاقل لاتبقى لديه اية خشية على عائلته و بناته و لا يبقى ثمة من يقول أن المستأجرين هم عزاب مراهقون ليس لاحدهم زوجة و عائلة!

اتخذت العمة و وثةنقوشة الغرفة اليمنى المظلة على البهو ، غرفة لهما ، كان قد فرش في الغرفة بساط و (دوشكان اثنان) بالاضافة الى دولاب بصف الجدار ، و كانت على كل باب مرآة كبيرة ، و سرعان ما حشرت العمة حقيبتها و عباءتها فيه بالاضافة الى عباءة و وثةنقوشة التي لم تكن تحمل سواها ، لانها كانت قد هربت من بيت خالتها بملابسها التي تلبسها فقط حين علمت أنهم بعد يومين سيقطعون مهرها و تزف الى ابن زوج خالتها ، ذلك الفاقد الشرف و اليء الاخلاق ، و الذي كان هجم عليها ثملا عدة مرات .

بعد ذلك بيوم بدأت و وثةنقوشة ، و كأنها ابنة عم حقيقية لرحمه خان ، بالعمل و اعداد الشاي و بسط سفرة الاكل و تنظيف البيت و تقديم الخدمات و احالت

هذا البيت البارد الى بيت يسري فيه الدفء و الحرارة . اما شةمال فمثلما كانت امه قد اخبرته : ((تمهل قليلا و أنظر الا ترسل الف رحمه لوالدي و والولدتني)) فقد صدقت في ما قالتها ، كان ايضا قد شعر بالحنين مما قاله لوالدته و أنقبض صدره و نغم على نفسه ، و باتت امه لديه احب اليه و اكثر قيمة لانها لم تطعه و لم تتنازل عن كلامها ، و لم تطلق هذه الفتاة المسكينة في الاذقة ، و كانت على حق حين كانت تقول : من يطاوعه قلبه الا يؤوي فتاة كهذه لا اهل لها .

و فيما عدا فريدون ، كان هناك صديق اخر لشةمال يعيش في البيت اسمه كاوه ، كان ابن محلته و رفيقه في النضال ، غير أنه نظرا لضيق ذات يد ابيه ، كان قد ترك الدراسة في وقت مبكر و اخذ يعمل في معمل لنسيج القماش . و كان الى جانب ذلك يناضل سرا و له اتصال بشةمال و الاخرين . في النهار ، كان فريدون يبقى عند شةمال حين عودة كاوه ، و بعد ذلك كان يذهب للحاق بمرسته حيث كان عليه أن يهيء نفسه للجامعة . على هذا المنوال كان فريدون يبقى لدى شةمال نهارا ، و في الليل كان كاوه يبقى عنده ، كان كاوه اصغر منهم بمخسة اعوام ، و مع ذلك ، كان الوالدان يتصفان بالشهامة و الاحترام ، و كانا يقفان كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا في حدود الرجولة و الاحترام ازاء وةنقوشة ، و لكنهما كانا يقعان في بعض الاحيان في دوامة التفكير ، و خاصة حين يؤويان الى فراشهما .

كان كاوه يقول في نفسه : في الحقيقة أن ثقرى فتاة طيبة و حيية و جمالها لا نظير له . بعد مدة أخرى ساطحرى فأن وجدت انها ليست خطيبة أحد ، سألقي على مسامع العمه رحمه خان لعلها ترضى بي زوجا .. ليت الامر يكون كذلك .

كان كاوه يجعل من الخطوبة امرا سهلا و هينا ، و أن العمه كانت ستسحب الامر مقبولا و لائقا . و أن شةمال ايضا كان يجب ذلك ، الى أن كان يصل

الى خيال شراء بعض الاثاثات المنزلية و الفرش ، و أنه سيتخذ من تلك الغرفة الجانبيية ، غرفة له و ثقرى و أنه كان سيسعى الى البحث عن مكان اخر لثلا يكون زميلاه سببا في سلب راحتهما ، او نتيجة شعورهما بنوع من الخجل ، و لكن فجأة كاوه يتخلى عن هذا الخيال و يغوص في خيال اخر :

من لايقول أن الاخ شةمال ليس طامعا فيها ، اذ كيف يفرط في هذه الفاتنة ، و خاصة اذا كانت من أقاربه ، رغم أنه لم يتطرق الى موضوع الزواج و الخطوبة معي و اعتقد انه لا يخفي عني شيئا . و لكن من لا يقول بأنه قد غير فكره حين شاهد هذه الفاتنة ؟ في حينه كان يظن انها لا تزال طفلة ، اذ كما يقال أنهم لم يشاهدوا هؤلاء الاقارب . و لكن من الذي لا يغير رأيه حين يقع نظره على هذه الحسناء الفاتنة ؟ و أنا ايضا لم يكن يدور في خيالي أن أفكر في الزواج الى ما بعد عدة سنوات أخرى و مثلما يقول الاخ شةمال : اي زواج في هذه الظروف التي نحن نعيش فيها ، و لماذا نعرض الزوجة و الاطفال المساكين الى هذه الاوضاع الصعبة.

كان كاوه يهز رأسه و يقول في نفسه : و الله أنا الاخر ضائع ايضا لا ادري ماذا أقول و أنقلب غاضبا الى الجهة الاخرى قاتلا : و الله أن هذه الفتاة تصيب المرء بفقدان التفكير ، قولي ايتها العمه رحمه خان ما هذه الفتاة التي جئت بها اليينا؟!

و فريدون ايضا كان طامعا فيها ، و خاصة أنه كان يبقى في البيت نهارا و يذهب مساء للدراسة . كان قد أبدى نشاطا ملحوظا مظهرها البشاشة و اخذ يروي للجماعة احاديث شيقة .

كان فيما سبق ثقيل النوم ، كان شةمال و كاوه يذهبان اليه ليوقظوه عدة مرات انتذ كان يستيقظ من النوم و يقوم ، اما الان ، فإنه كان دون أن يقول له أحد، يستيقظ قبل الجميع .. حتى أن شةمال ضحك مرتين و ثلاث و كان يقول

: ما هذا يا فريدون .. كأن ثقل النوم قد تغلى عنك . فكان يقول بوجه بشوش :
((و كيف اسمح أن تتعب عمتي كل هذا التعب ببسط المائدة و اعداد الفطور و
أنا لازلت غاطا في النوم !! في السابق كان الامر مختلفا لاننا كنا لوحدنا ، و
لكني الان ارى ذلك عيبا)) .

و كانت رحمه خان تأخذ في كيل المديح اليه و كانت وةنقوشة تعلقو البسمة ثغرها
بكلامه و تضحك بهدوء . كل شيء قد أنتهى عند فريدون ، فأن العمة رحمه
تحبه و تفرح وةنقوشة بكلامه و احسعدة مرات بأنها تحقد فيه و تنظر اليه خفية
. من المعلوم أنه قد استقر في قلبها . و ذلك اليوم حين فتحت له الباب ، قالت
له يا اخ فريدون لماذا اطلت هكذا ، فعمرها ينسجم مع عمره ، و يبدو انها قد
تكون فى الثامنة عشر من عمرها ، و هو عمره (٢٥) سنة و هو الان على
ابواب الدخول الجامعة . و اذا لم تعجب وةنقوشة حياة الاختفاء ، فهو يستطيع
أن يذهب و يعيش معها في مكان اخر و يبعد نفسه الى حد ما ، و لكنه
سيضل مناظلا مخلصا من مناظلي شعبه . ليس مفروضا أن يبقى في هذا
المكان و ينشغل بأصدار الجريدة و شد الرزمات . يستطيع أن يقدم المساعدات في
مكان اخر و منطقة أخرى ، اذ أن للبارتي اشغال كثيرة من هذا الشكل .. و
عدا ذلك و حسبما يقول الناس فأن لي نصيب في الوسامة .

اما شةمال فرغم أنه لم يكن يبدي شيئا ، و كان يبدي الوقار ، و مثل مناظل
عنيد لم يكن يدور في خلده شيء سوى (الكوردايتي) و كتابة البيانات و
الافتتاحيات النارية المحفزة و الحماسية ، و كان فكره و وعيه و قلبه منشدا الى
مثل هذا النوع من اعمال ، و لكن مع هذا كان فكره و خياله ينحرفان و
يفقدان الطريق .. و ما كان يجد نفسه الا و هو يدور امام باب الغرفة التي
تسكنها امه و وةنقوشة . في الحقيقة أن والدتي امرأة ذات ضمير و غيره ، اذ
انها لم تسمع كلام اي شخص و لم تتخل عن هذه الفتاة الطيبة ! كيف كنت

أفكر ، كنت على وشك أن تضيق الدنيا بي ، و كنت اظن أن أمي قد اوت الشيطان و اكلة لحوم البشر ، و لم اعرف انها هذه الفتاة طيبة.

كم هي خجولة و طيبة ، و ما أن تقوم أمي لعمل ما سرعان ما تقوم هي الاخرى بذريعة شيء و ما تذهب ..أنظر الى شعرها الحريري الجميل تحت ربطة رأسها لم اشاهد ضفائر جميلة و طويلة كهذه . كانت تغسل الباحة يوما رأيتها و هي تحاول ادخال شعرها المظفور في جيبيها .. ثم هاتان العينان النجلاوان فكانهما المقصودتان بما جاء في الاغنية التي تقول : أنهما نرجستان محمورتان ! و اما ضحكتها فكم هي عجيبة و عذبة كأنها الزجاج و البلور حين يصدم بعضه البعض ! و كان يصادف احيانا حين يتذكر الاوضاع التي هم فيها ، يضطرب فكره و يستبد به الخوف بأن الحال سوف لن يدوم هكذا ينتهي و يجبرونه على اخلاء الدار.

كان يفكر في إيجاد طريقة مع والدته لتدبير الامر من اجل فيما لو اضطروا الى ترك هذا المكان مالذي عليها أن تفعل و ماذا تفعل بوةتهوشة . و ياترى الا يتم التعرف عليها في السلمانية.

و كان يصل به الامر في بعض الاحيان أن يدعو امه بتدبير الامر معها في هذا الخصوص ، ثم يقول : لا .. أن والدتي امرأة عاقلة خبيرة بالدنيا و تعلم ماذا ينبغي عليها أن تفعل في مثل هذه الاحوال .. و اذا تحدث معها في هذا الشأن ، فليس بمستبعد أن تقول : هذا هو الولد الذي كاد أن يجنني بأن كيف اويت هذه الفتاة ، في حين هو الولد الذي يحمل همها هي قبل كل شيء اخر و كيف ارعاها . و فجأة أصيب قلب شةمال بشدة الحفقان حين مر بجياله أن تقوم أمه ، خوفا من تعرضها الى المشاكل ، أن تذهب و تعثر لها على زوج و تحصل نفسها منها ! كان يعصر يده و يقول بعدم ارتياح : ماذا أقول ، كل شيء محتمل الوقوع ، حسنا ، ماذا علي أن افعله الان ؟ هل أقول لها كوني حذرة و لا تزوج

وثة نقوشة من أحد ، بل احتفظي بها لي ؟ لا يريد أحد لنفسه شيئا سيئا .. ثم من يقول أنني سأعجب الفتاة و ترضى بي زوجا و ترضى بهذه الحياة الصعبة ؟ فلا أفكر ، كيفما يكن الحال ، يجب أن اتحدث مع أمي و احدثها عن الاوضاع ، لا عرف ماذا تقول .

كانت وثة نقوشة قد توهجت ، و كانت تجلس مع عممتها رحمه خان و تتحدثان الى ساعات متأخرة من الليل . كانت هذه هي المرة الاولى التي تشعر فيها بلذة الحياة و تضحك ملى قلبها . في هذه المدة القصيرة كانت قد تعلمت شيئا من اعمال هؤلاء الشباب النضالية ، و تحب ذلك و كانت تتمنى من الله أن تساعدهم ، و خاصة في احدى المرات حين لم يكن الولدان موجودين ، و كان على شةمال أن يحضر عددا من رزم البيانات و الجرائد للدكتور حسين و الذي كان عليه أن يحضر مساء و يأخذها ، لذا ، فأن شةمال ناداها مرغما لتساعده على وضع الصفحات الواحدة على الاخرى لينظماها معا و يشداها على شكل رزم مختلفة.. منذ ذلك الحين فأن شةمال يكلفها احيانا بأداء مثل هذه الاعمال . كما أنه في بعض الاوقات كان يحدثها . ردا على سؤال منها ، عن اعمالهم و الحركة التحررية الكوردية (الكوردايتي) و كان ذلك يؤثر تاثيرا كبيرا على تفكيرها ، و انها حين كانت تؤوي الى فراشها ليلا ، و تقع في بركة خيال عذب: ((ياربي العظيم ، اشكرك شكرا جزيلا بأن جازيتني هذا الجزاء ، و القيتني بين هؤلاء الناس الطيبين الذين احسب الموت معهم فرحا و احتفالا .. فهناك ناس مثل هؤلاء شجعان و وطنيون ، و من جانب اخر ثمة أناس مثل هؤلاء الانجاس مصاصو الدماء ! كيف يعيش هؤلاء ، و كيف أن ارواحهم على راحت ايديهم و في كل دقيقة يمكن أن يلقي القبض عليهم أو يقتلوا ، في حين هناك مثل هؤلاء الاوباش الغارقين في الدناءة و نهب و سلب الفقراء ، اذ أن الارض و الشعب و الرجولة ، و الحياة و الشرف لدى هؤلاء كله لعب و تكديس الدينار

. أنهم مستعدون من اجل مكاسبهم الشخصية أن يتقبلوا كل أشكال الذل و الخنوع و يصبحوا مدقات بأيدي الحكومة في اضطهاد الناس و إلقاء القبض عليهم و قتلهم)) .

كانت تتقلب على الجنب الاخر و تقول في نفسها بكل حقد و كره : اه .. لو كانت في يدي السلطة ، لكنت اعرف ماذا افعل بهؤلاء الادنياء اشباه الرجال ! و لكن اين يذهبون الويل لهم ، سوف يأتي يومهم .. أنشاء الله سوف يأتي ذلك اليوم الذي سيتكون كل هذه الاموال و الدور و المكاسب بعدهم ميراثا ، و سيكونون حتى في قبورهم خاضعين اذلاء ، ثم كانت بسمة تعلقو شفيتها و تقول : اي قبر ، سيحرمون حتى من القبر و تأكل الكلاب اجسادهم المنتنة انشاء الله !

كان قد بقى اسبوع واحد على أنتهاء فترة الثلاثة اشهر التي كان صاحب البيت قد حددها ، كانت رحمه خان و وةنوشة جالستين في غرفتهما ، و كان شةمال منهما في الكتابة ، و لم يكن أحد من الولدين في البيت ، حين تم طرق بابهم بشدة ، أنتفضت العمه بصمت و ذهبت خائفة و فتحت الباب على مهل و اخرجت رأسها من الباب لتعرف من الطارق ، فشاهدت ابن صاحب الدار ، فتظاهرت بالبشاشة و حيت الولد قائلة : تفضل تفضل .. اهلا بك.

قال الولد بسرعة و ارتباك : اشكرك عندي عمل ، يقول والدي أن يأتي الدكتور حسن أو أحدكم الى والدي لانه يريدكم لعمل معين. خفق قلب العمه و قالت : حسنا ، سأذهب و أقول لهم .. ذهب الولد و اوصلت العمه نفسها بعجلة الى غرفة شةمال الذي كان هو الاخر قد اصيب بقليل من الاضطراب بسبب قرع الباب ، لان طرق الاولاد كان طرقا خاصا حتى يمكن تمييزه عن طرق الاخرين ، لذا قام من مكانه منتصبا و هو ينظر الى الباحة من خلال النافذة ، و حين شاهد والدته تقدم اليها و سأل : اماه ، ما الذي حدث ؟ خيرا ؟ فقالت امه

مضطربة : كان ابن صاحب الدار يقول : يجب أن يتصل الدكتور حسن أو أحد من الآخرين بوالدي . مرر شةمال يده على رأسه و جانب عنقه و قال بعجز : ماذا نفعل ؟ لا أحد من الاولاد في البيت قالت امه سأذهب أنا بنفسى لاعرف مالذي حدث . هز شةمال رأسه بابتسامة باهتة و قال : _ طيب اذهبي و اعرفي ماذا هنالك. ذهبت رحمه خان متلهفة و تناولت عباعتها و عادت الى ولدها بائسة و قالت:

_ و الله لاابد هنالك شيء ما ! و هكذا لم تتوقف حتى ينطق شةمال بشئ ، و عادت الى الباحة لتذهب ، و كانت تقول في نفسها : ماذا اعمل ، الاولاد لم يرجعوا ، التفتت الى وةنقوشة التي هي الاخرى خائفة و واقفة امام الغرفة ، وجهت العمة الكلام اليها قائلة : لاشيء هناك يا ابنتي انشاء الله سيكون خيرا و ذهبت . و لم يمض وقت طويل حتى عادت مصفرة اللون شاحبة الوجه مضطربة و وصلت بسرعة الى طرف ابنها و قالت : كان الرجل شبه ميت و قال أن حاكما من معارفي قد أرسل الي خبرا بأنه سيتم تفتيش أحدى دورك ، حيث يقولون بأن عددا من المختفين و الهارين يسكنونها .

بلعت رحمه خان ريقها و قالت : و هذا الكلام يعنيننا نحن ، و أن الحاكم قد اخبره بأنه قد اجل هذا الامر الى يوم غد من أجل أن يخبره هو ، و الا فأنهم كانوا يريدون تنفيذ الامر اليوم .

كانت رحمه خان تعصر يدها و ترتحف شفثاها و عيناها جاحظتان و نظرت بمسكنة الى ابنها الذي كان هو الاخر مضطربا .

قال ابنها ، هل تستطيعين الوصول الى بيت الدكتور حسن ؟

لاحل لنا ، و يجب أن تذهبي ، و أن الولدين ذهبا لاداء العمل و تظاهر شةمال امام امه باللامبالاة و قال :

_ لا تخافي خلال الايام الماضية خففنا الاشياء التي عندنا ، و لم يبق لدينا سوى جهاز الرونيو و الطباعة ، و مادام أحدا لن يأتي الليلة ، فأن الدكتور حسن سيأتي الان و يجدهما حلا .. لا تقلقي ، لن يحدث شيء سوى الخير أنشاء الله. اكمل شةمال حديثه و توجه الى والدته و قال لها بصوت منخفض : لا تربكي نفسك من اجل هذه الفتاة المسكينة حتى لا يسيطر عليها الخوف . عادت رحمه خان الى وعيها و تذكرت وةنقوشة و قالت : تصدق بالله ، كنت قد نسيت تماما .. ماذا تقول أن اخذها معي الى بيت الدكتور حسن او بيت شقرمن لتبقى هناك الى أن نجد لانفسنا حلا. قال شةمال : افعلي ما تريينه مناسباً ، و اعتقد أنه من الافضل أن تكون معك . و اذا تحبين انت ايضا لا تعودي .

ضربت امها صدرها بيدها و قالت : ويلاه ، أن اترككم أنتم في خضم هذه النار و اذهب لانام في مكان اخر مستريحة . ثم قالت رحمه خان بابتسامة باهتة :
_ أنشاء الله سيكون ذلك نومي و راحتى الأبديين .

هيأت رحمه خان نفسها و قالت : فلاسرع بالذهاب . ذهبت نحو الباب ، في الباحة وجدت وةنقوشة التي هي الاخرى كانت مضطربة و اشغلت نفسها بحمل بعض المواعين بحجة انها تأخذها للغسل. قالت العمة مستعجلة : عزيزتي ينبغي أن اذهب الان لطرف الدكتور حسن .. الاوضاع ليست على مايرام ، من المحتمل أن يأتوا الان و يقوموا بتحري المكان . أقول تعالي معي اخذك الى بيتهم حتى لا تكوني هنا . نظرت وةنقوشة اليها نظرة ملؤها الاخلاص و التلهف و قالت :

_ أن أجي معك ؟ و الله لن اخطو خطوة واحدة .. هل أنا اكثر و اعز من الاخ شةمال و منكم ؟ و ماذا اريد الحياة بدونكم ؟ و الله سأبقى هنا ، فليحدث ما يحدث ، جاء شةمال لما سمع صوتهما و قال :

_ تصدق والدتي ؟ أخاف أن يحضر ابناء الكلاب هؤلاء ، حتى لا يحدث لكما مكروه مع والدتي .

قالت ونةقوشة ، لا اذهب في الوقت الحاضر حتى يحضر الدكتور حسن .
تعجلت رحمه خان بالذهاب . كانت هذه المرة الوحيدة التي يبقي فيها شةمال و
ونةقوشة وحيدين في البيت . كان شةمال يتمشي مضطربا و كان منشغلا
باوراقه . و ذهبت ونةقوشة و قالت في نفسها : ماذا تقولين أن أذهب و أقول يا
أخي شةمال الا تريد بعض المساعدة ؟ لماذا لا اقوم بجمع أشياءك ؟ لا ، لاضير
في ذلك ، أخاف أن يقول : انها تستغل غياب والدتي و الاخرين فتريد أن
تتقرب مني .. كلا ، لا ، لا اذهب ، كيف ، يجلس مضطرب البال و منشغلا
وحيدا ، و أن اجلس هنا دون مبالاة لا شغل لي و لا عمل ، فلأذهب لأعرف
.. كلا ، لا اذهب استحي .

و كان شةمال ايضا يقول في قلبه .. كم هي فتاة مخلصة و شجاعة ، لم تشعر
بالخوف ، و لم تبال أو تولي ذلك اهتماما . ماذا تقول أن ادعوها لتجتمع معي
هذه الاشياء لنحضرها سريعل ، .. كلا أخاف أن تفهم انها سوء نية ، و ربما
تقول أنه اتخذ ذلك ذريعة ، و أنه لا أحد في البيت فلأذهب اليها .. لا ، انها
تعرف كيف هو وضعنا ، كيف تقول مثل هذا القول ؟ على الاقل أطلب منها
أن تحضر لنا شايا .. كلا ، و هذا الكلام غير معقول ايضا .. هاهو الشاي لازال
في موضعه .. اذن ماذا أقول ؟

الى أن ذهبت رحمه خان الى بيت الدكتور حسن و ارسلت من يبحثون عنه ، و
عادت الى بيت لتخبر ابنها بأنه لم يبق مكان يبحثون فيه عن الدكتور ، و
لكنهم لم يعثروا له على اثر ، شاهدت باب غرفة الرونيو مفتوحا على
مصراعيه و ليس فيها شيء و شةمال واقف امامها حاضر و مستعد .

حين شاهدت رحمه خان ذلك سألت مندهشة :

__ ماذا فعلتم ؟ ما هذا و اين الاجهزة ؟ و قال ولدها هامسا : لا تحملي هما ، لقد تم تنفيذ كل شيء . أن الله قد سهل الامر بشكل لا يدور في خيال أحد . و الان يجب أن أذهب ، و لكن ينبغي أن تبقي أنت و ثقرى و كاوه هنا لمدة يومين او ثلاثة أيام ، انتذ قوموا باخلاء المكان كليا . تعجبت امه، كانت تنظر الى فم ولدها ، ماذا يقول ؟ هذه الماكنة الكبيرة و كل هذه الاجهزة و الاثاث ماذا حدث لها ، و كيف اعيد تنظيم هذه الغرفة بهذه السرعة و فرشت فيها الحصران و وضعت فيها الاسرة . اراد شةمال تخليص امه من هذا الاستغراب فروى لها الموضوع قاتلا :

بعد ذهابك بقليل دخل الدكتور حسن البيت و قال أن صاحب البيت قد ارسل في طلبه و روى له الموضوع ، فروى له الدكتور حسن كل شيء فحدث بينهما بعض التلاسن و قال له صاحب البيت لقد وثقت بك و اجرتك الدار ، في حين تريد انت ان تحرب بيتي و تسكن الدار مثل هؤلاء الاشخاص . كان قلبي يميل الى معرفة الموضوع .. فلجأ الدكتور الى كيل المديح اليه و قال له :

لكنني كنت اعلم أنك انسان شهم طيب و غيور و تساعد سرا الابرياء ، لذا فأني استنجدت بك و أنشاء الله لا يصيبك مكروه ، و الان اريد ان اعلم كيف تساعدنا في هذا الموضوع بخصوص هذه الاشياء ، و أن الولد سينتقل و لايعود مرة أخرى ، و كذلك يذهب الاخرون ايضا .

و كان صاحب البيت قد قال له :

__ فليبق الولد الذي يشتغل في الشركة و المرأتان في البيت الى الغد ، حتى إذا ما جاءوا لا يذهب بهم الظنون بأن ساكنيها قد هربوا ، او يضع الامن الدار تحت المراقبة و يتحرشوا بي اكثر ، فرضي الدكتور بذلك ، و قام الرجل بشهامة ، و ارسل فاخذ جهاز الرونيو و الة الطباعة و الاشياء الاخرى ليحتفظ بها في

مكان اخر ، و لكنه توسل الى الدكتور حسن بأن ننقل الاشياء بأسرع وقت من ذلك المكان و نقوم باخلاء الدار . كانت رحمه خان تكاد تطير من الفرح .

بعد ذلك عائق شتة مال امه و اخذها الى غرفة و اسر اليها ببعض الاقوال ثم جاء و طلب الوداع من وة نقوشة و شد مع فريدون و الدكتور حسن يد بعضهم البعض و خرجوا من البيت ، لكن ليس في الباب الرئيسي مثل السابق ، بل من نافذة كبيرة مسدودة بلوچين خشبيين كبيرين واقعة على البهو المطل على باحة دار صاحب الدار التي كانت واقعة خلف دارهم ، و ما أن ضربوها بقبضة يدهم حتى فتحها لهم الولد على مصراعيها ، و يظهر أنهم قبل تأجير الدار التي يسكنونها جعلوا من الباب بهذا الشكل و وضعوا عليه المفتاح من طرفهم ، و كان الغرض من استخدام هذا الباب السري الذي كانوا ساكنين فيها و الذي كانوا يعتبرونه نافذة مسدودة كان لأجل ألا يراهم أحد حين يغادرونها خشية أن تكون الدار تحت مراقبة الامن ، لان دار الابن كانت واقعة في زقاق اخر.

ظلت رحمه خان و وة نقوشة في البيت و لكنهما كانتا تحملان هم شتة مال لئلا يتعرض في الطريق الى ما لا تحمد عقباه ، و خاصة كانت الحكومة في تلك الايام تقوم باللقاء القبض على المواطنين يمينا و يسارا و تعرضهم للتعذيب و كانت تغيب اترهم الى فترة من الوقت ، و خاصة الذين كانوا قد القي القبض عليهم قبل عدة ايام فاعدمت ثلاثة او اربعة منهم .. و لكن مع ذلك كانت رحمه خان تعبر عن فرحها و ارتياحها كيف أن الله أدخل الشفقة و الغيرة في قلب صاحب الدار و أنقذهم من كل هذه الاجهزة الخطرة . كان شيئا جيدا لم يغيروا عليهم على حين غفلة ، أنتذ ماذا كان يمكنهم أن يفعلوا . لاشك في أن السلطات كانت تقوم باعدامهم ايضا و دون تردد ، لذا فانها كانت تحمد الله في قلبها و تدعو بالخير لصاحب البيت.

لم يمض كثير من الوقت حتى عاد كاوه ايضا و جلسوا مهمومين و ايديهم على قلوبهم و كان كل واحد منهم يفكر في شيء ، ثم يأتي الحديث على الرجل صاحب البيت كم كان شهما . ثم كانوا يعودون الى موضوع الغد و مالذي ينبغي عليهم أن يقولوه حين يأتون لتحري البيت . مرت رحمة خان يدها على وجهها و نظرت الى السماء قائلة : _

عمر بيتك ياربي .. قالت ذلك ، و ظهر صوت الاقدام على السطح و بدا دبيب السير عليه ، اما هم فكانوا ينظرون الى بعضهم البعض ذاهلين ، ما هذا الذي حدث ؟ و هنا طرق الباب بشدة فهرع كاوه مسرعا ، فهاجمت الشرطة ، افراد و مفوضين و ضباطا البيت و تظاهر كاوه بالجهل و كان يقول ما هذا ؟ تريدون بيت من ؟ مالذي حدث ؟ دفعه أحد رجال الشرطة و قال :

_ كفاك ثرثرة .. نحن قادمون لتحري هذا البيت . حين شاهد كاوه أن افراد الشرطة اخذوا في بعثرة ما كان موجودا في البيت ، و في الخارج احاطوا بتلك الازقة و البيوت و أنتشروا فوق السطح ايضا ، كان ينظر اليهم بذهول ، الى أن قطع عليه أحد المفوضين خياله و ناداه :

_ تعالی الى هنا ، قل لي هل هذا بيتك ؟
قال كاوه بهدوء : اجل .

ساله المفوض بشيء من الحدة : عملك ؟

_ اشتغل في شركة الغزل و النسيج ، و اخرج هويته و هو يقول ذلك .
بعد تفتيش البيت تفتيشا طويلا و دقيقا خرج ضباط الشرطة و المفوضون من الغرفة يائسين خائبين ، و احاطوا بالعمة و كاوه و وة نقوشة ، وجه معاون الشرطة الكلام و اشار الى رحمة خان قائلا :

_ هل هذه المرأة امك ؟

قال كاوه : كلا ، انها عمتي ، اخت والدي .

ثم مد يده مشيرا الى وةنقوشة و قال : من هذه ؟ زوجتك ؟
_ كلا انها ابنة عمتي . و لكن كاوه و هو على هذا الحال الذي كان فيه ، قال
في قلبه : ليت الامر كان كذلك .

نادى أحد المفوضين الشرطة الموجودين فوق السطح امرا اياهم بالنزول ، فنزلوا
الى باحة الدار و سلكوا الطريق الذهاب . كان كاوه يسير خلفهم لاعتلاق الباب
، فاقترب منه أحد المفوضين و قال : لماذا بيتكم خال من الاثاثات هكذا ؟ ليس
فيه سوى كرسيين او ثلاثة كراس و سرير و دوشكين و بعض المواعين ليس الا ؟
ادى كاوه تحية له و اجاب بابتسامة مصطنعة :

((سيدي .. كونت البيت حديثا ، فمنذ عدة اشهر و أنا احاول تكوين البيت..
ثم اضطربت كثيرا ، و اصبحت تائها حين شاهدتكم هجتم على البيت .. أنا
بعيد مثل هذه الاعمال !؟

كانت عيون رحمه خان و وةنقوشة قد جحظت و توقف لسانهما عن الحركة ، و
كانتا قد اصبحتا مثل يهود (زربار) خوفا ، لان قبل ساعات قليلة فقط ،
كان شةمال و كل هذه الاجهزة الخطرة هنا و لم يبق لها اثر في البيت ، و يقول
الحاكم صديق صاحب الدار ، كان من المفروض أن يأتوا غدا لتحري البيت ، في
حين أغاروا عليهم في هذا الوقت ، لذا فأنهم ، حتى بعد فترة من ترك الشرطة
المكان ، لم يكونوا قد استرادوا وضعهم الطبيعي .

كانت وةنقوشة تقول في نفسها : كان شيئا جيدا لفتت العباءة حول نفسي ، من يقول أنه
ليس بين افراد الشرطة و الامن هؤلاء ، من هم من معارف هذا المنحط زوج خالتي و
ابنه ثم كانت تسخر من عقلها و تقول : من شاهديني حتى يتعرف علي؟

أن الخوف من الشرطة لم يترك على هؤلاء تأثيره فقط ، و أنما كان صاحب البيت
ايضا خائفا خوفا كبيرا و حشر نفسه في غرفته و يقول لابنه باستمرار أنظر هل
ذهب الشرطة ام لا ؟

و كان يضرب على ركبته و يقول أن الدكتور حسن قد خرب بيتي ، خرب الله بيته ، و الا فكيف أوجر داري لاناس كهؤلاء ؟

و كان يخفق قلبه فجأة و يقول : و الان أخاف أن يقولوا لنفتش هذا المكان ايضا .. أنتذ ماذا افعل ؟ و اه ، في سبيل الله .. كان يقوم مضطربا و ينادي ابنه

مرة أخرى و يهمس في اذنه متلهفا : أنظر الم يذهب أحد نحو الخان ؟

كان يجلس احيانا ، و يقوم منتصبا احيانا مرة أخرى ، لم يكن يقدر له قرار في مكان واحد ، الى أن بشروه بأن الشرطة قد ذهبوا خالي الوفاض و صفر الديدن ، كان الرجل قد فقد نصف روحه .

بعد ذهاب الشرطة بنصف ساعة ، توجه كاوه الى رحمه خان و قال : عمتي العزيزة ، لا اعرف هل اذهب لتفقد ذلك الطرف ؟ ماذا تقولين ؟ و لكن قلبي لا يطاوعني أن اترككما وحيدتين .

قالت رحمه خان ، فليطاوعك قلبك عزيزي . ماذا يحدث لنا نحن الاثنتين لقد حفظنا الله هذه المرة ايضا ، عمر الله بيته ، لو يكن الامر كذلك ، كان ينبغي أن نكون الان .. ضربت العمه صدرها و قالت : اتوب اليك يا ربي ، لا أجرأ حتى على التفكير فيه ، ماذا كان يحدث لنا لو اغار علينا اولاد الكلاب هؤلاء قبل ساعة من ذلك الوقت ؟ ثم قالت بابتسامة باهتة ذابلة التي كانت علامات الخوف و الاضطراب لا تزال عليها :

_ اذهب يا بني ، كان الله في عونك : ثم غيرت لهجتها الى نبرة توسل و قالت

: حاول لعلك تعرف اخبارا عن الاولاد ، ماذا حدث لهم ؟ و الى اين وصلوا ؟

_ لا تحملي هما ، أنا الاخر من اجل هذا اريد أن اذهب . قال هذا و ذهب .

اغلقت رحمه خان و وثقوشة الباب و عادت لتذهب الى غرفتهما ، فوقفت و وثقوشة و قالت : ((عمتي العزيزة لا ذهب و احضر شاي و اتي لك بلقمة أكل

.. أننا يجب أن يفرح قلبنا و نحمد الله . فقالت رحمه خان : اجل بالله يا بنتي

ينبغي أن نشكر الله مادمننا باقين ، حسنا ، تصديقين ، هل ننام دون أكل ؟
قالت وةنقوشة بأبتسامة عذبة : هل كنا نفكر في أنفسنا حتى نفكر في أأكل ؟
بعد تناول طعام العشاء جمعنا المواعين و جلسنا على فراشيها و غرقنا في
الكلام كانت العمة تتحدث و وةنقوشة تكمل الحديث ، و في ثنايا الحديث ،
كانت العمة تقول فجأة : يا رسول الله ، أنشاء الله سيعود كاوه و هو يحمل
أخبارا سارة . و كانت وةنقوشة تقول ، بعون الله ، سيكون أنشاء الله قد تخلص
سالما و وصل الان الى مكان امن و جيد.

بعد قليل من الصمت نظرت وةنقوشة بأخلاص و حرص الى رحمة خان و قالت :
_ عمتي العزيزة . منذ متى أنت و الاخ شةمال هذا هو وضعكم ؟ كان الله في
عونكم ، فالواقع فأن هذا الوضع يحتاج الى شجاعة و رباطة جاش لا يمكن لكل
شخص أن يتحملها ، هزت العمة رأسها مبتسمة و قالت :

_ لو حدثتك عن ذلك ستصابين بالذهول و تقولين كيف ظللت باقية الى الان و
كيف تحملت كل خفقة القلب هذه و المتاعب . ثم وضعت المخدة . بمحاذاة الجدار
و اتكأت عليها و مدت رجليها و غطتها بالبطنية و قالت:

_ اتدرين منذ متى و أنا في هذا الوضع ؟ كان شةمال و الاطفال الاخرون
لازالوا صغارا ، قالت وةنقوشة مستغربة كيف ، منذ ذلك الوقت ؟

هزت العمة رأسها و قالت : ((نعم بالله منذ ذلك الحين ! سألت وةنقوشة
حريصة : كيف عمتي العزيزة ، لماذا هل كان الوضع كذلك أيضا في ذلك الوقت
و كأن الناس يناضلون عن اجل الكوردايتي ؟

_ و كيف يا إبنتي .. منذ وقت طويل هذا هو حال الكرد و وضعه أنتفض
مرات عديدة ضد الحكومات العنصرية ، و كم من المناضلين الكورد الابطال قد
علقوا على أعواد المشانق ، هذا عدا الاف الشهداء الذين سقطوا صرعى في
مياادين القتال ! و أنا منذ زمن والد حمه ، هذا هو حالي و كان والد حمه

معلما في السليمانية . كانت الشرطة تراقبه و ترصد حركاته مدعية أنه يناضل من أجل الكوردايقتي.. و توفرت الفرص لهم و القوا القبض عليه مع عدد من الاشخاص الاخرين . ثم اطلق سراحهم جميعا نتيجة مساعي وزير كوردي من أقارب أحد المعتقلين و عادوا الى اماكنهم . و لكن بعد عدة أشهر و بناء على تقرير الشرطة ، نقل والد حجه الى إحدى المدن الصغيرة في جنوب العراق . كان اطفالي آنذاك صغارا . بقينا اكثر من عشرة أعوام في مدن إحدى قرى العراق الجنوبية شأننا شأن المبعدين . ألا ترين أنني اتكلم العربية بطلاقة . أن وقتقوشة التي كانت تصغي اليها و كل فكرها عند اقوالها ، هزت رأسها و قال: أقول ، كيف تعرف العمة اللغة العربية هكذا .

خيم عليهما الصمت لفترة ، مدت العمة خلالهما يده الى جيبيها و اخرجت سبحتها و شرعت في عدد حباتها صامتة ، كانت وقتقوشة تحلق في يدها ، شاهدت أن العمة تشد يدها على حبات السبحة شدا حتى كان من المحتمل أن تنقطع السبحة، و كأنها كانت تود أن تصب جام عدم راحتها الفكرية و النفسية و همومها على حبات السبحة . و دت وقتقوشة أن تنقذها من هذه الخيالات ، لذا قالت:

__ عمتي العزيزة .. الا تجربني لماذا تعترين بهذه السبحة الى هذا الحد ؟

كانت العمة كأنما قد اوقظت من النوم ، قالت بأبتسامة مشوية بالحنجل : اتقصدين هذه السبحة عزيزتي ؟ هزت وقتقوشة رأسها و كورت العمة السبحة بين كفيها و شدت عليها ، ثم شرعت في شمها ، و مدتها الى وقتقوشة قائلة : شميها لتعرفي كيف هي ؟ و شمتهها وقتقوشة ايضا ، و قالت :

__ أن رائحتها طيبة ! ما هذا يا عمتي العزيزة . قالت العمة بابتسامة واهنة : هذه السبحة مصنوعة من شجر العود ، أنها قديمة جدا ، كانت تعود لاحدى خالات والدتي شملها الله بصفحه و غفرانه . كانت تحبني كثيرا في طفولتي . ثم لما كبرت و تمرضت هي في كبرها ، كانت تقول لي:

_ رحمه ، اذا مت ، فلتكن هذه السبحة لك مع قرآني لانني أحبهما كثيرا و لا اريد أن يقعا في أيدي اي شخص اخر . اعلم أنك فتاة مرتبة و متدبرة و ستحتفظين بهما ، لذا احب أن يكونا لك .. و هكذا تجدين أن سبحتي في جيبي دائما ، و كل هذه السنوات لم تفترق عني يوما . شملهما الصمت قليلا مرة أخرى و كانت العمة على وشك الوقوع في الدوامة مرة أخرى ، و لكن سرعان ما أنقذتها وةنقوشة حيث قالت : ما هذا يا عمتي العزيزة كأنك نعسانة ؟

_ كلا ، و الله لازال الليل في بدايته ، اي نوم ! أن قلبي فقط مهموم بسبب شةمال .

_ مادام الامر كذلك ، تحدثي عن حياتكم المليئة بالاحداث و المتاعب ، الى أن يرجع كاوه ايضا و يحمل لنا بشرى طيبة ، و آتئذ ننام . قالت العمة بوجه بشوش باسم : ثقي . لا ادري كيف اتحدث عنها و عن اي شيء اتحدث . أن كل واحد من مجريات الحياة تلك لا يسعها كتاب واحد و انها طويلة جدا ، و مليئة بالاتراح و المتاعب ، لذا لا أريد أن اصدع راسك بها .

_ كلا ، بالله عليك عمتي العزيزة . احلفك برأس الاخ شةمال ، تحدثي عن بعضها ، أنني احب ذلك . كانت رحمه خان و كأنها تفكر ، استنشقت نفسا طويلا ، و نظرت بوجه باسم الى وةنقوشة و قال :

_ مادمت تحبين ذلك ، سأحدثك عن سنتا الاولى التي القونا خلالها الى مكان يسمى (الدغارة) .

قالت وةنقوشة ضاحكة ، ما هي و اي اسم هذا ، هل هي مدينة ؟

_ تمهلي سأقول لك ما هي ؟ يا ضناني ، انها مدينة صغيرة تقع جنوب بغداد . حين تحركنا بالسيارة كانت الوقت ليلا ، لم تكن نرى شيئا ، فقط كنا نعلم بأننا نكاد نختنق بسبب الغبار و التراب . و الاولاد ، ماتت أمهم ، لم يكونوا قادرين على التنفس الى أن قالوا ها قد وصلنا و أنزلونا أمام باب احدى الدور التي

كان والد حمه قد ذهب قبلنا واستأجرها لنا . ضربت العمه بيدها على صدرها وقالت : حين دخلنا و اضعوا لنا المصابيح و نظرنا الى أنفسنا كنا كأن الثلج قد سقط علينا ، و لكن ثلج الغبار والتراب ، و كانت مناخيرنا و أعيننا ظاهرة للعيان فقط . و برغم كل ذلك ضحكت على أنفسنا الى حد لم تكن يدي قادرة حمل الاطفال و ادخالهم الى الدار . كيفما يكن الامر ، قضينا تلك الليلة ، لاننا كنا منهكين متعبين بسبب متاعب الطريق فاستغرقتنا في النوم دون حراك حتى الصباح . علما أن الوقت كان بداية فصل الشتاء ، و كان الناس ينامون في داخل الغرف . و استيقظنا صباحا مبكرين مع ثةختة اخت زوجي التي كانت رافقتنا و رتبنا البيت و غسلنا أنفسنا و الاولاد ايضا و جمعنا أنفسنا . كانت دارنا لا بأس بها و كانت مبنية بالاجر و لها باحة جميلة عليها عدد من الغرف . كانت الغرفة التي بجانب الباب للضيوف و تطل على شارع ترابي الذي كانت السيارات و المارة يسرون عليه فيثير ذلك غبارا كثيرا . و حين كنت تقطعين الشارع ، كنت تصلين الى نهير عكر طيني . كانت اشجار النخيل تحيط بنا و كان اهل المدينة معظمهم فقراء معوزين . كما كان فيها بعض الاغنياء ممن فتح الله عليهم ابواب الرزق ، و كانت معظم دورهم من الاكواخ مبنية من اشجار النخيل و الطين .

بعد يومين قدمت عوائل الموظفين للترحيب بنا ، و نحن ، أنا و اخت زوجي و الاطفال لا نعرف كلمة عربية واحدة ، تعالي و أنظري الينا ، ثقى أن الشكالي كانوا يموتون من الضحك من موقفنا و كلامنا . كنا ، أنا و الاطفال نغتسل يوميا و لكن بعد ساعتين او ثلاث ساعات ، كانت الاتربة و الغبار تعيدنا الى مثل ما كنا عليه . أن سكان المدينة كلهم كانوا من العرب الشيعة ، يحبون الاغراب و كانوا أناسا مساكين و طيبين . لم تكن تمر ليلة لا يعلو فيها صوت رشقات الرصاص في داخل البساتين المحيطة بنا ، و حين كنا نسال ، ما سبب

هذه الاطلاقات ، كانوا يقولون أنهم من العشائر و هذا هو حالهم كل ليلة ، هذه العشيرة تقتل من تلك العشيرة ، و تلك تقتل من هذه العشيرة ، و كل ذلك على اشياء تافهة .. كان يصادف احيانا ، أن ينشب القتال على سقي بساتينهم أو على صفيحة زائدة أو ناقصة من الخنطة او الشعير ، فكانوا يوقعون ثلاثة او اربعة اشخاص صرعى من بعضهم البعض ، و في الصباح ، كانوا يأخذون الاموات باللطم و المناحة ليواروهم التراب . في كثير من الليالي ، كانت السيارات المسلحة للشرطة تحضر على اصوات اطلاق النار و يغيرون عليهم و يعتقلون عددا منهم ، و الاخرون يطلقون سيقانهم للريح و يهربون . كما أنهم كانوا يأتون بموتاهم على النهر ، أن كانوا رجالا و يغسلونهم هناك و يلفون عليهم الخام و يطوون عليهم حصيرة و ينقلونهم راسا الى النجف او كربلاء ، هذا اذا كان وضع الميت المالي على ما يرام ، اما اذا كان فقيرا ، فأنهم كانوا يدفنونه بصورة مؤقتة الى أن كان يتيسر لهم جمع مبلغ من المال ، فيخر جونه و ينقلونه الى إحدى تلك المدينتين.

سحبت وةنقوشة البطانية على رأسها وتكورت مثل من يطغى عليه الخوف ولايريد اظهاره، ونظرت الى رحمه خان وقالت: كان الله في عونكم و اذن كانت تلك المدينة ، مدينة الاموات ، ياترى كيف كنتم تستطيعون العيش هناك؟ -نعم والله ، يابيتي ، فبدلا من السفرات وقضاء وقت ممتع كان هذا حالنا كل يوم. غيرت رحمه خان هذا الموضوع فجأة وقالت : ياترى كم الساعة الان؟ ومدت يدها الى جيبها التي كانت فيه محفظة جلدية صغيرة ونظرت اليها وقالت : الساعة الحادية عشرة ، الوقت متأخر ، لابس أنشاء الله كاوه على وشك العودة .

تشاءبت وةنقوشة وقالت : هيا بالله عليك يا عمتي العزيزة أنا لست نعسانة ، اكلمي حديثك ، أنه حديث شيق جدا ، قالت العممة :

-يأتيني النوم ؟ والله حتى لايعود كاوه ويأتي بخبر ، لايجد النوم الى عيني
سبيلا ولايكون لي صبر ، كأنني على جمرات من النار !
قالت وةنقوشة : لك الحق كل الحق . خجلت أن تتحدث عن نفسها وتقول لست
عامة بلبقي أنا ، فمنذ أن تركنا شةمال ، كأن الدنيا قد أقفرت . وأن مكانه
بارز كأنني قد فقدت اعز واغلى شيء لدي ، وأن كل هؤلاء الشرطة والتحري
وتفتيش البيت والضجيج لم يكونوا قادرين لحملي على نسيانه ولو قليلا !
ارادت وةنقوشة أن تقفز على حديث قلبها ، لذا فانها نظرت الى رحمه خان
وقالت : مادمت غير نائمة فلنتكلم .

سعلت رحمه خان سعالا خفيفا وقالت : أقول لأبنتي ، مرت فترات ونحن في هذه
المدينة ونوشك أن نتعود مرغمين . صادف يوما أن جاءنا ضيوف وكانت معهم
طفلة او طفلتان قي عمر شتوبو و شقرمن هكذا في السادسة او السابعة من
العمر . فذهبن الى الخارج امام الباب معا للعب .

كان جارنا الذي باب دارهم بجانب باب دارنا ، عائلة طبيب موصللي والذين
كانوا قد جاءوا حديثا . كانت مع الطبيب امه واحدى اخواته وكانتا ترتديان
لابس سوداء ، كان يبدو ، ابعدا الله عنا ، أنهما في تعزية . كانت الفتاة في
حوالي السابعة عشرة او الثامنة عشرة من عمرها، فتاة بيضاء باهتة وكانت
امها تبدو امرأة عبوسة، وظهر لنا بعد ذلك أن والد الطبيب قد توفي حديثا .

وكان الطبيب قد اتخذ من الغرفة المشاهبة لغرفة استقبالنا والواقعة على
الشارع كعيادة يفحص فيها المرضى . يبدو أن المسكينة والدة الطبيب كانت
منقبضة الصدر نوعا ما ، وجاءت ووقفت عند نافذة صورة ورود كبيرة ولدى
وقوفها كان جزء من ستائر النافذة قد غطى قسما من رأسها . وحين ذهب
الاطفال ليلعبوا اما الباب كان نظرم قد وقع عليها من خلال النافذة فهربوا
وقالوا : يوجد في غرفة مرضى الطبيب ميت عاد الى الحياة فينظر الى الشارع

، وهكذا بدأ الاطفال الصغار يركضون ، يلصقون رؤوسهم على زجاج النافذة ، ثم كان يركضون ويصرخون ، ونحن في داخلي لانعلم من الامر شيئا . بعد ذلك وحين غادرنا الضيوف ، ارسلت إلينا والدة الطبيب من يقول لنا : لم لا تنصحون بناتكم ، اذ أنهن يقدن الاطفال الصغار يأتون وينظرون الينا ويسخرون منا . وقال لهم والد حمه :

-كيف يجرو أن على ذلك ، سأطلع عيونهم لو كرروا ذلك مرة أخرى ، ثم اعتذرنا لهم ، بعد ذلك لما سألنا من الفتيات روين لنا مالذي حدث ، فنهراهن واظهرنا لهن غضبنا من عملهن وطلبنا منهن عدم تكرار ذلك مرة أخرى ، اذ كيف يعود الميت الى الحياة ، ولكن مع ذلك ضحكنا نحن من جانبنا في سرنا وقلنا ماذا يعمل الميت في تلك الغرفة . وكان الاطفال على حق ، اذ أن لعبهم ، و سفراتهم وقضاء وقت سار كان منصبا على التفرج على جثث الموتى والمناحات .. هنا جاء صوت قرع الباب ، فأنتقضت رحمه خان وقالت : ياربنا العظيم ، هذا هو كاوه قد عاد والشكر الله ، قامت ولم تدع أن تذهب وةنقوشة ، بل ذهبت هي لتفتح الباب . وكانت وةنقوشة تتمنى ذلك ، لان موضوع الحديث عن تلك المدينة والاموات قد اوقعت رعبا في قلبها ربما لم تكن قادرة على الذهاب لفتح الباب .

حين دخل كاوه البيت بوجه باسم ، فهمت رحمه خان بأن كل شيء قد تم تنفيذه بشكل منتظم ومرتب ولذا فانها وهم في طريقهم الى الغرفة سألت كاوه بخفوت : الحمد لله كلهم سالمون ؟

كان كاوه يبدو منهكا ومتعبا ، واستنشق نفسا طويلا وقال : الشكر لله ، كلهم سالمون ، واخبروهم عن تحري البيت ، وكيف أنتما ؟ ردت رحمه خان بقلب مفعم بالفرح قائلة : والله كنا واقعتين في همكم ، حسنا ، وأنت الاخر متعب ، فاذهب وخذ راحتك . قال كاوه بسرعة :

نعم ، والله أني متعب جدا ، لو تعلمين كم سرت ماشيا وكم من الازقة قد عبرتها وهناك حتى نلت الاطمئنان .. اذن اسعدتم مساء .

ذهب كاوه بسرعة ، ولكنه التفت فجأة وسال رحمه خان بالله عليك وكيف ثقري خان ؟ ألم تشعر بالخوف من الشرطة والضجيج الذي اقاموه؟

كلا ، والحمد لله ، لقد كانت شجاعة ومقدامة وجديدة ... وهكذا توجهت الى غرفتهما ، وما أن وصلت الى وةنقوشة وروت لها الخبر ، اطفأنا المصباح وخيم عليهما الصمت .

وفي الصباح المبكر ، شرب كاوه شايا وخرج على عجل ، بعد أن قال للعملة لو تأخرت لاتقلقا من أجلي لأنه كما قال ، في عهده عمل هام ومستعجل عليه أداؤه ، ومن المحتمل الا يعود الا في وقت متأخر من الليل .

وما أن ذهب كاوه ، اخذت رحمة خان و وةنقوشة في جمع الاشياء ، حيث وضعتا كل الاشياء داخل صندوقين من صناديق الشاي الفارغة وحضرتا نفسيهما .

ولما عاد كاوه مساء بوجه بشوش سلم عليهما وقال : كان جيدا أن تم عملي سرعة ، ثم توجه الى رحمه خان هامسا ، الحمد لله لقد غادرا . فقالت رحمه خان متلهفة كيف وبهذه السرعة . قال كاوه بابتسامة منتصر : اذن كيف ؟ أنتم

كيف تنظرون الينا وبماذا تحسبوننا ؟ من المحتمل أن تظنوا أننا مسخرة ؟ ضحكت رحمة خان و وةنقوشة من كلامه وصمتتا ، بعد فترة قامت وةنقوشة وذهبت الى غرفة المطبخ ، فقربت رحمة خان رأسها من كاوه وقالت له هامسة :

الان لم يعد شةمال موجودا في بغداد ؟ بالله عليك ، كيف يمكن أن يتخلص من كل نقاط التفتيش هذه ؟ يقولون أنهم قد علقوا صورته لديهم ؟ قال كاوه بصوت خافت : لا تحملي هما ، سافر بسيارة صديق ، اذ لايوقفون تلك السيارة في نقاط السيطرة للتفتيش . شعر كاوه أن رحمة خان لازالت غير مطمئنة وتشعر

بالقلق .. فقرب رأسه منها وهمس في اذنها قائلا :

-أن صديقنا هذا ضابط ، ضابط ، فكفكاف قلقاً وليفرح قلبك !
نظرت رحمةخان الى كاوه وقالت بصوت منخفض : هل يذهب رأسها في
السليمانية ؟ او يتعرج على مكان اخر ؟
-سيبقى فترة في كركوك . وكتب لى رسالة أوصاني فيها ببعض الاعمال ، وفيما
يخصكما ، يقول يجب أن تعودا الى السليمانية . لذا فأننا سنبقى هنا هذه الليلة
فقط ، وسأخذكم معي غدا صباحا واخرجكم من هنا ، فلتبقى تلك الاثاثات هنا
، وسوف أنقلها في ما بعد . كان شةمال قد ركب في المقعد الخلفي لسيارة الضابط
الصديق . وكان قد ارتدى بذلة من الملابس الكوردية (الشروال والستارخاني) وشد
على رأسه لفة كوردية كبيرة (المشكي) وتدللت الكرايش المرومة منه على وجهه
وجوانب عنقه ، والصق شاربين مصطنعين على شاربيه الخليقين . وصعد بجانب
الضابط رجل يرتدي ملابس الموظفين ((الأفندية)) وملاؤا الصندوق الخلفي
للسيارة بالفواكه والمأكولات والتمر والمواعين والصواني، وتحت كل هذه ، كانوا قد
أخفوا آلة طباعة صغيرة وثلاثة او اربعة بنود من الورق.

كنت الخان

كانوا يدفونه بصورة مؤقتة الى أن كان يتيسر لهم جمع مبلغ من المال ، فيخر
جونه وينقلونه الى إحدى تلكما المدينتين.

سحبت وةنقوشة البطانية على رأسها وتكورت مثل من يطغى عليه الخوف
ولايريد اظهاره، ونظرت الى رحمه خان وقالت: كان الله في عونكم و اذن كانت

تلك المدينة ، مدينة الاموات ، ياترى كيف كنتم تستطيعون العيش هناك؟

-نعم والله ، يابنيتي ، فبدلا من السفرات وقضاء وقت ممتع كان هذا حالنا كل
يوم.

غيرت رحمه خان هذا الموضوع فجأة وقالت : ياترى كم الساعة الان؟ ومدت
يدها الى جيبها التي كانت فيه محفظة جلدية صغيرة ونظرت اليها وقالت :

الساعة الحادية عشرة ، الوقت متأخر ، لابس أنشاء الله كاهه على وشك العودة .

تشأبت وةنقوشة وقالت : هيا بالله عليك يا عمتي العزيزة أنا لست نعسانة ، اكملني حديثك ، أنه حديث شيق جدا ، قالت العمه :

-يأتيني النوم ؟ والله حتى لايعود كاهه ويأتي بخبر ، لايجد النوم الى عيني سبيلا ولايكون لي صبر ، كأنني على جمرات من النار !

قالت وةنقوشة : لك الحق كل الحق . خجلت أن تتحدث عن نفسها وتقول لست عالمة بلبقي أنا ، فمنذ أن تركنا شةمال ، كأن الدنيا قد أقفرت . وأن مكانه بارز كأنني قد فقدت اعز واعلى شيء لدي ، وأن كل هؤلاء الشرطة والتحري وتفتيش البيت والضجيج لم يكونوا قادرين لحملي على نسيانه ولو قليلا !

ارادت وةنقوشة أن تففز على حديث قلبها ، لذا فانها نظرت الى رحمه خان وقالت : مادمت غير نائمة فلنتكلم .

سعلت رحمه خان سعالا خفيفا وقالت : أقول لأبنتي ، مرت فترات ونحن في هذه المدينة ونوشك أن نتعود مرغمين . صادف يوما أن جاءنا ضيوف وكانت معهم طفلة او طفلتان قي عمر شقوبو و شقمرمن هكذا في السادسة او السابعة من العمر . فذهبن الى الخارج امام الباب معا للعب .

كان جارنا الذي باب دارهم بجانب باب دارنا ، عائلة طيب موصلي والذين كانوا قد جاءوا حديثا . كانت مع الطبيب امه واحدى اخواته وكانتا ترتديان لابس سوداء ، كان يبدو ، ابعداها الله عنا ، أنهما في تعزية. كانت الفتاة في حوالي السابعة عشرة او الثامنة عشرة من عمرها، فتاة بيضاء باهتة وكانت امها تبدو امرأة عبوسة، وظهر لنا بعد ذلك أن والد الطبيب قد توفي حديثا .

وكان الطبيب قد اتخذ من الغرفة المشاهبة لغرفة استقبالنا والواقعة على الشارع كعيادة يفحص فيها المرضى . يبدو أن المسكينة والدة الطبيب كانت

منقبضة الصدر نوعا ما ، وجاءت ووقفت عند نافذة صورة ورود كبيرة ولدى وقوفها كان جزء من ستائر النافذة قد غطى قسما من رأسها . وحين ذهب الاطفال ليلعبوا اما الباب كان نظرم قد وقع عليها من خلال النافذة فهربوا وقالوا : يوجد في غرفة مرضى الطبيب ميت عاد الى الحياة فينظر الى الشارع ، وهكذا بدا الاطفال الصغار يركضون ، يلصقون رؤوسهم على زجاج النافذة ، ثم كان يركضون ويصرخون ، ونحن في داخلي لانعلم من الامر شيئا . بعد ذلك وحين غادرنا الضيوف ، ارسلت إلينا والدة الطبيب من يقول لنا : لم لا تنصحن بناتكم ، اذ أنهن يقدن الاطفال الصغار يأتون وينظرون إلينا ويسخرون منا . وقال لهم والد حمه :

-كيف يجرؤ أن على ذلك ، سأطلع عيونهم لو كرروا ذلك مرة أخرى ، ثم اعتذرنا لهم ، بعد ذلك لما سألنا من الفتيات روين لنا مالذي حدث ، فنهراهن وظهرنا لهن غضبنا من عملهن وطلبنا منهن عدم تكرار ذلك مرة أخرى ، اذ كيف يعود الميت الى الحياة ، ولكن مع ذلك ضحكنا نحن من جانبنا في سرنا وقلنا ماذا يعمل الميت في تلك الغرفة . وكان الاطفال على حق ، اذ أن لعبهم ، و سفراتهم وقضاء وقت سار كان منصبا على التفرج على جث الموتى والمناحات .. هنا جاء صوت قرع الباب ، فأنتقضت رحمه خان وقالت : ياربنا العظيم ، هذا هو كاوه قد عاد والشكر لله ، قامت ولم تدع أن تذهب وتنفوشة ، بل ذهبت هي لتفتح الباب . وكانت وةنفوشة تتمنى ذلك ، لان موضوع الحديث عن تلك المدينة والاموات قد اوقعت رعبا في قلبها ربما لم تكن قادرة على الذهاب لفتح الباب .

حين دخل كاوه البيت بوجه باسم ، فهمت رحمه خان بأن كل شيء قد تم تنفيذه بشكل منتظم ومرتب ولذا فانها وهم في طريقهم الى الغرفة سألت كاوه بخفوت : الحمد لله كلهم سالمون ؟

كان كاوه يبدو منهكا ومتعبا ، واستنشق نفسا طويلا وقال : الشكر لله ، كلهم سالمون ، واخبروهم عن تحري البيت ، وكيف أنتما ؟ ردت رحمة خان بقلب مفعم بالفرح قائلة : والله كنا واقعتين في همكم ، حسنا ، وأنت الآخر متعب ، فاذهب وخذ راحتك . قال كاوه بسرعة :

نعم ، والله أنني متعب جدا ، لو تعلمين كم سرت ماشيا وكم من الازقة قد عبرتها وهناك حتى نلت الاطمئنان .. اذن اسعدتم مساء .

ذهب كاوه بسرعة ، ولكنه التفت فجأة وسال رحمة خان بالله عليك وكيف ثقري خان ؟ ألم تشعر بالخوف من الشرطة والضجيج الذي اقاموه؟

كلا ، والحمد لله ، لقد كانت شجاعة ومقدامة وجديدة ... وهكذا توجهت الى غرفتهما ، وما أن وصلت الى وةنقوشة وروت لها الخبر ، اطفأتا المصباح وخيم عليهما الصمت .

وفي الصباح المبكر ، شرب كاوه شايا وخرج على عجل ، بعد أن قال للعملة لو تأخرت لاتقلقا من أجلي لأنه كما قال ، في عهده عمل هام ومستعجل عليه أداؤه ، ومن المحتمل الا يعود الا في وقت متأخر من الليل .

وما أن ذهب كاوه ، اخذت رحمة خان و وةنقوشة في جمع الاشياء ، حيث وضعتا كل الاشياء داخل صندوقين من صناديق الشاي الفارغة وحضرتا نفسيهما .

ولما عاد كاوه مساء بوجه بشوش سلم عليهما وقال : كان جيدا أن تم عملي سرعة ، ثم توجه الى رحمة خان هامسا ، الحمد لله لقد غادرا . فقالت رحمة خان متلهفة كيف وبهذه السرعة . قال كاوه بابتسامة منتصر : اذن كيف ؟ أنتم

كيف تنظرون الينا وبماذا تحسبوننا ؟ من المحتمل أن تظنوا أننا مسخرة ؟ ضحكت رحمة خان و وةنقوشة من كلامه وصمتتا ، بعد فترة قامت وةنقوشة

وذهبت الى غرفة المطبخ ، فقربت رحمة خان رأسها من كاوه وقالت له هامسة :

الان لم يعد شةمال موجودا في بغداد ؟ بالله عليك ، كيف يمكن أن يتخلص من

كل نقاط التفتيش هذه ؟ يقولون أنهم قد علقوا صورته لديهم ؟ قال كاوه بصوت خافت : لا تحملي هما ، سافر بسيارة صديق ، اذ لايقفون تلك السيارة في نقاط السيطرة للتفتيش . شعر كاوه أن رحمة خان لازالت غير مطمئنة وتشعر بالقلق .. فقرب رأسه منها وهمس في اذنها قائلاً :

- أن صديقنا هذا ضابط ، ضابط ، فكفاك قلقاً وليفرح قلبك !

نظرت رحمة خان الى كاوه وقالت بصوت منخفض : هل يذهب رأسها في السليمانية ؟ او يتعرج على مكان اخر ؟

- سيبقى فترة في كركوك . وكتب لى رسالة أوصاني فيها ببعض الاعمال ، وفيما يخصصكما ، يقول يجب أن تعودا الى السليمانية . لذا فأنا سنبقى هنا هذه الليلة فقط ، وسأخذكم معي غدا صباحا واخرجكم من هنا ، فلتبقي تلك الاثاثات هنا ، وسوف أنقلها في ما بعد . كان شةمال قد ركب في المقعد الخلفي لسيارة الضابط الصديق . وكان قد ارتدى بذلة من الملابس الكوردية (الشروال والستارخاني) وشد على رأسه لفة كوردية كبيرة (المشكي) وتدلّت الكرايش المبرومة منه على وجهه وجوانب عنقه ، والصق شاربين مصطنعين على شاريه الخليقين . وصعد بجانب الضابط رجل يرتدي ملابس الموظفين ((الأفندية)) وملاؤا الصندوق الخلفي للسيارة بالفواكه والمأكولات والتمر والمواعين والصواني ، وتحت كل هذه ، كانوا قد أخفوا آلة طباعة صغيرة وثلاثة او اربعة بنود من الورق .

وما أن كانوا يقتربون من نقاط التفتيش، كان شةمال من بعيد يتخذ شكل شخص احوال حتى أنه كان من اليحتمل الا يتعرف عليه اقرب المقربين اليه . وكان الصديق الضابط الذي كان اسمه (ازا) يسوق السيارة بنفسه، وفي نقاط التفتيش حينما كان رجال الشرطة يشاهدونه يقطعون ببساطليلهم ويقفون موقف التحية ويقولون: تفضل سيدي، فكانوا من جانبهم يردون على تحيتهم

ويسلكون طريقهم، وما أن كانوا يبتعدون، حتى يغرقون في الضحك بحول عيني شةمال واللفة (مشكي) والكراكيش المتدللية وشاربيه الكثين.

وصلوا كركوك حوالي المساء و أنزلوا شةمال في أحد البيوت وكان يجب أن يبقى هناك الى حلول الليل، ثم جاء أحد اصدقائهم الاخرين واخذ شةمال الى مكان اخر ولدى صديق كان يعيش في بيت اخته والتي كان زوجها يشتغل طاهيا في بيت مدير شرطة كركوك ولم يكن على ذلك البيت اي خطر. لذا فأن هذا الولد الذي كان اسمه أنور، يوزع البيانات المنشورات هنا وهناك حسب مايشتهي ويريد، وكان يقوم بأي شيء اخر حسب هواه دون أن يعرف زوج اخته بذلك. كانت اخته تعلم ببعض ماكان أخاها يقوم به، غير انها كانت تغض الطرف عنه وتخفيه.

لم يكن لاخت انور اطفال، والظاهر أن النقص كان في زوجها لذا فإنه كان يسعى الى جبر خاطرها. كانت امرأة حنطية اللون خفيفة الظل حلوة القسمات وكانت في الخامسة والثلاثين من عمرها، في حين كان عمر زوجه ضعف عمرها هي. لذا فكان يحمل يوميا من كل لذ وطاب من مآكل بيت مدير الشرطة الى زوجته واخيها. كان يملك دارا جميلة مكونة من ثلاث غرف وبهو وباحة صغيرة في محلة شاطرلو كانت ثمة حديقة في وسط الباحة. وفي القسم الاعلى من الباحة، كانوا قد صنعوا قنأ منظما للدجاج من الحشب والاسلاك يربون فيه عددا من الدجاج والديكة.

صار شةمال شريكا لانور في غرفته، كما أنهما كانا يتخمان بطنيهما يوميا من كل هذه الانواع اللذيذة من الاطعمة التي كان الطباخ يأتي بها اليهما دون أن يدري مايقومان به، سوى أن زوجته كانت قد اخبرته بأنه شاب من أقارب امها بعثت به أن يبقى فترة من الوقت هنا مع أنور. وهكذا ورغم أن الرجل لم يكن

يستسيغ ذلك قلبيا ولم يكن مرتاحاً بأن يظل شاب وسيم، ممشوق القامة مقبول الشكل في بيته، وزوجته الشابة بهذا الجمال، ولكنه كان مضطرا وعليه الازدعان إكراما لخطر زوجته، وليس أن يقبل هذا الامر فقط، بل يجب عليه أن يظهر البشاشة والاريجية ازاءه وأن يظهر بأنه يجب ذلك مادام قريبا وقريب اخيها، ولكن مع ذلك كان القلق والخيالات يشوشان عليه فكره.

كان صاحب البيت طباحا مشهورا، وكان في حينه طباحا في النادي العسكري في كركوك. ولكن مدير الشرطة الذي عدا كونه غنيا، كان لصا كبيرا ومشاكسا عنيدا، كان قد استطاع بالمال والتهديد أن يجذبه الى جانبه، وخاصة لانه كان كثير الضيوف، ويقيم الولائم للقسم الاعظم من الوزراء والمدراء العامين والنواب وكبار رجال الدولة الذين كانوا يأتون الى مدينة كركوك او يبرون بها. وسرعان ما ظهر للطباخ الذي كان اسمه اسماعيل، بأن عمله هذا افضل من عمله السابق من جميع الوجوه، لانه حر الى حد كبير في عمله حتى يبدو وكأنه صاحب كل ماهو موجود في مطبخ البيت. لذا فإنه كان يذهب في الساعة السابعة صباحا الى هناك، والى ساعة متأخرة من الليل ويعود الى البيت مرة واحدة لانه كان يجب أن يتناول الطعام مع زوجته، لذا فإنه كان يعود في الساعة الثالثة والنصف او الرابعة وهو يحمل نصيبه من الطعام الذي كان اكثر في كل الاحوال من طعام البيت، وكانا يتناولان الطعام وياخذ قسطا من الراحة، وسواء كان لديه عمل ام يكن لديه، كان يعود الى بيت المدير الذي كان بعيدا عن بيته مسافة خمس دقائق فقط.

ولكن بعد أن قدم شةمال الى بيتهم، كان يعود الى البيت مرات عديدة وبذرائع شتى، ومن اجل الاتقول زوجته لماذا يفعل ذلك، كان في كل مرة يملا زنبيلًا من مختلف أنواع الماكولات ويجلبه ويقول لزوجته: بالله عليك يا قمر العزيزة، من اجل الضيوف لا أريد أن ينقصنا شيء.

في البداية كانت تعتقد أنه يصدق وأن مايفعله هو من اجل ارضاء الضيف، ولكن حينما لاحظت أن الامر قد خرج عن الطور الاعتيادي فكرت وقالت لنفسها بحدة وغضب:

هل يمكن أن يكون هذا العجوز قد أسر في نفسه سوء الظن بي ومن اجل هذا يأتي ويذهب ويعود الى البيت بكثرة؟

وكان السيد اسماعيل قد ضاقت به الدنيا، حينما يعود الى البيت على حين غرة ويلاحظ أن أنور قد خرج وأن زوجته والضيف فقط في البيت. يارب ماهذا؟ أن هذا الضيف يخرج من البيت ابدأ، ولم اعد الى البيت مرة وهو خارج البيت. اذن ماذا يمكن أن يكون هذا الامر؟ من الواضح انه لا يخرج من البيت من أجل قمر. أن هذه الخيالات، كانت قد اوصلته الى حد أنه لم يكن النوم يعرف الى عينيه سبيلا في الليل نتيجة الهم والقلق وعدم الشعور بالارتياح. احست زوجته بذلك فدعت اخاها وحدثته عن الموضوع قائلة "أخاف أن يفكر الرجل بسبب قلقه في الحاق بلاء باخينا هذا. وخاصة أنه يشتغل عند هذا الرجل الشقي ذي السلطة ويستطيع القيام بكل الاعمال السيئة، فماذا نفعل؟

وكان شةمال المسكين يعتبر كل نساء وفتيات العالم مثل اخواته وامه، لانه كان شابا محترما وكل تفكير ووعيه واحاسيسه عنه اعماله والكوردايقتي. وأن الشخص الوحيد الذي كان منذ أن خرج من بغداد قد حل في قلبه وكان قلبه يعصر من اجله، كانت وةتقوشة، رغم أنه كان احيانا يريد أن يخدع نفسه ويتظاهر باللامبالاة ويقول: ماذا في الامر، كيف أن تفكيره يكون عند امه والآخرين، كذلك يفكر فيها هي الاخرى مثل الاخرين، ولكن سرعان ماكانت احاسيسه وقلبه ورغباته وتفكيره وكل جارحة من جوارحه تكذبه وكانى بها تقول: سيدي، لا يحتاج الامر الى هذا الامر، فأن وةتقوشة قد دخلت قلبك الى حد لو كان الامر بيدك، لكنت تحلق باجنحتك وتطير اليها، اذن، لا يحتاج المر

الى هذه المغالطات ولا تخدع نفسك بالقول تافهة ولا تجعل من نفسك وليا من اولياء الله.

وقعت قمر واخوها في هم ماينبغي أن يفعلاه وكيف يخرجان هذه الافكار والخيالات في راس هذا الرجل الذي كان على حق، وأن اي شخص اخر لو كان في محله، لكان يفعل مثل ما فعله هو، وخاصة لو لم يكن عالما باسباب عدم خروج هذا الشاب من البيت وحشر نفسه فيه وزوجته معه وحيدة في البيت وخاصة أنه يحب زوجته كل هذا الحب ويريد كل مسرات الدنيا لها! من هذا الجانب كانت قمر تشفق اشفاقا كثيرا على زوجها، لذا عقدت العزم أن تتحدث مع زوجها حديثا هادئا وتنقذه من هذا القلق، من المحتمل لو سار الامر على هذا المنوال أن تراق الدماء من خلاله، وخاصة لم يكن لهم حل اخر، لانه كان لابد أن يبقى شتةمال هناك حتى يجدوا له، على مهل، مكانا افضل.

وفي الغد، حين عاد السيد اسماعيل على حين غرة ولم يكن يحمل شيئا ويبدو غاضبا وغير مرتاح، ويبدو أنه كان يعلم أن زوجته تشعر بأن عودته المكررة والمفاجئة هي بسببها والضيف الموجود وأنه لايستطيع هذا الوضع.

اضهرت زوجته البشاشة ونادته الى غرفتهما، وقالت: تعالي فأن لي عملا معك، كان الرجل قد مال لون وجهه الى الاصفرار وجحظت عيناه وبدا عليه قدر أكبر من الضعف ويشعل السيكارا بالسيكارا ويده ترتجف. حين دخل الغرفة، جلست زوجته امامه وادرات وجهها اليه وقالت بهدوء: قل لي، ماذا بك لماذا تغيرت هذه الفترة هكذا؟ قل لي سبب عدم ارتياحك وأنا ساطلعك على سري.

خفق قلب الزوج خفقانا سريعا واحس أنه على وشك أن يصاب بالدوار، كان حلقه قد جف وكذلك شفاته، وقال في نفسه: هاهو لم يخني خيالي ولم اكن على خطأ، لست حمارا، ها هي تريد أن تقول لي: لا اريدك، يجب أن تطلقني، حتى

تذهب وتتزوج هذا الرجل.. نعم لاعمال شينا اروح اطلقها. ساقتلهما كليهما الان. أن رغد ومسرات حياتي كان لها، واذا فقدتها هي فلا اريد الحياة.. قطعت قمر عليه خياله وقالت: لماذا أنت صامت فلاعلم مايدور في خيالك اطلعني عليه من اجل أن اخبرك أنا ايضا ما في قلبي.

عاد السيد اسماعيل الى هدوته قليلا وقال في نفسه:

أن هذا العمل لاينفذ باستعجال، فلافكر فيه، كيف وبماذا اقضي عليهما كليهما، لانني وحدي لااقدر عليهما، سيقتلاني ويهربان.. بهذه الاقوال اظهر الهدوء كما في السابق، وقال بابتسامة مصطنعة: اذهب الان الى الدكان واشتري علبه سيكاره. قالت قمر، كلا، لاتذهب الان، بل اخبرني ماذا تريد أن تقول، ثم نظرت بابتسامة مشوية بالعتاب الى زوجها وقالت: أسأت الظن بي وتظن أن ثمة علاقة بين وبين هذا الضيف المسكين؟ خفض زوجها رأسه والتزام بالصمت. لاحظت قمر أن الدموع على وشك التدفق على خده الذابل اخذة طريقها الى لحيته التي وخطه الشيب. فقامت هي بدلال واقتربت منه ووضعت يديها كليهما على كتفه والصقت رأسها بجانب عنقه وخده وقالت:

الاتشعر بالعار وتفكر هكذا تفكير؟ الا تعرفني كيف أنا؟ الاتعرفني منذ الطولة؟ كان زوجها يعض على شفثيه حتى لايبكي. قبلها وقال بصوت خافت ومو يبكي: لم يكن الامر بيدي كنت على وشك الجنون. قالت قمر بمزيد من الهدوء: هل تعدني لو افشيت سر هذا الرجل أنك لاتغضب وستساعده؟ مرر زوجها منديله على وجهه وقال بصوت يخنقه البكاء: اي شيء تقولينه فأنا تحت امرك. فتوجهت اليه قمر وقالت:

أن هذا الشاب ضيفنا هو مناضل وطني كردي محتف وهارب وأن الحكومة ظامنة بدم رأسه الشرطة والامن يبحثون عنه بكل ما أوتوا من امكانيات. وجاء به أنور الى هنا لانه بيتك وأنت طاهي مدير الشرطة، لايدور بخلد أحد

أنك تخفي رجلا كهذا في بيتك... هل فهمت الان أسباب عدم خروج هذا الشاب من البيت؟! وأود أن أقول لك بأنه لن يطول به المقام هنا، وسيغادرنا بعد فترة أخرى ولن يبقى في كركوك.. هذه هي الحقيقة.. والان ماذا تقول؟ كانت عينا اسماعيل قد جحظتا بتباطؤ: ولكن لماذا لم تقولوا لي ذلك في البداية؟

-خفنا أن يعتريك الخوف والا ترضى بأن يبقى هنا.

كاد زوجها أن يغمى عليه على خلفية الافكار الخطرة التي كانت قد مرت برأسه بأن يذهب بحجة شراء علبة من السكاير ليحصل على خنجر أو مسدس أو شيء من هذا القبيل ويعود ليقتلها كليهما.. الله ستر.. على الاقل ألم يكن امرا جيدا أن استطاع ضبط نفسه وأن يصبر ولم يثر الصخب والضجيج ولم يعلم الشاب بذلك؟ كان الرجل يمر يده على لحيته ويشكر الله في قلبه.

قطعت قمر عليه تفكيره وقالت: ها، ماذا قلت؟ خفت؟ قام الزوج منتصبا وخفض رأسه ورفع كلتا يديه ووضعها على رأسه قائلا:

خفت؟! قولي، سأضعه على رأسي هذا وعلى عيني هاتين، اي شيء يمكنني القيام به واكون قادرا عليه سأنفذه له.

-قل هذا عمر الله بيتك. احتضن اسماعيل زوجته بصمت وألصق رأسها بصدرة خرج دون اي كلام وكان قد اصيب بالخجل والذهول الى حد كبير ولم يكن قد بقى له كلام يعبر عنه.

كاد السيد اسماعيل من كثر فرحته، لان ظنونه ازاء زوجته زضيفهم شهة مال كانت كاذبة وفي غير محلها، أن يطير، كما أنه كان يشق في قلبه على هذا الولد الشاب ويتعجب كيف حدث مثل هذا الامر او كيف يحدث بأن يحشر شاب مثله نفسه طوعا في غرفة كالسجناء ويمحرم نفسه من كل مسرات وملذات الدنيا ويلقي بروحه هذه المخاطر، لانه لو القى القبض عليه، فأن اخف حكم يناله، هو ١٠ سنوات الى خمس عشرة سنة في السجن فيما اذا تخلص حيا من تعذيب

الشرطة، والتعذيب الذي يتلقاه من رجال الامن الوحوش واحيل الى المحكمة العرفية.. كان يسير في الطريق وتمر في رأسه مثل هذه الافكار ويقول في نفسه: واصرختا، هناك أناس مثل هذا وحياة مثل هذه. أني كنت اظن أن الدنيا والحياة فالناس، هي هذه فقط، وهؤلاء الذين اراهم من حولي، أن الموظفين المختلسين والجنائرين الذين لاهم يشغل بالهم، وصراخهم على مائدة القمار الخضراء، يملاً الدنيا.. في حين هنالك أناس ابطال يضحون بارواحهم وملذاتهم ورؤوسهم واموالهم من اجل مكتسبات شعبهم ومبادئهم.. اذن، لو كان الاخرون يملكون ذرة من الغيرة والرجولة لما توانوا في مساعدة مثل هؤلاء الناس الفدائيين..

تسألني قمر، هل تساعدك؟ ليس من اجل عينيتها هي التي اضحي بنفسي من اجلها، بل أن شرفي ووجداني لايسمحان لي أن اقف امام انسان مثل هذا عاجزا. يكفي، فقد اوصلت العمر الى هنا، وعشت بدون مشاكل ودون خوف، صحيح أنني كدحت وطالني الاضطهاد، غير أنني قد اكلت دون خوف او وجل ونلت نصيبي من الرفاهية، ثم ماذا؟ والى اين يذهب. وسوف يأتي يوم واموت، اذا أن معارفي واسيادي سيسمعون يوما بأن اسماعيل الطباخ قد توفي.. يجب على المرء أن يحسن في حياته، ويبدو أن الله قد وفر لي هذه الفرصة أن احسن فيها، لذا فأني لو كنت صاحب غيرة، يجب أن اساعد هذا الولد وكل شخص اخر مثله واراعيه بقدر ما يكون ذلك في مقدوري واحميه والا ارتدع من القيام بأي شيء، ومادام مصير الانسان هو الموت، من الواجب الا يدع المرء أن يموت موت الجبناء.

لم يكن اسبوع قد مر على هذه الاقوال، حتى كان اسماعيل واقفا بزنبيل مليء بالبيانات امام فرن مخبز بابه كوركور بحجة شراء الصمون والرغيف لبيت المدير وكان يتبادل مع قادر الخباز البنات بالخبز، حيث كان يسلمه الزنبيل المليء

بالبينانات وكان الحجاز بدلا من البينانات، يملا الزنبيل بالارغفة الحارة والجميلة والصمون المطعم بالسمسم ذي العبير الطيب الى بيت المدير بك ويسلمه اياه.

كانت الساعة حوالي الثامنة ليلا، حين ثم توديع رحمة خان و وةنقوشة من قبل شقرمن وابنائها بالعناق والتقبيل، وكذلك توديعهم من قبل زوجها الذين كانوا قد تبعوهما الى محطة القطار نحو كركوك. عادوا هم، وصعدت رحمة خان و وةنقوشة الى حافلة القطار ولكن هذه المرة كانت غرفتهما من الدرجة الثانية وكانتا وحيدتين، واغلقتا الباب وجلستا. ولم ير وقت طويل حتى تحرك القطار وبدأ صفيره وصرير عجلاته. طغى مزيج من الاحاسيس على قلب وةنقوشة، تذكرت خوف وفرح تلك الليلة، كيف كان وضعها حين حشرت نفسها خائفة مرعوبة بين حشود الناس وكيف ركبت القطار ونبضات قلبها تتسارع، وحتى بعد مرور نصف ساعة لم تكن واثقة من نفسها بانها قد نجت. قالت في قلبها: ياربى، اي نوع الافلاك لديك؟! كانت وةنقوشة تفكر في تلك الاحداث ولكن سؤالا من رحمه خان كان يعيدها احيانا الى وعيها.

بعد التوقف في إحدى المحطات اخرجت رحمه خان المزود ووضعت على المنضدة الصغيرة التي امامها وقالت: هلمي يا عزيزتي لنأكل لقمة، ثم ناخذ قسطا من الراحة، ومدت يدها الى ظهرها وقالت: ابتاه، أن ظهري يؤلمني كثيرا.. اتعلمين كم تعبنا خلال اليومين او الثلاثة الماضية، كنت اتنقل بين بيت شقرمن وبيت الدكتور حسن والاولاد، وكما يقال، إحدى رجلي كانت في بيت شقرمن والاخرى في بيت الدكتور حسن، ورجل أخرى عند الاولاد، ولكن شكرا لله لم تضع جهودنا هباء، وكما يقول الأقدمون و أن راسمال السفر هو السلامة. قالت وةنقوشة بابتسامة حلوة: عمتي العزيزة اتعرفين ماذا تذكرت؟

استشقت وةنقوشة نفسا طويلا وقالت: تذكرت تلك الليلة التي كنت هائمة ومرعوبة ونصف ميتة وركبت هذا القطار! فاختنق الكلام في حلقها وامتلأت عيناها دموعا وبعد برهة قالت: في تلك الليلة لو لم يضعك الله طريقي ولو لم أصادفك فماذا كنت فاعلة؟ عانقتها رحمه خان وقبلتها وقالت:

لاتعيدي هذه الحوادث الى ذهنك، أن الله هو اهل من لا اهل لهم.. زاد فضل الله حيث رتب لنا ذلك، فالله وحده يعرف ماذا يفعل. مسحت وةنقوشة دموعها بظاهر يدها وقالت: ياعمتي العزيزة منذ أن رأيتكم، أشعر بفرح غامر حتى كأنني ولدت الان. صمتمبرهمة ثم قالت: كيف اتجرا أنزل في كركوك؟ مع هذا القول نظرت الى العممة خائفة وقالت: اتعرفين، أن الخوف قد طغى على، قول لئلا يتعرف على أحد وبابتسامة عذبة هزت رحمه خان يدها وقالت:

-لا عزيزتي.. هل من المعقول أن يكونوا جالسين في محطة قطار كركوك وفي أنتظارنا؟ ثم حتى لو كانوا منتظرين، فأن مئات البنات والنساء يأتين ويذهبن بعباءاتهن، من يستطيع التعرف عليهن؟ وحين ننزل، نركب إحدى تاغربانات رأسا ونذهب للعشور على هذا العنوان. مدت رحمه خان يدها الى جيبها وقالت: ويلاه، أخاف أن اكون فقدته.. وبعد البحث عدة مرات، أخرجت ورقة سلمتها الى وةنقوشة قائلة: احتفظي بها لديك اقرأيها لصاحب العريانة، اذ سلمني اياها فريدون اثناء الوداع وقال اذهبا الى هذا المكان، كما وسلمني امانة لاسلمها لهم.

نظرت وةنقوشة الى الورقة وقالت عمتي العزيزة، أنه محل للتصوير وليس بيتا؟ -ماعلينا، نحن نذهب الى هناك، فهم سيقولون لنا الى اين نذهب او لانذهب. صممتا برهة، وكان القطار يندفع مسرعا احيانا ويبطىء احيانا أخرى ويتوقف. وكلما توقف القطار كانت وةنقوشة تطفىء المصباح وتلصقان مع رحمه خان رأسيهما بالنافذة وتنظران الى الخارج.

كان الوقت بداية فصل الشتاء، والصمت قد خيم على المكان، والسماء مغطاة بالغيوم.. كان جزء من القمر يظهر احيانا في فرجة من الغيوم وسرعان ماتغطية بقعة غيم سوداء كانها كانت تدفعه قائلة: ابتعد، فأن الوقت ليس وقت اظهار نفسك أنت، بل اليوم يومنا.

في المحطات، كان البعض ينزل واخرون يصعدون، وكلهم كانوا يكورون أنفسهم بسبب البرد. شعرت رحمه خان بالتعب فذهبت وامتدت على فراشها، وبعد قليل حشرت وةنقوشة ايضا نفسها تحت الغطاء واعمضت عينها لتنام، ولكن سرعان ما شاهدت نفسها بالخيال مع شةمال ممسكين يد بعضهما البعض، ولايرضى بهذا القدر بل يد يده الاخرى ويمسك يديها كليهما ويرفعهما الى فمه ليقبلهما ويلصق رأسه برأسها ويقول: لاتعلمين كم كنت أفكر فيك. وكانت هي الاخرى تقول له هامسة وانا ايضا، الا تعلم كم كان قلبي يريديك ويفكر فيك.. ففي الايام التي غبت خلالها كنت على وشك أن اصاب بالجنون، كأنك كنت قد اخذت شعوري وحياتي معك فاطلق شةمال يدها وعانقها وشدها اليه ماذا فمه من فمها، فأنتفضت وةنقوشة بسبب قرع على باب غرفتهما وأندغعت رحمه خان قائلة: من هو؟ من؟ بعين نصف غافية تحبببت واشعل النور وفتحت الباب. قال الرجل:

اختي، أنظر الى تذاكركم، كم عددكم؟ اخرجت رحمه خان تذكرتين من محفظتها الصغيرة واجابت: إثنان، وكان الرجل واقفا في خارج الغرفة، نظر اليهما وقرض التذكرتين واعادهما الى العمة قائلا: اغلقا الباب، اذ أن أحدا منا لايعود اليكما، وكان كلامه يشى بأنه قد شعر بالحنجبل لانه قد ايقظ هذه الفتاة وهذه الامرأة من النوم في هذا الوقت المتأخر من الليل كانت وةنقوشة جالسة على فراشها ذاهلة تتذكر سفرها السابق حيث كانت تحسب التيتي (مفتش القطار) شرطيا قادميا يبحث عنها. وخافت كثيرا، ولكن جفولها الحالي مع كل ما

احدثته من استياء، كانت بالنسبة لما سبقه كشرية ماء. اغلقت رحمة خان الباب وهي تقول باستياء بالغ: ويح نفسي لماذا لم يأتوا في وقت مبكر، كيف جنونا ونحن نائمتان. جزاكم الله شرا أنتم واعمالكم، ثم ألقت نظرة على وةنقوشة وقالت: وبه، ماتت عمته، او خفت؟ ضحكت وةنقوشة وقالت:

لاقدر الله ياعمته العريزة، لم يكن شيئا يذكر. ولكن قرع الباب قد اجفني قليلا فقط: قالت رحمة خان ضاحكة: بعون الله، تمر علينا الليلة بسلامة، فلا أركب القطار مرة أخرى. قلت أن القطار اكثر امنا وأطيب، كيف لي أن اعلم ما يحدثونه لنا من متاعب. ليتنا كنا قد قدمنا بالسيارة. اطفأت المصباح وهي تتفوه بهذه الاقوال واستلقت على فراشها صامتة.

قبل الوصول الى كركوك بمحطة، أنتفضت، رحمة خان، وحين وجدت أن الصبح قد أنبلج أيقظت وةنقوشة وشرعتا في تهيئة نفسيهما وجمع حاجاتهما. وصلتا كركوك. نزلتا وخرجتا من المحطة مع كل هذه الحشود التي كان كل واحد منها ممسكا بزنبيل وحقيبية ويتوجه الى إحدى العربانات والسيارات والباصات التي كانت واقفة في هذه الساحة الواسعة امام المحطة. وكان منهم من جاء أقاربهم واهلهم معارفهم لاستقبالهم.. امامها فركبتا إحدى العربانات، وبعد أن اعطت وةنقوشة العنوان الى صاحب العربانة، اخذ يسوق العربانة داخل شوارع مدينة كركوك الجميلة التي كان الصمت والهدوء لازالا يحيمين عليها، كان المطر يسقط رذاذا والعمال لفوا أنفسهم سالكين طريقهم الى اعمالهم. قسم منهم يسير سيرا على الاقدام وبعضهم على ظهر الدراجات، كما كان بعض اصحاب الدكاكين على وشك رفع (دراباتها) وينظفون عتبات دكاكينهم ومحلاتهم، وكان عدد من الاشخاص مجتمعين امام أحد المخابز لشراء الارغفة والصمونات الحارة. كما شاهدنا مقهى او مقهيين، والناس ظاهرون فيهما من خلال زجاجهما وهم يشربون الشاي او يدخنون السكاير. سارت العربانة في طريق مستقيم الى أن

وصلوا الى جسر (خاصة) وعبروه واستداروا حول القلعة الى أن وصلوا الى سوق صغير ووقفت العريانة امام أحد الدكاكين مكتوب عليها ((مصور مريوان)).
أنزلت رحمه خان و ونةقوشة الحقيبة وحاجياتهما الاخرى ودفعت رحمه خان اجرة العريانة ازيد من المتفق عليه، لانه اخذ بيدي عدم الرضا والتبرم حول الاجور، لفت ونةقوشة نفسها جيدا وحشرت نفسها الى قطعة جانب من الجينكو كانت قد أسندت الى الجدار بقرب الدكاكين متظاهر بالبرد، ولكن في الواقع كانت تعمل ذلك خشية أن يتعرف عليها أحد وخاصة أن بيت خالتها كان قريبا في ذلك المكان الذي كانتا واقفتين فيه وكانت رحمه خان يدها على قلبها من شدة اضطرابها، رغم أن الوقت كان مبكرا وكان الناس بدأوا في المرور وكانت غالبية الدكاكين لاتزال مغلقة، ولكن منظرهما كان يسترعي الانتباه، امرأتان بحقيبتين صغيرتين وبعض الاكياس والزناجيل تقفان امام دكان مغلق.. حتى أن بعض المارة تقدموا منهما وسألوا رحمه خان:

تبحين عن بيت من؟ او كان أحدهم يقول: اختي هل انت واقفة بانتظار العريانة و والله من الصعب أن تحسلي عليها هنا، يجب أن تذهبي الى الشارع الكبير.

كيفما يكن الامر، لقد امضتا ساعة صعبة، حين وصل شاب يلبس ملابس الافندية الى امام الدكان والقي باستغراب نظرة على رحمه خان و ونةقوشة وفتح الدكان ولم يلتفت اليهما اصلا.

تقدمت رحمه خان من الشباب وقالت له بابتسامة خجلة: ((فريدون يسلم عليك))، فأنفض الشاب ذاهلا، وقال اهلا وسهلا، تفضلا الى الداخل، أخاف أن تكونا واقفتين هنا منذ مدة؟ قال هذا ومد يده الى الحقيبتين وأدخلهما مع الاكياس الى الداخل، أنثذ استعداتا شيئا من الراح، ورغم أن الدكان كان صغيرا جدا ولكن كان فيه كرسيان أو ثلاثة كراسي يمكن الجلوس عليها. وضع

الشباب ماكان في يده وقال: اخذكم الان الى البيت. رفع الدرابة جيدا فمد يده الى اكياسهما وحاجياتهما واقفل جاحانة الدكان وبدأوا في السير ولم يمض وقت طويل حتى وصلوا الى البيت وسلم الشاب الضيفتين الى امه وعاد بعد أن استلم الامانة من رحمه خان وقال: إبقيا حاليا هنا فهو بيتكم، الى أن آتيكم بالرد.

رحبت ام مقريوان بهما ترحيبا حارا واخذتهما الى الداخل. وسرعان ما احضرت الفحم واضرمت النار في الفحم حتى توهج واعدت لهما الشاي والفظور واخذت تدور حولهما بوجه باسم بشكل كانت رحمه لاتلحق أن تكرر هذه العبارة: ويمنا، واخجلناه والله لو كانا نعلم أنك تتعيبين نفسك بهذا الشكل لما اتينا.

ثم تناولت رابعه خان عبايتها وزنبيلها لتذهب الى السوق بعد أن قالت لرحمه خان، أن تستلقيا وتأخذا قسطا من الراحة الى أن تعود هي وأخبرتتهن فيما لو طرق أحد الباب ألاتلقيا اليه بالا ولا تفتحا، قالت هذا وخرجت.

كانتا تنظر ان الى بعضهما البعض واستبد بهما الاستغراب بأن ثمة أناس خدمون وطيبون. وهكذا جلستا امام منقلة النار وبدأتا في التحدث.

قالت رحمه خان، أن شاء الله سيأتينا الجواب بسرعة ونعود. في الحقيقة أن هذه المرأة الطيبة قد اخجلتنا كثيرا. قالت ونةوشة بأهتمام، ماذا كأنهما وحيدان، هي وابنها؟ ليس في البيت أحد ونظرت إلى ماحولها في الغرفة وأكملت حديثها قائلة: ماشاء الله، بيتهم نظيف ومرتب الى حد كبير.

وارادت رحمه خان نظرها في المكان وقالت نعم بارك الله لهم فيه، الحمد لله، البيت ملكهم، لاحرمهما الله منه. لها ولدان اخران فيما عدا مقريوان، أنهما متزوجان ولها ابنتان ايضا متزوجان.. أنظري لتعلمي ماحدث لهم بسبب التحري وتفتيش البيت والاعتقال والسجن، فأحد اصهارها قد اطلق سراحه حديثا، كانت تقول أنه حكم عليه لمدة سنة واحدة وابعد الى (نقرة سلمان) لمدة

سنة، كل هذا الوقت كانت ابنته واطفالها الثلاثة يعيشون معها. قالت رحمه خان وهي تبتمس: بالله عليك، كم كنت احزانها ملء القلب، في هذه الجلسة القصيرة عبرت لي عن شكواها.

القت وةنقوشة نظرة على العمة تدل عن أنشادها اليها وقالت بابتسامة عذبة: اذن، يوجد لنا شركاء في الهموم، كنت اظن أننا نحن الوحيديين بهذا الشكل. استلقت رحمه خان على الدوشك والفراش الذي كانت جالسة عليه ولفت صايتها على رجلها لفا جيدا وقالت لوةنقوشة: أنت أيضا تمددي قليلا، ادارت وةنقوشة نظرها في المكان وشاهدت كتابا موضوعا على منضدة صغيرة، فتناولته ويدات بقراءةته.

قالت رحمه خان وهي مستلقية وخيالها ينتشر هنا وهناك:

-ياترى، هل يمكننا أن نرى شةمال؟ ثم اخذت تقول في نفسها:

-رباه، في السليمانية ماذا أقول لبناتي وأبنائي وأقاربي.

فليسواهم مثل فريدون وكاوه والدكتور حسن لاقول انها إبنة خدر ابن عمي؟!

ماذا أفعل، أخاف أن يتعرف عليها أحد، ألقى رحمه خان من تحت الغطاء وهي مستلقية نظرة على وةنقوشة التي كانت جالسة تقرأ الكتاب. منظرها فاتن جدا، لذا حدقت فيها باخلاص ومحبة ومن تحت شفيتها طغت عليها ابتسامة وقالت في قلبها:

هذه (الكافرة) ليست في حال اذا ما رآها المرء، لاتسترعني أنتباهه اليها. الان، أين اخفي هذه البلورة الفاتنة، ماذا أعمل لكي لايراها أحد، هل بالامكان سجن هذه المسكيننة. ثم ماذا أقول لشقوبو الشرثارة؟. أقول لها من هي؟ رباه، اعتقد أنني سأتعرض في السليمانية الى المشاكل. لتيني بقيت في بغداد. وفي بغداد يوم ويومان، وكيف كان يمكن البقاء في بغداد؟ مرة أخرى ضاقت الدنيا على رحمه خان وبعد حين عادت رابعه خان من السوق حاملة كيساً وزنبيلاً

مملوءين، وقضين وقتا طويلا بالحديث وتناول الغداء وشرب الشاي. وفي حوالي المساء عاد مقيروان الى البيت وسلم عليهما بوجه بشوش وقال: الشكر الله، الجماعة على احسن حال ويهدونكما السلام ويحبون أن تزوراهم يوم غد.

بهذا الكلام، خفق قلب وةنقوشة وسرت رعشة في جسمها فرحا ولكنها لم تعبر عن شيء.

وفرح قلب رحمه خان ايضا، وقالت في نفسها، وافرحتاه، فلعل شةمال هو الاخر يفكر في الامر، ولكن مع هذا، لازالت خائفة.

وفي الصباح، بعد الفطور، قامت رحمه خان و وةنقوشة بتهيئة نفسيهما وبعد العناق وتبادل القبل مع رابعة خان تبعتا مقيروان وذهبوا، اخذهما مقيروان الى الدكان واجلسهما هناك وقال:

تفضلا بالجلوس الان.

قالت رحمه خان في قلبها: يظهر أن له اشغال الان، ثم يأخذنا اليه، ولكن مقيروان كان عاكفا على عمله، ولم يكن يبدو عليه أنه عازم على الخروج، أماهما فكانتا تنتظران الى بعضهما البعض.

بعد فترة بدا عليهما وكأنهما قد ملتا خاصة والدكان كان صغيرا، وكان الزبائن يأتون تباعا، فهذا يريد التقاط صور له، وذلك يطلب صوره المحمضة.

قربت وةنقوشة رأسها من رحمه خان وقالت هامسة مادام لم يكن عازما على أخذنا، فكان البقاء في البيت افضل.

هزت رحمه خان رأسها هامسة وقالت: ليتنا بقينا هناك، اترين، كأننا ضفادع رؤوسنا مغطاة بالاوراق ونحن جالستان بين هؤلاء الرجال. بعد فترة أنفض الزبائن حول مقيروان واصبح الدكان شبه خال، فجاء اليهما ونظر الى ساعته

وقال: كان يجب أن يكون هنا في الساعة الثامنة والنصف، في حين الساعة الان هي التاسعة والنصف.

التفت مقريوان الى رحمه خان وقال: اذا لم يحضر حتى خمس دقائق أخرى، ارجعا الى البيت، لانكما لاتشعران بالراحة هنا.

من المحتمل ألا يأتي، ربما حدث لهم شيء اخر. قال هذا وفتح باب الجاخانة ودخل شاب طويل القامة احمر وتبادل التحيات الحارة، قال له مقريوان : لم تأخرت هكذا؟ كنا الان على وشك العودة الى البيت.

قال شاب، استمبحكم المعذرة، والله ذهبت الى السوق كان لي عمل، وتوجه الى رحمه خان قائلا: تفضلا لنذهب، واكمل حديثه مبتسما وقال: منذ الساعة السادسة والاخ وريا يتمشى وينتظركما.

كادت رحمه خان أن تقول: الويل، من هو وريا هذا الذي ينتظرنا، فقط كان ينقصنا هذا، ولكن سرعان ما مر في فكرها بأن هذا الاسم ربما يكون الاسم الجديد لشقة مال، يطلقون عليه اسما جديدا.

ولكن ونةقوشة لم تستطيع ضبط نفسها واوصلت نفسها الى رحمه خان وقالت لها هامسة عمتي العزيزة، من هو وريا هذا؟ وأفهمتها رحمه خان بالاشارات والمعاني من هو وريا هذا.

وهكذا تبعتا الشاب الاحمر وسارتا الى أن صعدتا إحدى العربانات.

عبرت العربانة جسر (خاصة) وتوجهت نحو (شاطرلو) وسارت مسافة طويلة، فنزلتا ومشوا مسافة سيرا على اقدامهم ومروا على جدول صغير، وتوقف الشاب احمر امام أحد الابواب وطرقة. كانت ونةقوشة تكاد أن تسمع صوت دقات قلبها بنبضات متسارعة وكانت على وشك أن تصاب بضيق النفس وكانت تضغط على نفسها لتكون قادرة على ضبط نفسها والا تظهر لهفتها وفرحتها.

فتح الباب، اسرعت اليهما امرأة سمينة حنطية اللون حمراء خفيفة الظل مرتدية الملابس الكوردية بحجارة وعانقتهما وادخلتهما الى الداخل، وتوجه الشاب الذي كان معهما نحو رحمه خان و وةنقوشة قائلا هذه اختي قمر.

بهذا الكلام تشوشت أفكار وةنقوشة . وفي هذا الوقت أندفع شةمال من غرفة في نهاية الباحة وهرع الى امه بحجارة كانه كان لم يرها منذ سنة. ثم امسك بيد وةنقوشة ورحب بها وبتمتمة غير مفهومة رحب بهما ودخلوا جميعا غرفته التي كان ينام فيها هو وأنوار اللاحمر.

بردت بعض اشواق ولهفة وةنقوشة وقالت في نفسها:

ماهذا! كان شةمال وهذه المرأة وحيدتين هنا؟ أنظر كيف أن هذه المرأة رحبت بنا من اجل خاطره وأوشكت أن تحملنا على ظهرها!! وكم هو فرحان وخطوده موردة!!

لا يبدو على هذه المرأة أن تكون ذات زوج، وحتى لو كانت كذلك، يظهر انها لا اطفال لها!! يجوز أن تكون ارملة.

قطع شةمال على وةنقوشة خيالها، وبعد أن غادرت قمر واخوها الغرفة، توجه شةمال بشوق زائد نحو امه وقال: اتعلمين كم كنت أفكر فيكما وصبري قد نفذ، وكنت أقول بيني وبين نفسي ياتري، هل يمكن أن تتعرضا الى مكروه في الطريق.. اهلا وسهلا بكما.

ابقيا عندي عدة ايام. حين علمت السيدة قمر بأنكما قادمتان، اسرعت ورتبت لكما الغرفة وقالت لا أسمح أن تعودا في الوقت الحاضر. واطاف شةمال بفرح غامر قائلا: البيت خال تقريبا ولايزورهم أحد، أني مطمئن هنا ومستريح تماما.

قالت وةنقوشة في قلبها: اجل، ياسيدي، لم لاتكون مرتاحا، أنك ساكن في هذا البيت وحيدا وتمر امامك هذه المرأة الخفيفة الظل والتي تشبه خطوها التفاحة

الموردة، وتخدمك. اذن لماذا لاتشعر بالاطمئنان ولايستبد بك الفرح!! أنظر هذا
كان الشاب الملائكي المسكين!

مرة أخرى اعادها شةمال الى هدونها وقال: لاتقلقا فالزوجة احسن من الزوج،
والزوج احسن من الزوجة، وأنهما لايلوان جهداً في خدمتي وتأمين الراحة لي
وهما من الناس الطيبين والكورد الوطنيين، واخوها هذا هو الاخر يعيش هنا،
وهذه غرفتنا أنا وهو. عاد الى ونةوشة هديوها وأنفتحت قليلا وقالت: ماذا،
ليس لهما اولاد؟

نظر اليها شةمال نظرة كلها حب وهيام، مثل انسان ثمل، وقال بحرص انسان
مخلص: كلا، مع الاسف لاينجبان الاولاد.

وفي المساء عاد السيد اسماعيل الى البيت ورحب بالضيفتين معبرا عن شعوره
الفياض، وقال ينبغي أن تبقوا هنا في الوقت الحاضر. اذ كان قد ارتاح من
صميم قلبه مجيء هاتين الضيفتين. ورغم أنه كان اخذ يقدم المساعدات الى
شةمال ورفاقه وغاص في العمل بكل جد واخلاص، ولكن الشكوك كانت تساوره
يقول في قلبه: رغم انه شاب طيب وشريف، ولكن الشيطان لازال حيا ولم يمت.
أتمنى لو كان لي شخص يبقي في البيت حتى لاتكون قمر و شةمال وحيدين..

لذا، فإنه كان مسرورا بوجود الضيفتين حتى أنه كان على وشك الجنون فرحا
وكاد أن يحملها على ظهره، وكرر عدة مرات وقال: يجب أن تبقوا هنا فترة وقال
بالبتسامة عذبة: كان وريا يصيبه الاكتئاب، اظن انه كان يفكر فيكما.

قالت رحمة خان ضاحكة: أنك صادق واصبت كبد الحقيقة.. لم اشاهد ولدا هكذا لايزال
يشبه الاطفال، ولو إبتعد عني فترة من الوقت، فإنه يفكر في ويبدو عليه عدم
الارتياح. لي ابنان اخران ولي بنات ايضا، ولكن ايا منهم ليس مثل هذا الولد.

ارادت رحمة خان أن تتكلم وتضفي الدفء على جلستهم، وخاصة كان السيد
اسماعيل قد جاء للجلوس معهم، فارادت أن تتحدث بود وكجلسة عائلية، بعد

أن كان شةمال قد اخبرهم بأن الرجل وزوجته طيبان ومخلصان له، لذا غطت بجزء من غطاء رأسها فمها وقالت ضاحكة: أقول لآخي، بأن اطفالي كانوا صغارا جدا، اذا أن ابني هذا كان قد تخرج من الابتدائية وكانت البنات اصغر منه، واما الولدان الاخران، فكانا اكبر منه، واصيب والدهم بمرض كان يستوجب ذهابي معه الى بغداد لاجراء عملية له، وبعد العملية، رجعنا الى السليمانية، فآخبرني الآخوة والآخوات والآقارب والمعارف قائلين: رحمة، لم يظهر تأثير سفرك هذا على أحد من الاولاد مثل تأثير على وريا، اذ كان مهموما ومكتئبا دائما ولم يكن الفرح يجد الى قلبه سبيلا رغم محاولاتنا الدائمة. استغرق الجميع في الضحك، وواصلوا الكلام وطالت جلستهم.

كان قد مر يومان على وجود رحمه خان و وةنقوشة في البيت، وكان شةمال قد هام هياما شديدا بعيني وةنقوشة النجلاوين البراقطين، وفي كثير من الاوقات، حين يكون وحيدا في غرفته يغني بصوته العذب الشجي، وبصوت خافت وعلى مهل، اغنية ذات العينين النرجسيتين المخمورتين وبنفسجة السياج، وسرور القلب الحزين.

كان شةمال يتحدث مع امه و وةنقوشة ، وفي بعض الاحيان بدونها، عن موضوع عودتهم للسليمانية وحول مايجب عليها القيام به، وماذا ينبغي أن تقول امه لآقاربها وأهلها والناس الآخرين الذين يشاهدون وةنقوشة وكيف تعرفوا عليها. في كثير من المرات، كانت الام تقترح تدبيرا، غير أن ابنها كان بنفسه، او أن الابن كان يضع مخططا ولكنه لم يكن يلقي القبول من لدن والدته. وآخيرا توصلا الى خطة تقضي بأن تعود رحمه خان لوحدها الى السليمانية وتؤجر دارها وأن تستأجر دارا في منطقة بعيدة عن الآهل والآقارب والمعارف، تم تعود وتأخذ وةنقوشة معها وأن تحبر الآقارب والناس الذين يزورونها بانها بنت أحد اصدقاء شةمال ووالدها مسجون لعلاقته بالحركة الكوردية

(الكوردائيةتي)، وأ، شخصا من الموالين للحكومة قد خطب هذه الفتاة عدة مرات من أبيها، وأنه طرد ذلك الشخص طردا، لهذا السبب فأن الرجل قد لفق لوالد الفتاة تهمة أدت الى اعتقاله، وإن الفتاة خوفا من أن تعيش في بيت وحيدة ويهتك هذا الشخص عديم الشرف عرضها، لذا فان الاخولاتظهر نفسها إلا عند الاقارب والمعارف القريبين جدا ومن هم يكونون موضع الثقة. وهكذا يستحسنان هذه الحطة ويعتبرانها تدبيرا معقولا.

بعد عدة ايام، عادت رحمه خان الى السليمانية، بعد أن أوصلت شمال عدة مرات وحلفته بأن ترعى وةنقوشة ويحافظ عليها، وكان شمال يسخر من أقول أمه ويقول في قلبه: هل هذا كلام أنت تقولينه يا أمي العزيزة، فلو كنت تعلمين ماذا أصبحت وةنقوشة بالنسبة لي، لما قلت لي هذا الكلام، ولشدة حرصي على وةنقوشة ورعايتها، فهل أنا قادر على رعاية نفسي؟

بعد رحيل رحمه خان، اصبحت وةنقوشة مكتتبة وضاق صدرها، حتى انها ذهبت عدة مرات الى غرفتها وكانت تبكي سرا لها، وفي كثير من الاحيان تظل في غرفتها، وتحتج أن تذهب عند شمال والآخرين..

كانت رحمه خان قد أفهمت قمر وأهل البيت بأن وةنقوشة من احدى أقاربهم القريبين وخطيبة شمال وقطع. مهرها عليه، وذلك من أجل أن تكون لهم ذريعة حول ترك وةنقوشة هناك، وكذلك كان عليهما أن يتصرفا على هذا الاساس. لذا فإن قمر كانت في كثير من الاحيان، تذهب الى وةنقوشة وتريد أن تمازحها وتقول: ماهذا، لما لاتذهبين عند السيد وريا.. إذهيي اليه، فالمسكين يفكر فيك ومنشغل بالنظر من خلال النافذة هيا قومي ولا تتدللي عليه كل هذا الدلال، لان المسكين لايتحمل مزيدا من الدلال.

وكان على وةنقوشة أن تقول شيئا ما حول هذه المزحات، ورغم انها كانت تضغط على نفسها، إلا انها كانت تخجل وتقول شيئا غير مفهوم مهممة، كانت تقول بأنه منشغل بالكتابة وأعمال أخرى، أو تقول بأنها تشعر بالصداع وهو نفسه قال لها بأن تستلقي، وتتذرع بمثل هذه الاقوال.

وكانت قمر تمازح شهمال وتقول له مثل هذا الكلام ايضا واحيانا كانت تمازجها على هذا الشكل امام زوجها واخيها حين كانوا يجلسون معا، وكانت وةنقوشة، شهمال يشعران بنوع من الخجل ويحمر وجههما وحتى فترة طويلة كانا يخجلان أن ينظر الي بعضهما البعض.

من بعد ظهر أحد الايام، كانت قمر قد دخلن الحمام للاغتسال وكانت وةنقوشة جالسة في غرفتها واشغلت نفسها بقراءة كتاب، تمشي شهمال في الباحة عدة مرات بذريعة غسل اليد و الذهاب الى التواليت، وكان قد حدق في غرفة وةنقوشة ليعرف ماتفعله ولماذا لا يخرج، واخيرا، أنهى الامر وقال في قلبه، لا يمكن لهذا الامر أن يدوم ولا يحتاج الى كل هذا الخجل، إذ أن قمر خان قد عودتنا..

زادها الله خيرا، فلأذهب وأطل على الغرفة لأعلم ماذا تفعل. فذهب الى امام الغرفة خجلا وأطل برأسه الى الغرفة قاتلا ماذا تفعلين وبماذا أنت منشغلة؟

أنتفضت وةنقوشة وارتجفت، لانها كانت هذه هي المرة الاولى التي يذهب فيها شهمال الى غرفتها، وقال شهمال بشوق بالغ وحرص كبير ولكن بصوت خافت: هل خفت؟ اعذريني فقط أردت أن أعرف ماذا تفعلين في غرفته وحيدة ولماذا لا تخرجين. منذ ذلك اليوم الذي تكلم معها بهذا الشكل، انفتح وزال عنه الخجل وكلما لاحظ غيابها، كان يذهب الى غرفتها يمك بيدها ويخرجها، او كان يناديها لترتب معه الأوراق، كما أنه في بعض المرات يرسلها لتأتي له بالشاي ويقول حتى لا نتعب قمر خان كثيرا، وهكذا شيئا فشيئا انفتح كلاهما مع

بعضهما البعض، ولكن أنفتاحاً عذرياً لم يكن يتعدى الكلام والنوايا الصافية الشريفة.

كان السيد اسماعيل اكثرهم فرحاً، وما أن كان يعود الى البيت حتى ينطلق في الحديث انطلاقا كبيرا وينفتح مثل الراديو، وخاصة حين كان نظره يقع على ودة نقوشة الفاتنة ويقول في نفسه: وافرحناه ياربي، بيض الله وجهك، مثلما أفتقدتني من هذه الافكار والهوم القاتلة. وها أنا الان آمن مطمئن واشعر بالسرور، اذ كيف يمكن أن تكون هذه المليحة خطيبة له وينظر الى الاخريات ويطمع فيهن، كما أنه كان مغتبطا لان الغيرة والشهامة قد تحركت لديه الان ويخدم الشعب ويعتبر نفسه مناضلا وطنيا. في كثير من المرات، ما أن يدخل البيت، كان يحدث شتمال عن مجالس مدير الشرطة، ومن الذي كان قادما ومالذي قاله أحد منهم، وماذا فعل الاخر وكم شخصا منهم خسر الفلوس، وماذا قال خادم فلان، وكم رأسا من الاغنام قد اخذه معاون الشرطة وكم راسا منها ارسلها الى المدير واحتفظ بكم راس منها لنفسه، وهكذا كان يتحدث عنهم ويوجه اليهم السباب والشتائم، يتحدث عن مساويء ووضع وخسة الدوائر الحكومية وارلامها ويعبر عن اغتباطه لضيوفه ويشغل نفسه بهذه الاحاديث. وكثيرا ما كانت قمر تقوت له احفظ فمك ولسانك لثلا تخرج مثل هذه الاقوال من فمك، ثم يبدؤون يرتابون فيك، فكان يضحك مقهقها ويقول: لاتحملي هما، قسما برأسك، خدعتهم جميعا. في أحد الايام قال لي المدير: اسماعيل، يقولون أن هناك في سوق بائعي الخضروات صاحب دكان غير شريف يجمع حوله الاوياش من العمال، ويوجهون الشتائم الى الحكومة، اذهب اليه وتحدث اليه بحجة شراء الخضروات لعلك تحصل على بعض المعلومات منه، او ربما تعرف أحد من هؤلاء الاوياش. ضرب اسماعيل يده بيد وضحك قائلا،

كيف؟ فهم يعتقدون أنني اقل مرتبة من رجال الامن بقليل. فقال شتمال :
اطال الله عمرك، في الحقيقة أنك باسل ماشاء الله.

ضرب السيد اسماعيل يداً بيد وقال مايؤسفني هو أنه ضاع عمري هباء الى
الان، واود أن اعوض مافاتني خلال السنوات الباقية من عمري. فقالوا جميعا
ستسلم أنشاء الله ويكتب لك البقاء، فأبرت قمر قاتلة وهي تضحك: لاباس
فأن المرء يتعلم الكثير من خلال خسارته. وبعد فترة خرج أنور من غرفته حاملا
الزنبيل والمواعين الفارغة وتوجه الى السيد اسماعيل قاتلا: هاهي المواعين
احضرتها لك. ضحك السيد اسماعيل وقال، لعلك شدتها جيدا لنلا يحدث لي
ماحدث ذلك اليوم، حين هبت الريح واطارت غطاء أحد القدوروكادت الاوراق
تتبعثر في وسط السوق، ولكن الله ستر وكنت قد دسست لفة الراس غير
النظيفة في الكيس وكنت ممسكا به وهكذا وضعت الاوراق والقدر داخل الكيس
وشدته مثل قدر اللبن، وتبع أحد الاولاد غطاء القدر، وفقه الله في اعماله،
واعاده الي. ضحك أنور وقال: لاتحمل هما، لقد شدته هذه المرة شدا محكما؟

بعد حوالي عشرين يوما، عادت رحمة خان الى كركوك بعد أن نفذت ماكانت
قد كلفت به تنفيذا جيدا. رغم أن وةنقوشة فرحت فرحا شديدا بعودة رحمة خان
واشرقت، غير انها حين فكرت في الامر، خفق قلبها: يجب أن تغادر هذا المكان
وتعود الى السليمانية، والله وحده يعلم متى تعود الى هذا المكان مرة أخرى
ويقع نظرها على شتمال.

كما أن شتمال قد فرح بعودة والدته من جهة، ولكن من جهة أخرى غلبه القلق
واضطرب تفكير هو الآخر لانها ستأخذ وةنقوشة معها.

استقبل شتمال والدته بترحاب بالغ وقال: سلمت يداك، يمكن أن التعب الكثير
قد نالك بسبب نقل الأثاثات. بعد استراحة قصيرة جلست امه واخذت تحدثة عن
استتجار الدار ونقل الامتعة وقالت: سرعان ماظهر المشترون والمستأجرون للدار

وتلقفوها مثل الحلوى. ثم قالت رحمه خان بابتسامة لطيفة: ما أن فلت أني ساؤجر الدار، لأدرى يا بني، كنت كائني قد اعلنت عن ذلك عن مسبقا، تجمع الناس علي، هذا كان يقول نشترتها، وذاك يقول نسكنها بأيجار. كان شةمال مصغيا الى امه وقال: هل يمكن الحصول على دار وموقع كهذا، قريبة من السوق ومن كان مكان، وهي دار كبيرة ومقبولة.

كورت رحمه خان شفتيتها وقالت: جائني حاجي طورون الاعلاج عدة مرات وقال: كم تريدن سأقدمه لك واشتري الدار. ضربت رحمه خان صدرها بيدها وهزت رأسها وقالت: قلت له، ويحي كيف أبيعها، والله لو أعطيتني جميع ثروتك لأبيعها.

ضحك شةمال سلمت يداك، اذ قلت له ذلك. كيف يطاوعنا قلبنا، ولا نملك غير هذه الدار القديمة، وكلنا ولدنا فيها ونحتفظ بألف ذكريات حلوة ومرة في هذه الدار.

قالت امه: اجل، بالله لو لم اكن في الوقت الحاضر مضطرة لما قمت بأخلانها. وفي الايام القليلة التي كنت خالها في الدار الجديدة، لم يكن يقرلي قرار، واذا بي فجأة والعباءة فوق راسي ذاهبة الى السوق طائفة حول الدار، رغم أن شقوبو والاطفال كانوا دوما حولي وأن عمتمك أتول واولادها لم يتركوني، اعانهم الله في تحقيق آمالهم، ورتبوا لي البيت ترتيبا جميلا.

القت والدته نظرة ملؤها المحبة على وةنقوشة، وقالت من اجل (طولةخان) حصلت على مكان جميل، وليس لنا جيران كثيرون، وأن البيوت بعيدة عن بعضها البعض. وأن عتبه الدار موقع خلاب ومفتوح مقابل جبل طويذة، والدار تتألف من طابقين، غرفتان وبهو في الطابق الاعلى وسردابان في الطابق الاسفل مع تنور جميل، ولكن السردابين غير جميلين، ويمكن الاستفادة منهما

للحطب والفحم والذخيرة واشياء أخرى من هذا القبيل. كيفما يمكن الامر،
يفرحني جدا أن ماحولنا خالية.

قال شةمال بحرص زائد:

- عمر الله بيتك، لماذا هذا المكان الخالي؟ ففي الدنيا مقدرات كثيرة،
شخصان لوحدهما في هذا المكان الخالي كيف يستطيعان العيش!؟

- استغرقت رحمه خان في الضحك وقالت: او تظن أن المكان خال الى هذا
الحد؟ اني اقول فقط، انه ليس حولنا جيران فضوليون من الذين يتدخلون في
شؤوننا، وأنهم بعيدون عنا نوعاما، والا فانها محلة عامرة وجميلة ودورها جميلة
بنيت حديثا، ففي أحد اطرافنا مدرسة للبنات وفي الطرف الاخر يوجد صف من
الدكاكين.

- ضحك شةمال وقال: حسنا، ظننت أنك أنتقلت الى ضاحية المدينة.
أما وةنقوشة التي كانت صامتة حتى ذلك الحين تصغي اليهما قالت بفرح غامر
أن عمتي لاتقدم على القيام بعمل غير معقول؟ فتحت وةنقوشة ذراعيها
واحتضنت رحمه خان وقالت أن الاعمال الجميلة المرتبة والمنظمة لاتليق الا بها.
اما شةمال فأراد أن يطمئن خشية أن تتعجل والدته وتأخذ وةنقوشة وتعود الى
السليمانية وورد أن يعلم متى تنوي العودة، التفت الى والدته وقال ببسمة لاح
عليها نوع من الهم: حسنا متى تنوين أن تعودتي؟

مررت والدته يدها على صدرها و (ياختها) وربطة رأسها وقالت: والله كما
عدت اسرع، كان افضل، لان الدار خالية وثمة الاف من الحوادث في الدنيا، رغم
أنني اوصيت الاولاد أن يتفقدوها. يقولون أنه في هذه الفترة، كان للصوص قد
سرقوا أحد البيوت ولم يبقوا لهم شيئا. كان اهل البيت ذاهبين الى بغداد للعلاج
الطبي، مد شةمال يده الى رأسه وجوانب عنقه وقال:

أنت تقولين أن في البيت اثاثات وامتعة خفيفة وأنت اودعت البساطات والاشياء الجيدة في بيت خالي. اذن لماذا تخافين وتستعجلين في العودة؟

غطت امه فمها بجانب من غطاء رأسها وضحكت من كل قلبها وقالت:

-يابني، العبرة ليست في الفرش والبساطات، ماذا تقول عن كل هذه الافراشة الجميلة والقدرور والطشوت والصواني القديمة الثمينة، هذا فيما عدا الاشياء الاخرى؟ واحست رحمه خان بضيق في الصدر وعصر قلبها وعلمت أن شةمال لا يود أن تعودا، وربما كان ذلك على الاكثر بسبب وةنقوشة . مرت هذه الاخيلة في طرفة عين برأسها، ثم توجهت الى ابنها وقالت هامسة:

- أن شاء الله حين تأتي نحو السليمانية، تعالي الينا وابق هناك عدة أسابيع، لانه لا يعلم أحد بذلك.. ماذا هل تنوي تبقي هنا كثيرا؟ قال شةمال: في الوقت الحالي لأعلم! ولكن في الواقع هذا المكان أمين جدا ولا يمكننا الحصول على مكان لاخطر عليه لاعمالنا. ومع ذلك لأدري مالذي يقرره الرفاق!

استبدت الهموم وةنقوشة جراء أقوال الابن وامه واوشكت عينها أن تندى بالعبرات، لذا فانها قامت على عجل ومدت يدها الى الأستكانات الفارغة بحجة أخذها الى غرفة المطبخ.

القت رحمه خان نظر على وةنقوشة قبل أن تخرج من الغرفة ووجهت كلامها الى شةمال وقالت:

-مادام موقعك جيدا الى هذا أحد، فلماذا تنتقلون؟ عمر الله بيتهم، فالسليمانية على بعد الخطوات من هنا، فسنزورك في اوقات متقاربة. تناولت وةنقوشة الأستكانات بصمت وخرجت من الغرفة وكان حلقها مسدودا وكاد البكاء يخنقها.

في تلك الليلة، لم تنم رحمه خان وةنقوشة الى ساعة متأخرة من الليل و شرعتا في التحدث والكلام، و عانقتها وةنقوشة و قالت:

و اي.. عمتي العزيزة، كم كنت أفكر فيك و كنت أعد الايام و الساعات، وخاصة في الوقت النوم، كان مكانك خاليا. ضحكت وةنقشة بهدوء و أغلقت فمها و قالت: أتعلمين يا عمتي العزيزة كنت أخاف في بعض الليالي و تطغى على الرهبة، لادري لماذا، ففي طفولتي ايضا، كان الخوف يستبد بي و يطير نومي، فكننت اضطر أن الجا الى فراش ماما خورشيدة. صمتت وةنقشة وامتلاً حلقها بكاء و قالت: ياترى كيف يكون حال هذه المسكينة، فهي الان لا بد وان تجننت. كانت تحبني حبا كبيرا، فلو علمت أنني في كركوك الان. لنما لها جناحان و طارت قادمة الى.

أن شكلها مائل امامي دائما، كيف انها تشتغل و تغني مع الشغل الاعاني و تناجي و تبكي،

احتضنتها رحمه خان و قالت: ماهذا، ضيقت قلبك مرة أخرى يا حبيبتي. أن الله عظيم، ستتغير الاوضاع أن شاء الله، و لاتبقي الدنيا هكذا الى ابد الابدين و سوف تجدين بأن هؤلاء الظالمين سيقلبهم الله فجأة راسا على عقب، الويل لهم، الى اين يذهبون، و أنشاء الله ستجدين بأننا سوف نرسل و راءهم ليأتلوا الينا، لاتضيقي صدرك ابدا.

قالت وةنقشة مع حشجة البكاء، اما خالتي فلا تجرأ أن أفكر فيها، كيف حالها الآن، من المحتمل أن تكون الان قد ماتت كمدا. قالت رحمه خان: عزيزتي ان الله عظيم و سوف ينتهي هذا الوضع و تلتقين بخالتك بفرح و سرور انشاء الله.

ثم ارادت أن تغير الحديث حتى تعود وةنقشة الى حالتها الطبيعية و قالت: سنعود الان الى السليمانية و ستمتع بسعادة و احاول أن تراك أقاربي الاقربون فقط، الى أن يفتح الله لنا بابا، ثم أنك ستقضين وقتا طيبا مع شقوبو انها حلوة الحديث و تحب المزاح ضربت رحمه خان صدرها بيدها و هزت رأسها و قالت: ولكنها شديدة، الصباح و تدمدم كثيرا قالت هذا لاجل أن تعمل على اضحك

وثةقوشة وشرعت تتحدث عن شدة صياح بنتها شقوبو وتحدثت عن اولادها واحاديث اخرى الى أن غلب عليها النعاس.

وفي الصباح وفي فترة الفطور جلس الجميع حول سماور قمرخان لتناول الفطور. كان السيد اسماعيل قد غادر البيت منذ مدة، لانه كان يغادر البيت منذ الساعة السابعة الى بيت مدير الشرطة. وحين عاد البيت حوالي الظهر، كان قد احضر مأكولات وأطعمة كثيرة لهم وقال ببشاشة: تفضلوا كلوا، هنيئا مريئا أنشاء الله.

والله انها كلها من الرشاوي والنهب التي ينتزعونها من الناس. ألقى السيد اسماعيل نظرة على رحمه خان وقال: لو تعلمين كيف اطعم الفقراء من هذه الاطعمة اللذيذة.. عندي عدد كبير من الزبائن.. يختلف زبائن الغداء عن زبائن العشاء.

قالت رحمه خان: عمر الله بيتك واطال عمرك، في الحقيقة تحسن صنعا، واکملت حديثها قائلة: هل للمدير عائلة؟ ومن اهالي اي مكان هو؟ رفع السيد اسماعيل يده مبتسما وبشوق وقال:

اجل، والله أنهم كثيرون لايعدون. أنه متزوج من امرأتين وله من كل زوجة خمسة او ستة اولاد، بالاضافة الى امه واخته الارملة ولها ولدان. وضيوف كثيرون، لذا فأني اطبخ لهم مرتين في اليوم. وليقل المرء الحق ايضا، فالمدير يحب الضيوف كثيرا وأن ديوانه عامر دائما وهو من اهل الحلة. فأثرت زوجته قمر من الطرف الاخر قائلة: لماذا لا يكون ديوانه حارا دائما مادامت الرشوة والسرقه طبيبتين.

نظر زوجها اليه وقال: تصدقين ولكن ثمة من يجمعه ولا يطاوعه قلبه أن يمنح أحدا رغيفا واحدا. لا والله أن هذا الرجل يصرف ما يسكبه على اهل بيته والضيوف، إذ أن الاطعمة تسيل سيلان الماء في هذا البيت.

قالت رحمه خان: اذن فأن الرجل خير الى حد ما. وعادت قمر مرة للكلام وقالت: اجل، أنه خير، ولكنه يقوم بأعمال الخير والشهامة بأموال الاخرين. بعد تناول الغداء، نظر قمر الى زوجها وقالت: ماذا تقول مادامت العمه رحمه هنا، فلاذهب أنا لمدة يومين لزيارة بيت اخي في اربيل، وقد ارسل عدة مرات في طليبي وأنا أفكر فيهم كثيرا.

وكأنما كان شةمال يريد هذا الامر من الله وقال: أشهد بالله أنه قول معقول.. لاتحملي هما، والدتي موجودة وكذلك ثقري موجودة، إذا أحببت إبقي هناك أسبوعا، إبقي هناك مايلو لك البقاء. وقال زوجها يصدق السيد وريا، اذا كنت ناوية على الذهاب فاذهبي مادامت الاخنت رحمه خان موجودة هنا، لانها لو لم تكن هي موجودة لما سمحت بذلك لأنه لايمكن ابقاء البيت خاليا.

لم يبق لدى رحمه خان سوى أن تقول حسنا، ها أنذا هنا ولاتحملي هما وسافري، رغم انها كانت تكره ذلك قليلا لانها كانت قد سئمت من هذه السفرات والتنقلات، ولكنها كانت امرأة ذات غيرة وشهامة ولم تسمح أن يظهر عليها ذلك. ففي بعض الاحيان حينما كانت تشعر بالتعب بسبب السفر والذهاب والحجىء الى هنا وهناك تغضب وتقول في نفسها: بالله عليك، متى هذا وقت السفر؟ أحمد لله، لقد رببت الاولاد وكبرتهم بألف بؤس وشقاء، والشكر لله لقد نشأوا كلهم، البنات تزوجن وتزوج الاولاد وارتاحوا في بيوتهم، والآن من حقي أن ارتاح قليلا واجلس في مكاني، مالي وكل هذه السفرات والتنقلات؟ فليعمل الاولاد مايشاؤون، والله لن ابرح مكاني ولن اتحرك، فليحدث ما يحدث، تعبت كثيرا وطلعت روحي. وكانت تمضي على هذا التذمر ساعتان او ثلاث ساعات، فيزول غضبها وتقول فجأة: ماتت امك.. ياترى اين يمكن أن يكون شةمال في الوقت الحاضر، وماذا يأكل.. عمت عيني كيف طاعني قلبي أن أتفوه بمثل هذا الكلام وأغضب. يجب أن اقرن اوضاعه وماهو فيه، بأوضاعي أنا. هارب.

هائم ويختفي في كل يوم في أحد المحور، ويصادف احيانا الا اعرف اخباره طوال شهر والى اين وصل، واين هو الان، شاب يافع محروم من الحرية وملذات الحياة.. حينما كانت رحمه تضع أوضاع ابنه نصب عينيه، تنسى التعب، وتندفع اكثر لأبداء النشاط والسفر ونقل الرسائل جيئة وذهابا وإخفاء مايجب إخفاؤه، وهكذا تصبح مشغولة بهذه الامور.

استجمعت قمر نفسها وذهبت واشترت بعض الهدايا وأشياء أخرى لبيت اخيها وأقاربها في اربيل، واستأجر زوجها السيد اسماعيل المعقد الامامي في سيارة، وتوجهت نحو اربيل مع بعض المسافرين الاخرين. بعد ظهر اليوم وصلت الى بيت اخيها وقدموا لاستقبالها فرحين.

بعد استراحة قصيرة ادارت قمر نظرها في بيت اخيها ووجهت الكلام اليه قائلة:
- أن داركم جميلة وجالبة للسرور، باركها الله لكم فيها.

كان اخوها محي الدين موصفا صغيرا في إحدى الدوائر الحكومية في اربيل وكانوا قد أنتقلوا حديثا الى هذه الدار التي كانت الحكومة قد بنتها للموظفين الصغار ومنحتها لهم بايجار قليل.

نظر محي الدين الى قمر وقال مبتسما!

-نعم، الدور لابأس بها رغم انها مثل فارغونات القطار كلها مشدودة الواحدة بالخرى، وعدا ذلك فأن المجران الفاصلة بين الدور منخفضة ورقيقة جدا كأننا جالسون في باحة واحدة.

ضحكت قمر وقالت: اشكو الله بأن بنوا الدور ولو على هذا الشكل بسبب اختلاسات المهندسين ونصب واحتيال المتعهدين، وأنه لعمل جيد انهم استطاعوا بناء هذه الدور. هز اخوه رأس وقال: مثلما تقولين أنت، والله انه شيء جيد!

بعد استراحة طويلة قامت قمر وهي تتكلم، وذهبت مع زوجة اخيها الى الباحة وتفقدتا الحمام.. قالت زوجة اخيها:

-تعالى وأنظري الى عتبة البيت، انها خلابة وجميلة، في الوقت الحاضر، الدنيا باردة، والا لو كان الجو طيبا لكانت عتبة بيتنا كأنها متنزة، الحيران كلهم كنا نذهب الى باحات بعضنا البعض، وكان الشيوخ يجلسون امام بابا الدار الخارجي والاطفال يلعبون في الفسحات الواسعة كما يشتهون.

وكانت قمر تبدي اعجابها وتتحدث عن جمال هذه المحلة وبيوتها، وحينما عادت لتذهب صاعدة الى البهو، لاحظت في بيت جيرانهم الأيمن رجلا عجوزا متقدما في السن كان ظاهرا بصورة كاملة من خلال النافذة، وحين شاهدها شرع في تحريك يده كمن يريد أن يسلم عليها، وظنت قمر أن هذا الرجل هو جار اخيها وعلم بقدمها اليوم الى هنا، لذا فإنه يسلم عليها ويرحب بها وكانت على وشك الرد عليه، واذا بها جحظت عينها واصابها الدهول، لأن الرجل لم يكتف باشارات يديه، بل اخذ يغازها، فتخدرت قمر، فأرادت وجهها وأندفعت الدماء الى رأسها وعينيها وخفق قلبها وقالت:

-الآن ماذا اقول لهذا العجوز الخرف؟ هل أسبه وأبصق على وجهه؟ كيفما يكن الامر ضبطت نفسها وقالت: كلها ساعتان مرت على وجودي هنا، وأقوم بأثارة مشكلة لأخي وأعرضه الى الشجار وأخلق العداوات بينهم وخاصة إن بابي داريهما لصيقان. كلا، الامر غير ذي اهمية، أغض الطرف عن الحادث ولأنتكلم حول الموضوع، اذ أنني ابقى هنا يومين أو ثلاثة أيام، عمت عيناه، فليفعل كذلك.. نرى ماذا سيحصل عليه سوى الخجل والفضيحة. بهذه الأقوال عادت قمر الى حالتها الطبيعية وفكرت بعمق من خطر هذا الجار، قالتفي نفسها، يجب أن أقول فيما بعد، وقبل عودتي لزوجة اخي لتأخذ بالها من بناتها وخاصة

انهن في حوالي العاشرة والثانية عشرة، وألا تسمح لهن أن يذهبن الى هذا الطرف أو ذاك، أو يذهبن الى بيت جارهم هذا.

ذهبت قمر وجلست وشرعوا في التحدث عن هذا الجانب أو ذاك، وبدأت زوجة أخيها في بسط السفارة. في هذه الأثناء تم قرع الباب وذهب أحد الاطفال وفتحه ودخل ولد في حوالي الثالثة عشر من العمر، ودخل مع الطفل الى الغرفة فرحبوا به وهو بعيد، اذ يبدو أنه من معارفهم، وجه الوالد الكلام الى زوجة أخي قمر وقال: ثيروز خان، أن والدتي تسلم عليك وتقول لقد جاءنا الضيوف على حين غرة ولم تطبخ شيئا، والضيوف قادمون من مكان بعيد، متعبون وجائعون، لذا فهمي تقول. لطفاً، ارسلوا لنا ماعونا من الاكل مما طبختموه ايا كان، نشكركم.

نظرت ثيروز وزوجها الى بعضهما البعض، ثم قالت ثيروز للولد بلهجة تنم عن الضجر:

-حسنا عزيزي، سأذهب الآن وأحضر الأكل لأنفسنا ولكم ايضاً، زمت شفيتها وذهبت الى غرفة المطبخ، ولم يمض وقت طويل حتى صاحت الوالد وسلمته ماعونا من الطبخ فتناوله منها وعاد الى بيتهم.

توجه أخو قمر الى أخته وقال هامسا:

-اتدرين لماذا نظرنا، أنا وثيروز الى بعضنا البعض؟

-لا، والله، ولكن فهمت أن هناك شيئا. قال اخوها:

أنا لا أحدثك عن الموضوع، ثيروز، وهي تعرف عنه اكثر، وتحمل في قلبها هموما اكثر. وفي هذا الوقت وصلت ثيروز بصينية من الدولة اليهما وكان البخار يتصاعد منها.

وضعت الصينية وقال زوجها ضاحكا:

-وهل ارسلته لهم؟ قالت ثيروز:

-نعم ارسلت لاهنأوا بأكله.. أنني لست معينة بماعون من الطبخ، فأن هذا القدر يبقى بعد تناول الاولاد الاكل ونرميه في الخارج، ولكن مايجزني هو بخل هذه المرة التي هي كالعجر. والله، لولا هذا الولد المسكين، لما ارسلته اليها، ولكن لم يطاوعني قليلي أن اخجل هذا الولد.

ضحكت قمر وسألت: ماهذه المسألة؟

جلست ثيروز براحة تامة وجلس الاخرون حول صينية الدولة ثم قالت: اختي، ان هذه الامرة، تعمل بنا هذا العمل كل يوم او ثلاثة ايام حيث ترسل الى بيوت الجيران في وقت العشاء وتقول: لقد جاءنا ضيوف على حين غرة، فيرسل كل بيت ماعونا من الاكل اليهم.. في المرة الاوى والثانية وحتى عدة مرات بعد ذلك ظننا انها صادقة وكنا نقول لابأس في ذلك أنهم الجيران، ولكن ظهر لنا فيما بعد انه ربما لم يأتهم ضيوف اصلا، او ليس بمستبعد أن يكون لهم ضيوف عزموهم هم، وفي كل الاحوال أنهم يعمرن مائدتهم الخالية بماعون من الاكل منا ومن هذا وذاك ويكيل الناس لهم المديح ويقولون أن تنظيم السفارة واقامة الولايم تليق بفاطمة خان.. وأن استقبال الضيوف لايليق الا بها.. تعالي ولا تقتلي نفسك.

قالت قمر مستغربة.. ويلاه، هل يوجد اناس مثل هذه؟ قالت ثيروز:

-اجل، يا بنيتي ويوجد اناس مثل هذه ويوجد أسوأ منها. هذا لابأس منه. بالله عليكم نفذت معجون الطماطة من البيت، او تقول:

اقلني الشففة لقد نفذ طحيننا، او لم يبق لنا بصل.. او بدون زحمة اقرضونا عشرة ارغفة من الخبز سنخبز غدا ونعيدها اليكم، واشياء اخرى كثيرة مثل هذا.

ضربت قمر يد بيد وقالت: ولكن لماذا تعطونها ماتطلب، وتلبون طلباتها؟ في حين تعرفون بالتأكيد انها تخدعكم ويعتبركم اغبياء وينفذ اعماله عن طريقكم؟!

مدت ثيروز لقمة الى فمها وحفخت رأسها وقالت:

-ماذا أقول، كثيرا ما تجتأحني موجة من الغضب وأقول، لو أرسلت هذه المرة، سأطردهم شر طردة وأقول لهم: نحن عائلة موظف صغير ولا نملك مورد رزق اخر سوى راتبنا.

والتراب لا يكفيننا الا بشق الانفس ونعيش حياة بائسة، ولا يمكننا أن نربىكم أنتم ايضا. ولكن حين ترسل لشيء اخر ارسله لها بصمت، ومهما احاول أستحي أن اردهم خائبين.

قالت قمر: مادام الامر كذلك، سلمت يداها، فلتفعل بكم هكذا، رفعت يدها وقالت بجملة: والله ان من يكون عديم الحياء هكذا ويعتبرني مغفلا، فلا استحي منه ولا أناول حتى صخرة يكسر بها رأسه! اي نوع نت الاقوال هذه!! وهكذا، فان كل واحد منهم كان يقول شيئا وهم يتناولون الدومة ويلقمونها في افواههم. كانوا قد إنتهوا من تناول الطعام، حين جاء بعض الاقارب والمعارف للترحيب بقمر واشبعوا المجلس دفئا وحرارة وأطالوا الجلوس الى ساعة متأخرة من الليل ثم راحوا. وبعد مغادرة الضيوف البيت، حيوا بعضهم البعض، وذهب كل واحد الى فراشه.

كان الفراش قد بسط لقمر في غرفة بنتي اخيها. حين ذهبت اليهما لعبت معهما فترة ومازحتهما وتحدثن احاديث حلوة شيقة، بعد ذلك قالت لهما اسعدتما مساء وقبلت كل واحدة منهما قبلة والقت بنفسها تحت الفراش.

كانت قمر عدا كونها متعبة بسبب الطريق ولم تكن قد استراحت طوال اليوم والى ما قرب نصف الليل، تشعر بالتعب، وما أن وضعت رأسها على الوسادة حتى اختطفها النوم.

في حلمها رات نفسها جالسة في بيتهم، فدق أحدهم وبقوة، الباب، وكان يدق الباب دون توقف وباستعجال، لان شة مال كان في الغرفة، حفق قلبها واستبد

بها الاضطراب والارتباك وكانت تقول باستمرار: من، ها أنذا قادمة. ومن جهة أخرى كانت ممسكة بيد شةمال قاصدة سحبه الى طرف قن الدجاج حتى يصعد من هناك الى سطح بيتهم ويقفز من هناك الى بساتين السلق والخضراوات الواقعة خلف البيت. وهي على هذا الحال وإذا برجال الشرطة يدفعون الباب ويكسرونه ويندفعون اليها والى شةمال وهم يحملون حزمة من السلاسل والقيود (الكلبجات)، فيمسك أحد رجال الشرطة بيدها ويضع القيود في يدها ويركبها على دراجة نارية ليأخذها فتصرخ وتقوم من النوم مع صراخها مضطربة ويستبد بها خوف كبير وتحاول النهوض، والى فترة، لاتتذكر انها ليست في كركوك، وانما هي في اربيل وفي بيت اخيها. بعد ذلك عاد اليها وعيها وتشهدت وأمرت يدها على وجهها، ويلسان ثقيل وعينين ناعستين شكرت الله عدة مرات وتباعا، لان ما شاهدته كان حلما. ولكن مع ذلك، كان قلبها ينبض نبضات سريعة وكانت قد افرزت عرقا باردا. ظلت جالسة في فراشها هكذا، ثم شربت جرعة ماء ومدت يدها واعادت الاغطية على ابنتي اخيها وقالت فب قلبها: أن الله ستر أن البنيتين لم تستيقظا من النوم نتيجة صراخي. ثم تمددت مرة أخرى. في وقت متأخر من الليل، كانت الساعة حوالي الثالثة بعد منتصف الليل وبعد قليل من التقلب على الجنبين، غطت رأسها وكانت على وشك أن تغفو، طرقت سمعها صوت مثل من يريد أن يحفر في جدار غرفتهم او مكانا ما من الدار، او كخيل يريد أن يحفر بجوافره. اصاحت قمر السمع وخفتت قليلا. رباه، ماهذا وياترى هل يمكن أن يكون خيل جيرانهم يفعل ذلك؟ لاعتقد أن يربي أحد خيلا في هذه الباحة الصغيرة. مرة أخرى طغت عليها الرهبة قامت واعادت الجلوس.. ولكن ماهذا الصوت الاخر؟ بسم الله الرحمن الرحيم!! والصوت الاخر يشبه صوت أذكار الدراويش! الأذكار بهذا الوقت المتأخر من الليل! ويه، اماه، من اين ظهرت هذه الاصوات.. اي نوع من الاحلام كان هذا

الحلم ويالها من ليلة مخيفة.. أنني لم ينفض عني خوف الحلم الرهيب بعد.. ياربي اتوب اليك. يالهي احفظ الاخ وريا هذا.. ياترى ألم يتعرض الى حادثة، لاسمح الله ولتصب اذن الشيطان بالصم.

فلأعلم سبب هذا الحفر وصوت الأذكار في منتصف الليل هذا؟ وقالت لنفسها: ماذا تقولين أن اذهب وابقظ اخي بهدوء؟ ياله من عيب كبير، أن أقول أنهض لتعلم ما سبب هذه الاوات؟ وفرضنا قد قام وخرج وتعرض الى حادث ما لاسمح الله؟ والله، لاينقضي الا هذا الامر. استبد بقمم خوف بالغ وطار النوم من عينها، وخاصة حين تذكرت أن هذه الدور شيدت في مكان قفر.

من الافضل أن اوقض (ضرا) بنت اخي، رغم انها صغيرة السن، ولكن على الاقل ستصبح نديمتي ونتحدث معا، مررت يدها بهدوء على راس وشعر بنت اخيها وقالت على مهل: ضرا، عزيزتي، ضرا نادتها عدة مرات وبشكل متواصل غير أن ضرا لم تبد حراكا ولم تشعر بتمرير اليد على رأسها ومناداتها. حين شادتهت قمر أن ابنة اخيها ثقيلة النوم الى هذا الحد، وتغط في نوم عذب، سحبت يدها ولم يطاوعها قلبها على أن تناديها فتركتها، وتحلت ببعض الغيرة والشجاعة وقالت: الويل لي، أفنيت عمرا و اي خوف.. هل تصبحين اكبر من هذا الحد؟ لو كنت قد أنجبت لكان قد آن أو ان زواجه ولدا كان أم بنتا. ويحك، كنت تريدين أن تجنني هاتين الطفلتين الغضتين، لماذا، لأنك تسمعين أصواتا.. قوت نفسها اكثر وتظاهرت بالصم ازاء صوت الحفر والاصوات التي كانت تشبه أذكار وتهاليل الدراويش واستلقت ثانية وقادت خيالها نحو احية أخرى، كانها كانت تود أن تنسي نفسها.

ياترى ماذا تفعل رحمه خان الان، و وقتوشة بماذا منشغلة. ماذا يمكن أن يكون اسماعيل قد فعل هذه الليلة؟! أنه الان أمام عيني وأراه كم هو قلق غير مرتاح، كأنني قد سافرت منذ عام الى قندهار، لايقول انها سافرت الى أربيل التي

تبعد عن كركوك خطوة واحدة، ولاشك ان الدنيا قد ضاقت عليية الان ، ومرة أخرى يشتم نفسه ولماذا سمح أن اسافر ،ولماذا لم نسافر معا ، مثل كل المرات حيث يقول : حسنا سافري ،ثم يندم . في أواقع انه انسان عجيب ، لأعتقد أن ثمة شخصا مثله يجب الاخرين كل هذا الحب . أنقلبت قمر على الجنب الاخر وقالت لنفسها : اه .. اين أنت يا إسماعيل؟ لو كنت تعلم أن النوم قد طار من عيني وأي خوف قد خيم علي بسبب هذه الاصوات.. أن المرء حين يغير مكانه ينام الليلة الاولى بهذة الصوبة وماذا لو تعرضت الى هذه المشاكل! عاد خيالها الى صوت الحفر والأذكار. لماذا لاتنتهي هذه الليلة.. فيها أنا قد نظرت الى الساعة عدة مرات وأراها لاتزال مثلما هي.. منذ متى وأنا يقظة واذا الساعة هي الثالثة والنصف.. من سوء الحظ لأحد يستيقظ، عجيب افهم قوله (لاله الا الله) ولكن لافهم قوله الاخر. صوته كأنه يصدر من بئر قريبة، وبدأ هزيم الرعد، كان ينقصنا دوي الرعود والغيوم.. اه، هاهو المطر بدا يمطر: قالت بابتسامة ساخرة: ما شاء الله الليلة الطيبة! يرحمنا الله، ياترى اي شيء اخر سيحدث الى أن ينبلج الصبح؟ لايسافر أحد اخر سوى قمر خان! من سوء حظي، في كل سفرة، أتعرض لحادث ما، ولكني لاتواب! سمعت قمر من خلال صوت الحفر ،وهزيم الرعد المتفرق وصوت المطر وهو يمطر مدرارا ، صياح الديك وكما سمعت بعد فترة قصيرة صوط اذان المساجد ،وبدا الاطمئنان يعمر قلبها ، اذا اعتقدت أن كل شيء قد أنتهى وجاء الصبح ،خفتت قليلا ،ولم تعرف كيف أخذها النوم و نامت الى أن أستيقضت على صوت ضحك و تلاطم ابنتي أخيها ، ومن فرحها فتحت عينها و شهادت ان النور انتشر ،وفي هذا الصباح سمعت صوت ضجيج الجبران قد بدا ويأتي صوت السيارات من حول المكان . كما سمعت صوت أخيها وهو يتحدث مع شخص وهو يضحك ، وهي الاخرى قد نهضت قائمة من فرحها .تجمع الجميع حول السماور ،وخاصة كان اليوم ،يوم

الجمعة ولم يكونوا يذهبون الى الدوائر و الودارس .وضعت ثيروز صاحبة البيت شايا ثقيلآ امام قمر اخت زوجها وقالت لم تلحق البنات الاذى بك ؟ كنت في همك و أقول ، أخاف أن تتماديا في اللعب و تسلبك الراحة .أن هاتين البنتين كأنهما القط ولفار ،لاترتاحان اذا أفترقتا وحين تكونان معا تتضاربان وتتلاطمان .خبط قمر شاي ،وقالت ضاحكة : تتحدثين عن هاتين المسكينتين ؟ وللة كانتا سبب راحتي هذه الليلة ،ورغم أنهما كانتا نائمتين ، الا أنهما كانتا موضع أصطباري ،وعادت تضحك مرة أخرى وقالت : ياربي ،أن ماحدث لي هذا الليلة اتمنى الا يحدث حتى للاعداء .أنتقض أخوها وزوجة اخيها معا وقالوا :لماذا ؟ لاسمح اللة لم تكوني مريضة ام ماذا ،ولماذا لم توقطينا ؟ هزت قمر رأسها ورفعت يدها قائلة : دعني ذلك ،ليتني كنت مريضة ، وللة انة كان احب الي .وهكذا بدأت بالتحدث عن الاحداث التي مرت بها الليلة ،من صوت الحفر وأذكار الدراوش وهزيم الرعد والاحلام المزعجة ولكنها تحدثت عن نفسهاحين جاء رجال الشرطة لألقاء القبض عليها ولم تأت على ذكر شه مال اوإى احد اخر ، وتحدثت عن نباح الكلاب وعواعها ، فرت لهم كل ذلك باضافات .

ضرب اخوها يدا بيداونظر الى زوجته بحرص بالغ وقالت : عمراللة بيتك ،كيف سها عن بالنا أن نخر ها انها اذا سمعت صوتا مثل هذا ، لاينتابها القلق ضربت زوجة ثيروز نفسها وقالت : فديتك ،ياترى كيف استبدت بها الرهبة.. وبدأت تتحدث عن انفسهم حين أنتقلوا الى هذه الدار ،وماحدث لهم بسبب تلك الاصوات وكيف أن النوم لم يكن يعرف لاي عيونهم سبيلا ،وقدم الجيران عدة شكاوي بهذا الشأن ولكن في النهاية لم يبق بيدهم اي حل لانهم تعودوا و عرفوا السبب ،والان فانهم يتجاهلون الموضوع . ضربت قمر بيدها على صدرها

وقالت: ربنا عونك كم كان صوتا رهيبا ومزعجا.. كيف تقدررون على النوم؟ في الحقيقة ماهذا الأمر؟

ناول اخوها الاستكان الفارغ لزوجته وأمسك علبة السكاثر بيده ووجه الكلام الى أخته وقالت:

-اذا حدثتك عن الموضوع سوف تستبد بك الدهشة من هذه الصدفة، وعلى الانسان ان يشكر ربه بالأيتعرض الى مثل هذه المصائب. فالمرء لايعرف المصائب الموجودة في هذه الدنيا حتى يتعرض لها. يوجد حولنا رجالن مجنونان وإمرأة مجنونة.

فتحت عينها قمر على سعتها وقالت:
-نعم!!

اكمل اخوها كلامه وقال:

-أن الصوت الذي كان يشبه صوت الحفر، هو لرجل مسكين فقد عقله، فهو انسان طيب ونجيب، ويصاب بين فترة واخرى بهذه الحالة، فسجنه ذووه مضطرين في الغرفة، لانه يضرب الناس ويسلك الطريق الى السهول والجبال، رغم أن زوجته وأخوه المسكين يأخذونه الى بغداد للطبيب، فيشفى فترة ويتعافي ولكنه ينتكس ويعود فجأة الى وضعه السابق، والمنكوبون لم يبق في أيديهم لامال ولانقود من كثر ماأخذونه ويعيدونه لذا فهم مرغمون على سجنه في الغرفة، ويقوم هو بالضرب على الجدران ومحاولة حفر الارض رغبة منه في الخروج.

كانت قمر مستغربة اشد الاستغراب وغير مرتاحة من أجل الرجل وقالت: ولكن بأي شيء يحفر الارض؟

قال اخوها: بلاشياء ، فهم لا يتركون شيئاً يصلح لهذا الامر تحت يده، ولكن يصادف انهم حين يأخذون اليه الطعام، يخفي الملعقة ويبدأ في العمل على أساس إنه يحفر الارض.

إكتأبت قمر، ثم قالت: التوبة ياربى، ارحمنا وارحم هذا المسكين وعانلته.. حسنا ماصوت الاذكار هذا؟

اخفت ثيروز فمها بغطاء رأسها وقالت: ربي لاتؤاخذني، المسألة تثير الضحك لدى المرء. انه بالصوت الذي يرفعه يقول: لا اله الا الله، أذهب الى الدكان انشاء الله. كان له دكان صغير، يبيع الفواكه والساكر واللبن واشياء أخرى مماثلة، ثم منذ أن تغير حالة الى ماهو عليه، يذهب اخوه الى الدكان، ولكن الرجل يجب دكانه جبا كثيرا، وقلبه دائما عند دكانه، فانه طوال الليل يقول ((لا اله الا الله)).

قالت قمر: حسنا، ولكن لماذا يسكنون في دار حكومية، وأنت تقولين، كان صاحب دكان؟ هل يستطيع اشخاص مثل هولاء أن يسكنوا في دار حكومية؟ أنبرى اخوها، وقال مبتسما: ابنته المسكينة معلمة، ومنحت الدار لها.. ياربى يكون حال الكفار كحالها بيد هذا الوالد.

وضعت ابنة اخيها ضرا يدها على فمها وقالت ضاحكة:

-عمتي، وهناك رجل مجنون اخر في الجانب الاخر من بيتنا! نهرت ثيروز صوتها وقالت بابتسامة مزيجة بالشفقة:

هذا المكنوب كلما راي امرأة تمر هنا ويشاهدها يقول: اين كنت خجي العزيزة، فأني في إنتظارك منذ الصباح؟

وذاك الآخر يقولون كانت له زوجة يجبها كثيرا وتوفيت منذ سنوات، وبعد وفاتها تغير حاله وفقد عقله ويكون في البيت دائما ولكنه هاديء ويكرر هذه الاقوال ولايلومه أحد على ذلك فهو يسكن عند ابنه الذي له زوجة واولاد ويشغل في البريد.

عضت قمر شفتها وقالت: في المساء أوشكت أن أتهمج عليه، إذ حين شاهدني غازلني عدة مرات رافعا حاجبيهو بأشارة من يديه كان يناديني.

غرق الجميع في الضحك.

قالت ثيروز : يصادف احيانا أن يغالظني عدة مرات في اليوم واذا يكون قريبا من الباحة يكلمني ويقول: متى تعودين، ماذا تفعلين في بيت الجيران الم تشبعي؟ فأقول له، عد أنت الى الداخل، سأعود بعد قليل، وهكذا يسلك طريقه ويذهب الى الداخل وينسى ماكان قد قاله.

قالت قمر: كان الله في عوننا، الله في عوننا، الله يعينكم، قسما بالرسول الكريم لو كنت انا وملكوني كل هضه الدور لما بقيت هنا يوما واحدا، اماء، ثلاثة مجانين مرة واحدة في هذا العدد الضئيل من الدور الصغيرة، يفقدون العاقل عقله. حسنا، ولكن لماذا لا يأخذونهم الى احد المستشفيات، او مكان اخر؟ كيف يمكن الابقاء عليهم بين هؤلاء الناس والعوائل، فالضرر يلحق بهم، وهؤلاء مساكين.

قال اخوها: هذا الذي بيتهم في هذه الجهة، يتفوه بهذه الاقوال، ولكنه لأحداً، وهو محلص جدا وطيب بين عائلته واحفاده.. يصادف احيانا أن يجلس ساعتين او ثلاث ساعات ازاء مهد حفيد، وفي بعض الاحيان يشغل نفسه بالعمل في الحديقة.

قالت قمر: وهل يقول مثل هذا الكلام لكنته ايضا مثلما يقول للاخرين؟ قالت ثيروز : كلا، يعرف انها زوجة ابنه ويحبها كثيرا، فقط يتعامل مع الاخرين بهذا الشكل.

تذكرت قمر المجنون الثالث وقالت: ماموضوع المجنون الثالث وهو الاخر ماذا به؟ قالت ثيروز : انها امرأة، ولكنها ليست على درجة كبيرة ن المجنون، بل انها مجنونة السفر، لها بنت تزوجت في الموصل، فما أن ينبلع الصباح ويأتي النهار، تقول لزوجها: اذهب وأستاجر لي مقعدا أماميا في سيارة، او تقول أستاجر مقعدا في إحدى سيارات الباص لأذهب الى الموصل وأزور إبنتي.

فيقول لها زوجها: لم يمض يومان على عودتك، أي سفر تقومين به.. لذا فأنها تشير ضجيجا وصراخا وتلطم نفسها وتكسر مايقع تحت يدها، فيضطر زوجها المسكين أن يهيئها ويرسلها الى الموصل. وما أن تصل هناك، تبقي هناك، تبقى هناك يومين وفي اليوم الثالث تقول لأبنتها: عزيزتي كيلاس، قولي لحسن أن ياخذني الى الكراج لأنني سأعود. تلطم ابنتها وتضرب نفسها وتقول: بالله عليك.. أتيت مستعجلة وتعودين مستعجلة، قدمت لليلة واحدة فقط، وفضحتني لدى أهل زوجي. لامناس من ذلك فتضطر ابنتها المسكينة مخافة أن تشير ضجة وتفضحها، تجد لها كل مرة الف ذريعة وحيلة واكاذيب بأن تمرض اخوها فجأة او أن اباهما رجله مكسورة، وهكذا هي اوضاع المرأة وسفرائها. كثيرا ما تأتي ابنتها بنفسها تلطم وتبكي وتتوسل أن يجدوا لأمها علاجا لأنها أصبحت مسخرة الاقارب والمعارف والجيران. وهذه هي المجنونة الثالثة. ضحكت قمر وقالت: فلأسرع في العودة مخافة أن أصبح المجنونة الرابعة. ضج كلهم بالضحك فضحكت هي اكثر من الجميع.

ظلت قمر يومين آخرين في بيت اخيها، وبعد ذلك بيوم عادت الى كركوك. بعد عودة قمر الى كركوك ولعدة ايام، كان الموضوع موضوع اربيل والمجانين وصوت الحفر والاذكار وتهاليل نصف الليل والحمران من النوم والرهبنة التي خميت على قمر والتي كانت ترويها لهم. ومن هذه المواضيع اخذ الحديث يتشعب وكان كل واحد منهم يريد أن يروي حادثة.

مدت رحمه خان يدها الى شدة رأسها وقالت:

في كثير من المرات يصادف احيانا، أن تحدث حوادث للاسنان فيعود سفره وبالا عليه ويصبح مراكسم الافاعي. ذهبت في أحد الاعوام الى مضمضال لزيارة إحدى قريبتنا التي كانت قد وقعت مريضة. كانت قريبة عزيزة علينا وامرأة طيبة. كان الفصل صيفا والناس ينامون على السطوح، كان لبيت قريبتنا باحة

جميلة مريحة وفيها مكان مرتفع كالمنصة. كان اهل البيت ينامون هناك، ولانهم انوا يحبونني واكراما لي، ارادوا أن يختاروا أجمل مكان وأكثره راحة، فأخرجوا سريرا حديديا جديدا وفرشوا عليه مناما جميلاً ووضعوه في أحد جوانب الباحة الذي لاتصل اليه اشعة الشمس الا في وقت متأخر من النهار، كما كانت في الباحة ورود وعدة اشجار للفواكه.

ذهبنا جميعا وغنا. في نصف الليل استيقظت على صوت قطتين كانتا تتشاجران على حاف السطح القريبة مني وكانتا قد تشابكتا وصوتهما يلاً الهلة كلها، فأنفضت وفتحت عيني ناوية القيام للهروب او اصيح فيهما لتخافا وتتركا المكان، لانهما في الحالة التي كانتا فيها من المحتمل أن تقعا معا على فراشي.

صمت رحمه خان لحظة والقت نظرة على الذين كانوا يصغون اليها بشوق، ثم اكملت حديثها وقالت: كنت لا ازال مستلقية ولم اكن قد قمت، حين فتحت عيني.. ياربي اتمنى أن يحدث ماحدث لي، لعدوكم. فجأة احسست أن اترية حافة السطح تساقطت علي ورذاذا من شيء ناعم ولين وطري سقطت على وجهي ودخلت عيني، فقامت كالمجنون ونهض معظم اهل البيت وجاءوا متأسفين، لان حافة السطح كانت قريبة مني واشعلوا المصابيح وطرودوا القطتين واقتربوا مني لمعرفة سبب وضع يدي على عيني، ولما نظروا الي، ماذا شاهدوا؟ أن الرذاذات المنتشرة هنا وهناك واصابت عيني، أما هي براز القطط الذي تساقط علي، اثر التشابك الوحشي بينهما واختلط بأتربة ورمال حافة السطح المحفورة بمخالبها. في طرفة عين، اخذت اتصايح وذهبت الى الحمام فغسلوا وجهي وملابسي وعقموا عيني بالبوريك وماء الملح، ولكن بدون جدوى، ولم يكن يقر لي قرار. كان الوقت متأخرا، اي حوالي الرابعة صباحا وبقيت على هذا الحال ومن اجل المرأة المريضة وأهل البيت، كنت أقول، أنه لاشيء ووضعي جيد، ولكن في الواقع كنت وكأنهم يغرزون السفود الحار في عيني ورأسي. كيفما يكن

الامر، جاء النهار، ونظروا الى وجهي، فراوا أن وجهي قد تورم واصبح رأسي كراس الأسود من شدة التورم. واسرعوا في طلب طبيب ولما جاء الطبيب فحصني وقال يجب أن نزرقيها الان ابرتين او ثلاثة ابر لان اشياء ملوثة دخلت عينها واختلطت بدمها الجراثيم الملوثة. وكان وجهي وراسي يتورمان ساعة اثر ساعة وكان التورم يتحول الى لون ازرق.. هذا ومضيفي المساكين نسوا مريضهم بسببي، ولم استطع فتح عيني حوالي اسبوع من الزمان، وبعد اسبوع زال التورم وفتحت عيني قليلا قليلا.

وحيث عدت الى السليمانية وشاهدني والد حمه والاولاد والاقارب أوشكوا أن يديرا لي مناحة، ثم هزت رحمة خان رأسها مبتسمة وقالت: اوترون كيف؟ كنت نائمة داخل الفراش. اذا جاء القضاء والقدر فلا راد له.. انظري ماذا حدث لي، لاكنت في الطريق، ولافي الصراء والجبال، كنت نائمة داخل الفراش، زكانت الدنيا هادئة صامته وكنت نائمة. قال الجميع معا.. اعأنك الله، لقد حدث لك حادث شيء وعبروا عن قلقهم وعدم ارتياحهم رغم أن الحادثة كانت قديمة، فألقت وفتوشة نفسها عليها باخلاص وعانقتها والصقتها بصدرها، كأن تكون الحادثة قد حدثت الان وتريد أن تحفظها منها لانها كانت حريصة عليها اشد الحرص.

ضرب السيد اسماعيل يدا بيد و قال: هذا هو مايسمونه القضاء والبلاء، والا حين يذهب المرء الى فراشه من اين يدور بخياله ان شيئا كهذا سيحدث له، ثم سعل السيد اسماعيل سعالا خفيفا وقال:

وانا أيضا في حينه كنت قد جندت حديثا وتم سوقي الى جنوب بغداد. في إحدى الاسمات كانت الشاحنات العسكرية الفارغة واقفة للتوجه نحو بغداد لجلب الذخائر والاثاثات لقاعدتنا العسكرية.

في كل مرة كان عدد من الجنود يذهبون بالتناوب مع السيارات الفارغة. في أن عددا من رجال العشائر القريبة من موقعنا جاؤا مسرعين مضطربين وتوسلوا قائلين أن أحد رجالهم مصاب بجرح بالغ وقالوا لعلكم تغيثوننا وتنقلون جريحنا في طريقكم الى بغداد، لاننا لانستطيع الحصول على سيارة، اذ أن طلقة أنطلقت من بندقية أحدهم فاصابته بجروح بالغة وحالة حرجة جدا.

قال قائدنا، لأبأس فلتذهب احدي السيارات لحمله. ومن سوء الحظ أن الشاحنات الاخرى كانت قد تحركت متوجهة الى بغداد، وكان على الشاحنة التي كنت فيها ان تذهب لحمل الجريح. وكنت آنذ صغير السن ولم اكن قد شاهدت الجرحى والدماء واشياء أخرى من هذا القبيل ولم أكن أعرف من هذا الأمر شيئا. تحركنا، ووصلنا الى القرية التي لم تكن بعيدة جدا عنا، وذهب الاهالي لجلب الجريح الذي كانوا قد لفوه ببطانية واصعدوه الى السيارة وبعد محاولات كثيرة هنا وهناك سمحوا لأحد أقاربه ان يأتي معه وقالوا انها سيارة عسكرية يمنع صعود المدنيين عليها.

أرقدوا الجريح في القسم الخلفي من الشاحنة وقريبة معه، وكنا نحن ثلاثة جنود مع السائق، جلس الجنديان الاخران بجانب السائق في مقدمة، ومن سوء الحظ، وضعوني مع الجريح وقريبه في القسم الخلفي داخل الشاحنة. وكان الظلام منتشرا، فتحركت السيارة. ضحك السيد اسماعيل كأنه كان يسخر من وضعه غي ذلك الوقت وقال: في البداية حين وقع نظري على الجريح الذي كان قدم لفه مثل الميت والدماء بادية على محفته التي وضعوه فيها، استولي على الرعب، فمابالك بالجلوس معه.

تحركت الشاحنة، واخذ الجريح يصرخ صراخا شديدا وبدأ قريبة مناخه واخذ يبكي ويلطم ويصيح بي أن اذهب اليه، وكنت اصم اذني حيننا، واشفق عليهما حيننا اخر واريد أن اذهب اليهما، غير أن الرهبة قد استولت علي، وخاصة كان

الوقت ليلا ومظلمًا ولم أكن أرى شيئًا سوى الشبح وهذا الصوت المؤثر للرجل الجريح وبكاء وعويل قريبه. وفي إحدى المرات، اضطرت حين ناداني قريبه كثيرًا وقال أنجدوني ها هو على وشك الموت فتقدمت خائفًا بهدوء وأنا أتخطب بسبب الظلام لثلاث ادوس عليه، وإذا بيدي تقع فجأة على وجهه واسنانه ورأسه ولحيته، فتخدرت في مكاني ولم تخرج كلمة من فمي وفقدت الوعي خوفًا.. وأنا في هذه الحالة لطمتني يد على وجهي لكمة شديدة وقلت في نفسي: لم يكن ينقضي إلا هذا، وظننت أن اللكمة جاءت من قريب الجريح لأنني لم استجب لندائه بسرعة.. كنت أفكر في هذا، حين جاءني هجمة أخرى، وعلمت أن هذه الحركات جاءت من الجريح نفسه، حيث كان المسكين يحرك يديه ورجليه ويتلوى من الألم، وكنت اطرق زجاج قمرة القيادة لتنبه السائق وأنادي الجنديين ولكنهم لم يكونوا يسمعونني، وكان احد الجنديين قد رفع عقيرته يغني ((يابوية، يابوية))، والى أن وصلنا الى بغداد اغمي علي مرتين خوفًا، فضح الجميع بالضحك على السيد اسماعيل الجندي الجبان.

وقالت قمر: ماذا حدث للجريح المسكين؟

قال السيد اسماعيل: ألم اقل كنت قد اغمي علي زلاتذكر ماذا فعلوا به والى اين اخذوه، فضحك المحاصرون مرة اخرى! قام السيد اسماعيل من مكانه وهياً نفسه ليذهب الى عمله ووجه كلامه الى المحاصرين وقال بابتسامة لطيفة: اود أن أقول لكم، بعد هذه الحادثة والى حوالي شهرين او ثلاثة كان النوم يجافيني وصوت الجريح يرن في اذني. فضحكت قمر مقهقهة وقالت: سلمت ف الواقع كنت جنديا بطلا.

بعد عودة قمر من اربيل بحوالي عشرة ايام، وجدت رحمه خان الفرصة مناسبة حيث لم يكن ثمة أحد في غرفة ابنها شةمال ، فذهبت اليه وحفظت

صوتها وقالت بهدوء: عزيزي شةمال ، فديتك، اعتقد أننا نوشك أن نصبح عبثا على هذا البيت، ونحن ثلاثة اشخاص، لا السيدة قمر ولا السيد اسماعيل يسمحان أن اشترى شيئا، ولو كيلو من الطماطة مثلا، في الحقيقة لم اصادف اناسا طبيين مثل هؤلاء ويقولان من باب الهزل، انها لقمة أكل لانصرف عليها فلسا واحدا، وانما كلها من بيت مدير الشرطة، ولكنهما لا يصدقان ويشتريان معظم الاشياء من السوق، ماعدا طعام الغذاء الذي هو من بيت المدير.. ماذا تقول فلأرجع مع وه نه وشه ، وبعد فترة اخرى سنزورك مرة اخرى.

قال شةمال مكتبا: صدقت، ولو أنهما يسيران كثيرا ببقائكما ولكن المرء يشعر بعدم الارتياح قلبيا وخاصة مثلما تقولين أنت لايسمحان أن نشترى لربع برتقالات على سبيل المثال. اخرجت يوما عدة دنانير وقلت لانور أنوي اليوم أن اعزمهم واريد أن يشترى لنا كبابا، وقلت له ماذا في ذلك، فلاعزمهم مرة واحدة.. نظر شةمال الى امه وقال: لاتعلمين مدى أنفعال الولد وماذا كان رد فعله وقال:

لو نقطت مرة أخرى بمثل هذه الاقوال سأهجر المكان ولن أعود الى هذا البيت مرة أخرى، وأعرب عن عدم إرتياحه لما قلت وكنت أريدمن الله أن يعود الامر الى حاله وقال : أنتم ضيوفنا ، وفيما عدا بيت أختي ،فإن لي راتبا جيدا وأن القسم الا الكلام . وكان قد ذهب ذلك اليوم و اشترى عشرين كبابا ظانا أنني أشتهييه .

نظرت رحمه خان نظرة بائسة الى ولدها وقالت : لذا أقول لنرجع لفترة من الوقت .خفض شه مال ر أسه وقال بابتسامه خجلة :نعود ولكن خذي بالك من وه نه وشه ، فانتفضت امه و عانقته واشبعت ر أسه ووجهه تقبيلا وقالت : كيف لأخذ بالي عليها ، ونظرت الى أبنها بابتسامه عذبة وقالت قولا ذا معنى

يوم كنت احرص عليها وأراعيها ولم أطلقها ، كان ثمة أشخاص يجاربونني على رعايتي لها ، ولكنني في الوقت الحاضر أحبها الآن مرتين ، مرة من أجلها هي ومرة من اجلك أنت .

ضربت رحمه خان ابنها بقبضتها ضربة خفيفة دليلا على المزاح قائلة: هل ترسل الرحمت الى والدي و والدتي؟ ضحك شةمال بفرح وقال: ارسل اليهم الرحمت الف مرة يوميا. عانقته امه مرة أخرى وقالت: لاتقلق سأضعها بين ثنايا قلبي الى اليوم الموعود، بعون الله ساقطع مهرها عليك و سافنها لك سالمة غائمة و بفرح و نجاح. شعر شةمال بالخجل قليلا و احمر وجهه وقال:

-أمي الحبيبة، اشكرك شكرا جزيلا و أني اعرفك و اعلم كم أنت امراة شجاعة و غيورة، ولكنك تعرفين أن زوج خاليه وابنه و حشيان كثيرا و فاقدو الشرف و أن جميع رجال الامن و الاشرار معهم، لذا يجب أن تراعيها رعاية كثيرة و تحرصي عليها اشد الحرص.

قالت امه : لاتحمل هماً و لاتقلق ، ليس رجل قادرا على التصدي لنا .. مادام الامر كذلك ، فأنا سنسافر غدا ان شاء الله ، ومتى ما اردت ارسل لي خبرا فأنا سنصل دون توفق .

وفي اليوم التالي بعا الفطور ، قامت وةنقوشة ورحمه خان وتعانقها مع القمر ، وهبت هي الاخرى مخلصه وودعتهما وحلقها يخنقه البكاء وقالت ينبغي أن تعودا في اوقات متقاربة ، والله اني متعودة معكما كأني واختي قامتا من قبرهما، وكان السيد اسماعيل قد ودعهما في وقت سابق وعبر عن انزعاجه وشوقه قائلا لماذا تذهبان بهذه السرعة وكان الاولى ومن اجل خاطر السيد وريا أن تظلا باقيتين فترة اخرى، ولم يبد موافقته على سفرهما الى أن قطعت رحمه خان عهدا على نفسها بأنهما ستذهبان لتفقد بيتهما .

وقام شةمال وافقا وعانق امه ، ثم التفت الى ونةقوشة وامسك يدها وقال بصوت دال على الحزن احرصي على نفسك.

كانت ونةقوشة قد احمر وجهها وكان حلقها قد سده البكاء وعيناها البراقتان الجميلتان قد اصبحتا كبركة دموع ، تمت من تحت شفيتها بعض الكلمات لم يفهم شةمال منها الا قليلا وكانت هذه الكلمات عبارة عن ((بالله عليك انت ايضا خذ بالك على نفسك)) ، ونفضا يدي بعضهما البعض بقلب تعصره الهوم ولفت ونةقوشة نفسها وتبعث انور بصحبة العمه رحمه كراج السيارات ، واصعدهما انور سيارة سائق صديق ورفيق نضاله.

وفي السليمانية عانقت شقويو امه بشوق ولهفة ورحبت بها وسألت هامسة عن احوال اخيها شةمال واخبرت امها بأنها كانت قد تجرعت الهوم ، لانها تأخرت ولم تكن تعلم شيئا عن مكان وجودها حتى تستفسر عن احوالها .

امسكت رحمه خان بيد بنتها شقويو وقالت تعالي لأوري لك شيئا لأعلم ما التدبير الذي تقترينه علي واخبرتها أن سبب تأخرها يعود الى أن أحد رفاق شةمال أخيها قد حدث له حادث وحدثتها عن ونةقوشة مثلما كانت قد اتفقت على الرواية مع شةمال بأن تقول أن ونةقوشة هي بنت أحد رفاقهم الذي ألقى به في السجن وأن شخصا من أزام الحكومة قد طمع في الفتاة وكان ينوي خطفها ، وعلي هذا الأساس اقترح شةمال ورفاقه أن تسافر معها الى السليمانية وأن يخفوها عن الأنظار لفترة من الوقت الى أن يترك سراح والدها .

قالت شقويو بلهفة : ومتى حدث ذلك ؟ دمر الله بيوتهم ، ولأن جاء الدور على اختطاف الفتيات ! جزاهم الله شرا ، ثم قالت بنبرة تنم عن الاشخاص والحرص: ولكن اين هي؟

قالت امها هامسة:

في الغرفة التي خلف البهو .

القت ابنتها شقوبو عباؤها على أحد الكراسي المستعجلة وقالت المشتاقه
وبحرارة : بالله

اين هي مرحبا بها . قالت هذا ودخلت مع امها الغرفة التي خلف البهو ،
وكانت وةنقوشة قد دخلت الغرفة صامته بناء على توصية رحمه خان وجلست
ساكنةحتى تتأكد من هوية قارع الباب وفق ما أوصتها رحمه خان ، ولو انها
كانت قد اخبرت ، وهي في طريقها الى البيت ، أحد أقاربها بأن يخبر شقوبو بأن
والدتها قد عادت ، ولكن مع هذا كانت قد اخفت وةنقوشة.

ووجهت رحمه خان كلاهما الى وةنقوشة مبتسمة وقالت : هذه هي شقوبو التي
كنت مشتاقه الى رؤيتها .

تعانقت شقوبو و وةنقوشة وتبادلتا التقبيل ، ورحبت شقوبو بها ترحيبا حارا
وعبرت عن فرحها وشوقها والتفتت الى امها وقالت:

-ألف مرحبا بك مع هذه الضيفة الحلوة الفاتنة التي اصطحبتها معك الينا ،
ماشاء الله كم هي جميلة وقاها الله من عيون الحاسدين.

احمرت وةنقوشة وخفضت رأسها خجلا من المديح الذي اغدفته عليها شقوبو .
التفتت رحمه خان الى ابنتها شقوبو وقالت : أنا أقترح ألايراها الا القلائل من
الناس ، فقط اختي آتول وبيت أخي قادر وأنتم وعمتك حلاوة .

فكرت شقوبو قليلا وقالت : وبيت حمي ؟

ضحكت رحمه خان وضربت يدا بيد وقالت : ياللهول ، لماذا نسيتهم علما أنهم
أفضل من الاخرين من حيث الخوف .

ضحكت شقوبو وقالت : ليتني كنت أعلم لماذا يخاف هؤلاء العجائز كل هذا
الخوف من الحكومة . اذ كلما يأتي ذكر اسم احدالمناضلين او تذكر

(الكوردائية) فانهم يموتون فزعاً وتصغر وجوههم مثل عبدول زوج العممة أتول ، اذ انه كلما ما شاهد شرطيا ارتجفت أنفه قبل جسمه .

نظرت رحمه خان الى وةنقوشة و اشارت مبتسمة الى ابنتها شقوبو وقالت : ألم أقل انها تحب المزاح وكثيرة الضجيج ؟

قالت وةنقوشة بابتسامة مشرقة : كنت انتمى ان اراها .
ضحكت شقوبو وضربت بيدها على ساعد والدتها بدلال كأنها تقرصها وقالت : ما هذا الذي قلته عني ؟

وقعت رحمه خان على ظهرها من شدة الضحك وقات : مالذي قلته عنك ، قلت انها عجولة وكثيرة الضجيج واستغرقت ثلاثتهن في الضحك .

قالت شقوبو : الا يحق لي أن أقول هذا الكلام ، وأقول بأنه لو كان الامر بيده ، لاغلق افاه الناس بالضمع كي لايدمدم أحد او يبدي تبرما ويعرب عن عدم ارتياحه ازاء ممارسات الحكومة الأستبدادية لثلا يحدث ما يؤدي الى التقليل في تكدس دنانيه .

قالت رحمه خان : ومن يصغي اليه ويوليه اهتمامه ، فأن اولاده حفظهم الله سلكوا طريق النضال واخذوا يبدون شتى أشكال الانشطة الكفاحية غير مبالين بشيء .

قالت شقوبو : لو يعلم بذلك فان روحه ستزهق خوفا وهلعاً .
ولولا بعد شةمال الذي كان قد شوش فكر وةنقوشة وقلبها ، فانها كانت قد فرحت بحياتها الجديدة اشد الفرح ، لانها كانت قد استاحت الى حد كبير ونالت حريتها الكاملة ،فأنها كانت تنام وتاكل وتغسل حسبها كانت تهوي ، وتعمل كل ما كانت تشتتبه نفسها ، وخاصة أن رحمه خان كانت تعاملها معاملة وحيدتها وروحها وتقدر دلها ، وفي الوقت نفسة كانت شقوبو تحبها حبا جما وتحاول من كل قلبها ادخال الفرح والسرور الى قلبها وتساعدتها بقدر المستطاع

حتى لا يضييق صدرها ، بعكس اختها شقرمن في بغداد التي كانت الدنيا قد ضاقت بها حين وقع نظرها على وةنقوشة وانها كانت تظن ان بلاوي الدنيا قد نزلت عليها .

وكذلك فأن هذا العدد من بيوت الاقارب الذين وقع نظرهم على وةنقوشة ، احتلت هي في قلوبهم مكانا رحبا وعشقوا اخلاقها وسلوكها بالاضافة جمالها ، وأن كل واحد منهم كان يحاول اقامة وليمة لها وأن يزوروها ويعبروا لها عن اخلاصهم وحبهم .

في أحد الايام كانت رحمه خان وابنتها شقوبو ، التي كانت قادمة منذ الصباح اليهما ، جالستين تلتقطان شيئا من التمن ، لأنه كان من المنتظر أن يأتي بيت حمي شقوبو الى البيت رحمه خان للعشاء ، وكانت وةنقوشة عاكفة على اداء بعض الاعمال في غرفة أخرى ، التفتت شقوبو الى امها وقالت هامسة :

اماه : هل شاهد اخي شةمال الانسة وةنقوشة ؟

كفت رحمه خان عن لقط التمن ونظرت الى ابنتها شقوبو وقالت :

- مرة واحدة فقط ، في اليوم الذي جئنا الى هنا ، جاءت بها خالنتها الينا حتي اصطحبها معي الى هنا ، هزت شقوبو رأسها ونظرت الى امها مبتسمة وقالت : ذلك اليوم فقط ؟ وأنتم على سفر ؟

اخفت الام ضحكتها وقالت : وماذا ؟ لم تكن الفتاة عندنا وقالت شقوبو بابتسامة عذبة مشرقة : صحيح ، صحيح ، ذلك الوقت فقط وأنتم على سفر وقع نظرها الى وةنقوشة ؟

ضحكت الام مرة أخرى ونظرت الى ابنتها شقوبو وقالت :

ماذا ؟ الا تصدقين ؟ الامر هو كما رويتك لك .

قالت شقوبو : كيف لا اصدقك وكيف اجراً على ذلك ؟ ثم نظرت الى امها
بضحكة صامتة وقالت : لادري ، ولكن قلبي يقول شيئا اخر . ثمة سر هذه
المسألة . بالله عليك وحلفك برأس

شمال أن تصدقيني القول وتروي لي الموضوع ، والله لا يسمعه أحد مني .
اتدرين لماذا أحب أن اعرف ؟ احب هذه الفتاة حبا شديدا ، انها جميلة فاتنة
واحب أن تصبح من نضيب شمال العزيز ، لذا أقول لك .

تمتت امه مع نفسها وضيقتم فمها وشفيتها قليلا ونظرت اليها قائلة : ايتها
الشيطانة ، اعلم أنك لاتصدقين اقالتي وأن حب الاستطاع قد استبد بك لتعلمي
كنه الموضوع ، ورفعت اصبعها قائلة : كما قلت بنفسك ولا يكون ذلك عتابا
وملاما ، لان حياة الفتاة تقع في خطر وأن اوضاعنا اسوأ من وضعها هي .

مرة أخرى أقسمت شقوبو اليمين لأمها ، ولانها كانت تثق بابنتها تمام الوثوق ،
روت لها على مهل كيف شمال رآها ومدى حبه لها ووله بها وكذلك الفتاة
ايضا ، غير انها لم تحدثها عن كيفية لقائهما معها صدفة : وقالت لها :

ان الحكومة قد قتلت والدها وهي تظن انه لايزال سجيناً وماتت امها منذ زمن
وكانت تعيش في بيت خالتها . وخوفا من هذا الشخص الذي هم من رجال
الحكومة والذي طمع فيها اخبرت الخالة رجلا من رفاق والدها أن ينقذها
ويخلصها لذا فأنهم اخفوها فترة من الوقت في البيت الذي كان شمال محتفيا فيه
خوفا من اختطافها ، وفي الفترة احبها شمال وعشقها وراقت له .

ضربت رحمه خان بصدرها بيدها حنانا وقلقا وقالت : ليت امه كانت تموت ، كم
كان يببث عن الحجج والذرائع لكي يبقي هناك ولانعود . احتضنت شقوبو
والدتها وقالت : وافرحته ، كم اعجبني ان اخي شمال قد رآها وعشقها ..
يا الهي اكون قربناه له ، والله انها تليق به كثيرا ، فديت الله كثيراً اي نوع من
الحوادث لديه !

عضت رحمه خان شفتيها وقالت في سرها : ولكن لو تعلم كيف كانت المصادفة الحقيقية وكيف وجدنا بعضنا البعض في الطريق وفي القطار وانتذ ماذا تقول؟! قطعت شقوبو خيال امها وقالت باشتياق وفرح : أن الله واسع الرحمة كريم . ولا تبقي الاوضاع على هذا الشكل الى ابد الابدین ، ولا يضل اخي شةمال محتفيا هكذا .. من يدري ، ان الله لا يدفعهم دفعة يقلبهم راسا على عقب ويفنيهم . وهاهي مصر ، من كان يصدق أنهم يطردون الملك خلال عدة ساعات ومبهلونه ساعتين لأن يجمع حاجياته وافراد عائلته للخروج من الوطن .

استنشقت رحمه خان نفسا طويلا وقالت بمزيد من الحزن : ولكن اين اليوم الذي يحدث عندنا ما حدث هناك .. ياربي نعتمد عليك .

قربت شقوبو فيها من امها وتقول المزيد ، حين دخلت وةنتوشة الغرفة وقالت : عمتي العزيزة : لقد رتبت الغرفة ، فكفاك أنت وقومي حتى اجلس مع شقوبو خان لنكمل لقط التمن .

نظرت اليها رحمه خان نظرة مفعمة بالحب وقالت : استريحي قليلا لأنك تعبت كثيرا انخت وةنتوشة وهي تبتسم ابتسامة حلوة وامسكت كلا ساعدي رحمه خان قائلة : والله ستقومين ، فقامت مرغمة ، وهكذا جلست في مكان رحمه خان والقت بأناملها الغضة البيضاء داخل التمن وبدأت في لقطه مع شقوبو .

وشرعت شقوبو في التحدث بكلمات حلوة ومضحكة وأحست بأن وةنتوشة قد بدت أمام عينها اجمل واحب اليها من الايام الاخرى لانها عملت أن اخاها شةمال بعشقتها ويحبها .

في هذه الاثناء دخل سمو وحماة شقوبو بيت رحمه خان مع ابني شقوبو الذين كانا قد ناما تلك الله في بيت جدها ، وخاصة كان ذلك اليوم ، يوم جمعة وكتن على الولدين - كد أبهما - أن يذهبا كل يوم خميس الى بيت جدتهما وبظلا هناك ليلة الجمعة . كان الولدان في العاشرة والثانية عشرة من عمرها .

استقبل اهل البيت الضيوف استقبالا حارا ورحب بهم اجمل ترحيب ، وعاتبنهم على سبب تأخرهم . هزت رحمه خان يدها ووجهت الكلام الى الحاج عبدالله حمي ابنتها قائلة :

لاتأمل في تمن حديث الطبخ ، فقد مضى وقت طويل على طبخه،ضرب الحاج بيد وقال :

- ماذا أقول مرة أخرى خلق لنا (نوره بك) مشكلة لذا تأخرها ، ولكن هل هذا كلام تتفوهين به ، رحمه خان ، فان التمن الذي تطبخينه له نكهة وطعمه الخاص حتى لو مضى على طبخه يوم .

وجه ابن شقوبو الكبير الكلام بلهفة الى جدته قائلا : ماما رحمه . كان (نوره) قد اغمي عليه مرة أخرى وأعادوه البيت مشغيا عليه . كان الاضطراب والقلق لايزالان باديين على حميا الولد والظاهر أن الخوف قد غلبه .

وكان (نوره) مصغر الوجه ذابلا وعيناه الزرقاوان الصغيران نصف مغمضتين وذابتين ولف يشماغا نظيفا جدا على راسه مع طاقية ذات شرابات منسوجة باليد وكان يلبس بدلة كوردية من طراز (السروال والمرادخاني) جديدة ومرتبة ، فناده الجميع مباشرة أن يذهب ويجلس بجانب منقل النار ويدفئ نفسه .

ومن جانب من جوانب الغرفة ، كان يأتي صوت ازيز السماور ، التفتت رحمه خان الى ودهنوشه قائلة : حبيبتي هلمي وحضري الشاي، اخفت شقوبو ضحككتها وقالت : تصدق والدتي ، لعلكم تعطون شايا الى (الاخ نوره) حتى يخف صداعة ويعود اليه وعيه . اكملت شقوبو حديثها وقالت:لابالله ماذا تقولون ان ذهبت وحضرت له شايا من الليمون الحامض ،فذلك افضل له. انبرت حماتها آفتاوخان وقالت : لاحاجة له في ذلك لقد حضرنا له العصير في البيت وشربه.

ابدت رحمه خان و شقوبو و وةنقوشة نشاطا أكثر وذهبن نحو المطبخ وشرعن في صب الاكل . هناك نظرت رحمه خان الى ابنتها بضحكة صامتة مثل التوسل

وقالت : بالله عليك شقوبو دعني (نوره) وشأنه ولاتعاكسيه مرة أخرى ولاتسبيني له مزيدا من القلق وعدم الراحة ، فالمسكين بجد ذاته ليس له وعي كامل . ضحكت شقوبو مقهقهة وقالت : مالذي فعلته ، هل أسأت القول اذ أقول فلاذهب لأحضر له شايا من الليمون الحامض ؟ وضع الاكل على السفرة ووصل زوج شقوبو ايضا وجلسوا جميعا لتناول الاكل ماعدا (نوره) الذي قال : أني لا اشتهي الاكل الان ، احفظوا لي حصتي .

عاد حمزةزوج شقوبو من غسل يديه وشر عن ساعده وجلس على السفرة ، ولم يكن عالما بمشكلة (نوره) والاعماء عليه ، اذا التفت اليه وقال : هلم يااخي نوره ، تفضل لماذا لاتقوم ؟

قال الحاج والده: هو متوعك قليلا و سوف يتناول الاكل فيما بعد . علت بسمية شفتي حمزة مرة اخرى؟ أكمل حمزةجزا كلامه ورفع صوته بعض الشيء وقال بحدة : خرب الله بيتك ، مادام هذا حالك ، لاتكثر الذهاب الى الحمام، يصادف احيانا أن يذهب مرتين .. بهذا البرد والثلج وكيف تقدر على ذلك ؟ بالاضافة الى جميع المآسي ، فإنه لايرضى بحمام البيت ويقول: انه ليس حارا، احب الحمام الخارجي لأنه اكثر حارا واطيب ويعيدونه الى البيت كل مرة نصف الميت، غمزت له والدته بألايتكلم أكثر من ذلم ويدع (نوره) وشأنه ويتركه لأنه مسكين.

وكان (نوره) قد الصق ظهره ، وهو جالس ، بجدار الغرفة كأنه نائم ، واضعا معطفه على كتفيه ، يده تحت حنكه ساهما امام منقل النار ، ويبدو عليه أنه كان يشعر بالخجل، لانه كان يعرض بيت الحاج عبدالله مرة او مرتين شهريا مثل هذا الحدث حيث يرتعبون محال به ويسرعون في الذهاب اليه ، او أن أحد المعارف كان يؤجر له إحدى العربانات ويعود به الى البيت وهو هذه الحالة، ويصيبهم الملح و الارتكاب وينقشونه العطور ويجر عونه العصير، وكان يصادف احيانا أن تمر عليه ساعات دون أن يعود اليه وعيه وكان اهل بيت الحاج

يتسارعون ويستنجدون بالجيران لاحضار طبيب له واعلام الحاج وحمّة جزا او أقاربهم ، الى أن كان نوري يعود وبعيه قليلا قليلا .
ولكن، رغم انهم كانوا يعملون بأن ما يحدث له ناجم عن حرارة الحمام ، ولبأس فأنه سيعود الى وعيه، غير أنهم مع ذلك كانوا يخافون ويختلط عليهم الامر ، وما أن يشعر بتحسن حتى كانوا يؤنبونه يقولون له يامهجوم البيت لاتذهب الى الحمام كثيرا، فقد اخفتنا كثيرا . وكان من جانبه يعدهم بأن لا يذهب ، وحتى لو ذهب ، فأنه سيذهب في الوقت يكون الحمام قد برد وغير مزدحم ويتفق مع القائم بغسل الزبائن على منعه من الدخول في حال لم يكن الحمام على هذا الشكل، غير أنه كان يدخل الحمام ناكثا وعده وفي كثير من الاحيان كان يتعرض الى الحالة ذاتها.
كان (نوره) من أحد اقرباء الحاج عبدالله ، وشخصا ساذجا وخبا ومغفلا منذ الطفولة ، ورباه زوج امه مع اختين له.

كان رأسه خاليا حتى من شعرة و احدة كان اقرع في طفولته ولم يوله أحد اهتمامه ويدر له باله. والآن و قد اصبح رجلا في الاربعين من عمره، لازال هذا الاسف باقيا في قلبه و كان يتجنن اذا مست يد أحد يشماغه، لذا فانه كان دوما تائها مترددا ضاربا الابخاس في الاسداس، كان مراهقو معارفهم و أقاربهم يثيرون حفيظته و يسخرون منه من باب قضاء الوقت والتسلية، و اذا ما سنحت لهم الفرصة كانوا يخطفون لفة رأسه و يبقونه حاسر الراس، فيشتد به الغيظ ويصيبه الجنون، اما هم فكانوا يضحكون عليه و تفرح قلوبهم دون أن يأبهوا باحاسيس هذا المسكين و قلبه و مشاعره. لهذا السبب، كان قد ذهب الى البغداد فترة و تعين شرطيا. من سوء حظّه، كان حارسا في شارع الحيدر خانة في يأتي و يصلق ظهره بأحد الاعمدة ويقف، و كان الفصل شتاء و الجو باردا، و هكذا يغفو اغفاءة، فيمر أحدهم امامه و ينزل البندقية بهدوء من كتفه و يأخذها، و لهذا السبب فقد سجنوه فترة ثم فصلوه من سلك الشرطة عاد اثرها

الى السليمانية و ظل ف بيت قريبه هذا الانهم يحبونه و يشفقون عليه، و يعاملونه معامله رجل كامل الرجولة. اما هو فكان يقوم بتنفيذ بعض الاعمال العسبة و يسوق لهم، و كان رجل البيت و حافظ المفاتيح.

و لكن في بعض الاحيان كان يقع شجار بينه و بين آفتاو خان حماة شتويو حين كانت آفتاو خان تقول له: ((غزيري نوره)) اذهب لزيارة بيت الشخص الفلاني يقولون إنه كان مصابا بغص فاخذوه الى المستشفى لانني أفكر فيهم كثيرا، و ان رجلي تؤلمني و لا استطيع بهذه العاجلة الذهاب لزيارتهم، اذهب انت لمغرفة الموضوع. فلو كان البيت المقصود لايعجب نوره، كان يتوجه الى آفتاو خان و يقول: والله و بالله ليسوا مرضى، ولكن من الذي اخبرك بذلك؟

و حين كانت تقول له: يا ولدي، قال لي جير اننا ذلك الان، فاذهب مستعجلا ولا يحتاج الى هذه التحقيق. كان نوره ينفعل و يغضب و يقول: يا ناس، لم لاثقون بي، فلتمت اختاي في يوم واحد و تضعينهم في القبر بيديك إن كنت كاذبا، رايتة اول امس امام دكان أحد باعة الفواكه.

و كانت آفتاو خان تقول له: يا ولدي، اين اول امس، واين اليوم، ان هذا المسكين حدث له ذلك هذه الليلة. كان ل(نوره) مثل هذه به الغضب، كان فمه يصبح كالرشاش ورشقات رصاص، ولم يكن أحدهم يفهم كلامه فهما تاما، او ماذا يقول و كانت سناه الاماميتان متباعدين، وعييناه زرقاوان وصغيرتان، وكان شعره اصفر، ويظهر ذلك من شعرات شاربيه لانه لم تكن في رأسه شعرة واحدة ليعرف الناس لون شعره عن طريق رأسه. وكان لون جلده يميل الى البياض كما كان طويل القامة.

كانت اختاه متزوجتين في كركوك واستقرت كل واحدة منهما في بيتها ولهما اولاد ايضا، و كانتا منتظمتين ومرتبتيين كما انهما كانتا تراعيان نوره وتحصان عليه، ولو أنه كان يميتها يوميا عدة مرات حين يغضب ويدفنها في القبر.

ان افضل عمل كان يعرفه، هو انه حين يذهب الى السوق كان يشتري اللحوم والحضروات والاشياء الاخرى ومن أحسن الانواع. وفي كل مرة كان يقول للقصاب: اعطني هذه القطة من اللحم، فاذا لم ينصع القصاب لرغبته كان يثير ضجة تؤدي الى تجمع اهل تلك المنطقة على القصاب وكان يضطر الى الامتثال لطلبه لانهم جميعا كانوا يعرفون ذا الفم الرشاشي، لذا كانوا يعطونه افضل الاشياء واحسنه لتخلصوا منه، لم يكن نوره يعرف شيئا عن السياسة والكورداييتي وكان عقله قاصرا عن فهمها، ولم يكن يميز رجال السوء والامن والموالين للحكومة عن المناضلين. مثلما حدث في إحدى المرات ومن جراء الممارسات الوحشية التي قامت بها الحكومة في احدى مناطق كوردستان حيث اعتقلت عددا كبيرا من سكانها وقامت بنفيهم الى جنوب العراق ونقرة السلطان مما ادى الى اثاره الناس وخلق اجواء من الأمتعاض والاستياء الشديدين، فنظم البارتي تظاهرة كبيرة وشقت التظاهرة وسط المدينة ومر المتظاهرون امام السراي وهم يهتفون فليسقط، فليسقط، وخيمت في ذلك اليوم حالة من الاضطراب واللااستقرار مدينة السليمانية، فيبقى نوره فترة من الوقت في ذلك المكان ويعود الى البيت بعد أن يتذكر أن أفتاو خان مريضة وهي وحيدة في البيت وأن اولاد الحاج وبناته هم خارج البيت. حين يعود نوره الى البيت، تذهب أفتاو خان بلهفة بالغة الزيادة لاستقباله وتقول عزيزي نوره، الف مرحبابك، كاد قلبي ينشق وينفجر.

تعالى وأنظر الى هذه المصادفة السيئة، عدا كل الايام الاخرى قصفت رقبتى، تمرضت اليوم، بالله عليك، أن قلبي يكاد تعصره الهموم، هل كانت المظاهرة حاشدة؟ الشكر الله ألم يحصل شيء؟ هل وقع نظرك على الاولاد؟

ويعتقد نوره بأنه يواسيها ويدخل السرور الى قلبها لانها مريضة وهي في هم على اولادها، يلتفت الى أفتاو خان ويقول: لا، لا، لاتقلقي، لان أي شيء لم

يحدث، وكل مافي الامر أن أولاد الكلاب هؤلاء يهتفون: يسقط، وقد خربوا الدنيا، والشرطة تنتهيا لاطلاق النار عليهم وتفرقهم. رأيت بأم عيني كانوا ينصبون الرشاشات على سطح السراي.

وتكاد افتاو خان المسكينة أن تموت خوفا حين تسمع ذلك من نوره، لذا فهي تتهجم عليه وتقول اه: لا أعادك الله أنت مع أخبارك ياويلي، حولتك الى غضب الله، أتدري ماذا تقول؟ هل تأخذ جانب هؤلاء الشرطة والحكومة الكلبة بنت الكلب؟

فيقول لها نوره: لماذا تغضبين هكذا، ماذا قلت؟

فتقول له: كيف ماذا قلت؟ كيف تسب هؤلاء الناس الذين يهتفون بسقوط الحكومة. أن هؤلاء جميعا الناس طيبون ولاولاد يؤيدونهم ويعبر هؤلاء عن غضبهم وامتعاضهم ازاء الممارسات الوحشية للحكومة.. كيف تقول هذا؟ فكان نوره يخفض رأسه ويقول: من أين لي أن أعرف من هؤلاء الذين كانوا يقومون بهذه الاعمال، أن كل ما أعرفه أن هؤلاء قد نشروا الفوضى في المدينة وكل هؤلاء النساء بعباءاتهن كن يتبعنهم كأنهن أسراب الغربان.

كان نوره المعتوه عاشقا لمدينة السليمانية، ويعتبر كل مدن الدنيا واماكنها لاشيء إزاءها. في بعض الاحيان، واذا كان منشرحاً بالفرح وراغباً في إطلاق النكات و الضحك، وكان ذلك نادرا ما يحدث، لانة كان غاضبا ومرتبكا دوما، لذا فأن معارفه كانوا ينتهزون هذه الفرصة والتي كانوا ينتظرون هذا الوقت قلبيا. في هذه الاوقات، كان نوره يفتح ويشرع في سرد النكات والاقال الاحلوة ويقول فجأة: اخ، سرجنار وشرب الخمر واكل الفستق. ثم يضحك ويضرب يدا ويأخذ في الاحاديث الشيقة، مع العلم ان نوره لم يكن يشرب الخمر او فمه اليه وما كان يعرف ماهي الخمرة اصلا، وانما كان يقول ذلك فقط حبا في الذين كانوا يذهبون الى سرجنار النزهة.

يعود نوره يوما الى البيت مهوما مكتتبا غير مرتاح، ورغم أن آفتاو خان تناديه قائلة: ياابني ماذا بك، تعالي وتناول الاكل، لكن نوره لايرد عليها ولايتكلم بل يبقي مكتتبا مطاطئا رأسه، فتشعر آفتاو خان بالقلق وتقول: الويل لي، بالله عليك ماذا قد حدث؟ هل أصيب أحد منا بشيء؟ وهكذا تلح عليها.

واخبرها يضرب يدا بييد مضطراً ويقول لقد افتضحت السليمانية. وتكاد آفتاو خان تشق قميصها من شدة الغضب وهكذا اللف والدوران من قبل نوره.. فتقول له غاضبة:

- يا ابني أن قلبي قد أنشق.. هلم افتح فمك.. لماذا لسوء حظي أغلق فمك الرشاش هذا؟ فيرفع نوره رأسه ويهز يده بعدم ارتياح بالغ.
-ولكن كيف لافتضح السليمانية بأن يقوم هورامي بضربنا؟ فتتنفس آفتاو خان الصداة وتقول: ياابي و فديتك، إفهمني بهدوء لاعلم ماهي المسألة.
فيقول نوره:

-والله، كنت اريد أن امازح عقبة هورامي بائع المعلاق، مثل جميعالمرات، غير أنه ضرب راسي بقبضته دون سبب فاغمي على. وحين عدت الى وعيي كان عدد كبير من المعارف والاصدقاء قد تجمعوا حولي ولم يسمحوا لي أن أثار منه. أن لم تكن هذه فضيحة، فكيف تكون الفضيحة؟

-ولكن متى لم تتذوق الضرب في شجارك.. ياابني انك أنت بنفسك تتحرش بالناس وحين يحدث الشجار لاتحمل هم شيء سوى رأسك حتى لا يظهر، لذا تمسك ببشماغك امساکا قويا.. ومن المعلوم مادمت لاتملك يدا فان الناس يضربونك. فلنفرض أنك وجهت الشتائم اليهم او انتهزت فرصة وركلتهم ركلتين، هذا لن يفيدك بشيء، في حين يقومون هم بضربك بالايدي والارجل، ومن المواضع أنهم سينتضرون عليك.. الذنب هو ذنبك، فمادام هذا هو حالك،

لاتتحرش بالناس، او لاتهتم كل هذا الاهتمام بظهور رأسك، لان جميع الناس يعرفون ماذا برأسك وكيف هو فلماذا تحاول اخفاءه؟ فيهبز نوره رأسه ويصمت.

كان الجو يميل نحو الاعتدال ، ولبرد ، كمايقولون على وشك ان يقصم ظهرة .وكانت الورود و الازهار و لنرجس والا عشاب الاخرى في جبال كوردستان الجميل الخلابة ، تكاد تخرج رؤوسها،وما أن تذوب الثلوج ،حتى كانت تبدو ظاهرة للعيان وكانت تشتاق الى استنشاق عبيرلحوية التحرر،وأن تنشر تلك الورود ولبراعم ولاوراق اريجها في ماحولها وتظهر نفسها وتبشر الجماهير بأن تهيء نفسهاوتضاعف كفحها ونضالها الى عيد الورود ولرياض ،عيد نوروز. في تلك الاثناء كان شه مال ايضا قائما على احضار نفسة وطبي أوراقة حقيبة الصغيرة بغية الذهاب الى منطفة السليمانية عن طريق صديقة الضابط ايضا،الان رفاقة كانوا قد اتخذواقرارا بذلك وعينوا ،على وجه الخصوص ،بعض الاماكن المناسبة في عدد من القرى وبيوت ودور واقعة في ضواحي المدينة .

كانت قمر مضيفة شه مال تأتي وتذهب وتسمح دموعها وتقول :وماذا نفع بعد ذلك ..((يا أخ وريا))العزيز ،سيظل مكانك خاليا ونشتاق اليك ونفكر فيك كثيرا ، واكاد أقول لبيتنا لم نلتق بك ولم نرك ..وكلما أفكر ،كيف نكون قادرين على النظر الى هذه الغرفة دون أن تكون أنت فيها .وكان شه مال هو الاخر ، قد تعودة العيش مع قمر وزوجها اسماعيل وأخيها أنور كأنه كان يعرفهم منذ سنوات عديدة ويعيش مع امه وشقيقاته واشقائه . كان يحبهم حبا جما ويحترمهم ويعمل على أرواء قلوبهم ، وأضعا امام عينيه خدماتهم وتضحياتهم لذا نظر شه مال بأكتئاب بالغ الى قمر وقال : ولله اني منذ الان اشتاق اليكم وافكر فيكم ولا انسى في الواقع اخلاصكم وف فضلكم وانك الاخخت الاحب الى ،لاتشغلي بالك ،وان شاء اللهم ان أصل الى هناك و أستقر في مكان ما

،سارسل في طلبك لكي تحضري وتمكثي فترة من الوقت مع ولدتي و وه نه وشه واختي .

قالت قمر وهي تتنهد باكية :أين ،حتى أن العمه رحه خان منذ سفرها،لم تعد لزيارتنا مع وةنقوشة خان ،فقد كانت سأزورك في لأوقات متقاربة ،ومضى على ذها بهما عدة اشهر و كان الشتاء في بدايته وها قد حل الربيع .

عصر شه مال يديه و قالت :ولله أن عدم محيء ولدتي و وةنقوشة كان ذنيي والا فأن المسكينتين كانتا تودان المحيء ولكني كنت أبحث اليهم بعدهم الحضور لأنني عازم الذهاب الى تلك المنطقة ، وأنت تعرفين منذ متى وأنا انوي أن أسافر اليوم أو غدا ولكن الأمرك يكن ليستقيم .ثم قال بابتسامة مشوبة بالكابة :ماذا اقول فأن سفرنا وذهبنا ليس بيدنا ،ففي كل مر تعترضه عقبة او يحدث مايرعقله ،والالولم يكن الامر كذلك لكننا قد حضرتنا عدة مرات .

مسحت قمرعينيها الدامعتين بظهر يدها واستنشقت نفسها طويلا وقالت:من سوء حظنها ان الوضع سائر نحو الاسواء فتري ماذا حدث المدينة كركوك ،فخلال عدة الايام كان و يقومون بأجراء التحريات في البيوت و يفتشونها ويقولون القبض على الناس ..

أحرقهم الله ،فأن الحكومة أصبحت كالكلب المسعور تهاجم هؤلاء الفقراء من الناس ،قال شه مال ،كلما استزادوا في أساءة معاملة الناس ،كلما أزداد حماس الشعب ويريد ان تقم منهم باسرع وقت .. الويل لهم ، لاهم ولا اسيادهم يقدررون علا كم افواء الناس ومنعهم من رفع اصواتهم .هز شه مال راسه وقالت :انهم وأهمون.

يمض وقت طويل حتى عاد السيد اسماعيل الي البيت بخلق ذريعة ،واكن في الواقع كان ذلك بسبب رحيل شه مال وكان اكثر حزنا وهما من زوجته قمر نظر الان شه مال سيسافر .

وضع سيد اسماعيل الزنبيل و والاكياس التي كان يحملها امام باب غرفة شه مال وقال: هذه بعض الفواكه والأطعمة أتيت بها لكم لثلا تشعرا بالجوع في الطريق. وضع شه مال يده على كتفه وقال :لماذا تجشمت كل هذا العناء ،ماذا نعمل بكل هذه الأشياء ؟إنها كثيرا ،على الاقل ضع لنا قسما منها .. قال اسماعيل بأكتئاب وشوق :

-لايمكن ،بالله يجب أن تأخذوها كلها .

ادرك شه مال بأن السيد اسماعيل غير مرتاح ، لذا لم يود أن يناقشه وقال :
-حسن _ على الراس و عين ،سنأخذها كلها رغم انها تكفيننا لمدة شهر .وههكذا أخذ يمازحة ،في هذه الاثناء طرقوا الباب وكان الطارق صديقا قال الأسماعيل : فليفضل الاخ وريا لير كب السيارة .

في احد الامسيات دخلت شه وبو بيت أمها ، وهرعت بقلب مفعم بالفرح الى أمها وهمست في أذنها بأن أخاها شه مال قد وصل منذ البارحة سالما الى مدينة.

اغروقت عينا و التها فرحا بالدموع وقالت بصموت خافت :بالله عليك هل تقولين الحقيقة؟

قالت شه وبو :

اجل ، والله .. لقد عاد حمه جزا الآن و اخبرني بهدوء قائيلا ،ارسلت لى رسالة بأنه وصل ، الحمد لله ،على احسن حال ودون خوف ،وان مكانه آمن ، ولكن لم يصل بعد الى المكان الذي سيستقر فيه ويقول انني سأرسل في طلب ولدتي و شه وبو و ونيه وشه بعد يومين أو ثلاثة أيام لأرهن .

مسحت رحمه خان الدموع من عينها وتوجهت بأشتباق الى ابنتها شه وبو وقالت : عهد على أن اكافئك على هذه البشرى .. لاتعلمين كيف كان قلبي

يغلي كانه على نار وكم كنت قلقة .. اذ أنني لم أكن اعلم اي خبر عنه منذ أكثر من شهر ، وخاصة حين قيل ان الأوضاع في كركوك كانت محتلة ة اعتقلوا الناس ، ومن ضمنهم أثنان من معارفه كان يشتغلان في شركة النفط . عادت شه وبو الى البيت وقالت : عندي ضيوف وقدمت فقط الأبرك هذه البشرية .

عادت رحمه خان الى غرفة وتقدمت من وه نه وشه و عانقتها وقالت لها هامسة :أبرك بأن شه مال والشكر الله قد وصل سالما .

خلف قلب وه نه وشه فرحا وسرت في جسمها رعشة ويشوق أنها بشرى تدعو للفرح .روت رحمه خان موضوع شه وبو لها قاتلة : أنها قالت ذلك و أخبرتها بأن شه مال سيطلبهن ليذهبن اليه بعد يومين او ثلاثه الايام .فرحت وه نه وشه أشد الفرح وأخذت تسبح في بحر من الخيالات العذبة ، وهكذا بات تعد الساعات وادقائق متى سيبحث شه مال في طلبها،وكانت الى ساعة متاخرة من الليل تسبح على أجنحة الخيال وتحلم بشه مال ، وتطوفا على سطح أفكار ها ذكرى الأشهر المنصرمة وكيف أنها تخجل من التحدث عنه وكم كانت مشتاقة اليه ةيحتل فكره وتفكيره وقلقة عليه ،وكم مره هيات نفسها بقلب مفعم بالأمال حيث كان من المتوقع أن تذهب

رحمه خان لزيارته ،غير انه كان يبعث اليهم جوابا بالأ تذهبا اليه ، وبانه سوف يأتي الي المنطقة في وقت قريب و لكنه لم يكن يظهر له أثر ،وتغوص هي في أفكار مزعجة كانت تقول في نفسها: اليس من المحتمل ان يبحث شه مال عن حجج و ذرائع لثنيهما عن السفر اليه ؟كانت الغصص تعصر قلبه وتقع في دوامة ،وكم من اليالي كان النوم يحا فيها ويطيرمن عينيهما وتقول في فكرها :ليس من المحتمل ان يكون

شه مال قد فكر في ان وه نه وشه قد تصبح مشكلة وعرقلة،وياترى هل استقرت واحدة أخرى في قلبه واحتلته؟

رباه .. كم من الخيالات المزعجة كانت تمر على سطح أفكاري لماذا يصبح المرء احيانا هكذا فاقد الضمير وقاسيا ، تعالي وأنضري بالله عليك ، ان شه مال المسكين ،لايجد نفس جحرا يختبئ فيها وكل هذه المخاطر حواليه ،هذا الشاب الشريف المحترم لايعمل شيئا خلال اجتماعاته ودخول بيوت رفاقه الذي كان الخوف والمخاطر تحاصره ،غير القيام بمغازلة بناتهم وزوجاتهم؟في الحقيقة لادري لماذا يصبح المرء هكذا وتوصد ابواب التفكير في راسه ؟كان الشيطان هوالذييقود المرء نحو هذه الافكار ..اي شيطان ! فأن الانسان يصبح في بعض الاحوال أسوأ من الشيطان نفسه، اذ يتصرفقصرفات غيرلائقة ويتهم بها الشيطان ،وتمر في قلبه ورأسه افكار سيئة للغاية فيتحول الى الشيطان بشكل كامل !

بعد أسبوع ،ارسل شه مال في طلب امه والآخرين ليذهب اليه ،فهيأان انفسهن ووضعت رحمه خان بعض المتكولات اليه والاشياء التي كان ابنها يستذوقها ويشتهيها في زنبيل وذهبت مع وه نه وشه الى بيت شه وبو ،ومن هناك ذهبن معا الى السوق ، ومن السقق ذهبن الى بيت احد المعارف ومكثن هناك الى حوالي الظهر ،ثم صعدن من هناك احدى العربانات اخذات طريقهن نحو محلة جولة كان(اليهود).وفي طريقهن الى المكان مقصود قم بهذا اللف ولدوران مخالفة ظان يكن مراقبات من قبل احد رجا الامن ولمسيئين ،وهناك نزلن من الاعرابانةبعيد عن المكان الذي يتجهن اليه . كانت

شه وبو قد وضعت بعض شليلات الغزول في كيس وامسكنه بيدها وتقدمت من امرأة عجوز و سألتها : عمتي العزيزة ،ارجو الى أكون مزاحمة،اين بيت

الحائل سعيد؟ وعرضت عليها شه وبو شليلات العزول و وقالت: يقولون انه يقوم بنسج سجادات صلاة و فجات (بإويه شمان) جيدة .

قالت العجوز: نعم، انه كذلك، وأشارت الى باب حديدي قاتلة: هذا هو بيته. فشكرتها وسارت مع امها وه نه وشه الواحدة خلف الاخرى وذهبن الى الباب البيت كان بابا حديديا ازرق ذا فردة واحدة بطل على مجرى عميق أشبه بالمزيلة. طرقت شه وبو الباب، وسرعان مافتح رجل طويل القامة وخط الشيب الشعر رأسه، الباب لهن وقال تفصلن، الف مرحبا بكن .

فدخلن البيت، مشتاقات ونبضات قلبهن تتسارع، مع السيد سعد صاعدات، كانت الباحة ترابية، صخرية ولم تكن كبية، وفي زاوية بجانب الباب، غرفة كانت غرفة الدابة (اي أسطبلها). وفي الزاوية الاخرى من الباب، كانت ثمة غرفة كبيرة بعض الشيء، فيها ادوات الحياكة .. وفي جانبها قن صغير الدجاج، بالاضافة الى غرفة صغيرة منخفضة كانت تشبه مخزن الحطب و افحم .

قطعت الجماعة الباحة وصدن على سلم منخفض صغير و ذهبن الى بهو جميل ابيضت جدرانه بالجص، وكان مخزنان كبيان طينيان للقمح، من النوع الذي يسمى بالكوردية (كه ندو)، موضوعان في البهو الواحد بجانب الاخر، كما أن حبلا كان قدم تم شده بعمود البهو نشرت عليه عزول صوفية ملونة.

وسرعان ما أنطلق شتة مال وخرج مستقبلا اياهن وتوجة بشوق وحرارة نحو امه واخته وامسك بيده، ومن شدة فرحه لم يكن يعرف ماذا يقول، ودخلوا الغرفة، كانت الغرفة مستطيلة الشكل كانت قد فرشت فيها بعض الأفرشة بالاضافة الى (دوشك) او (دوشكين) وعدة مخدات اسطوانية الشكل قد رصت بجانب الحائط.

رحب السيد سعيد بالضيوف أحر ترحيب ومد يد مشيرا الى الغرفة قائلا: تفضلن، ان غرفتنا كغرفة الفقراء والاكراد، وليس لدينا كراس وماشابه.

نظرت رحمة خان اليه بمرص ،وقد اصابها بعض الارتباك من شدة فرحها بلقاء ابنها شة مال وقالت :كيف تقول ذلك ،عمرالله هذا البيت ،وهل هناك اطيب من الجلوس على الارض واحلى ، أشد كرهى للكراسى لابقى الله عليها..بيدوالمراء على الكرسي كأنه لقلق ،فنزعت العباءة عن نفسها وانحنت لتجلس وقالت :لاتعرف كم احب الجلوس على الارض عمر الله بيتكم وتفرعت عنه سبعة بيوت أنشاء الله .

تركهم السيد سعيد وذهب الى الباحة،وبدأوابالتحدث .نظر شه مال بفرح و اشتىاق الى امه وقال :كيف حالكم وكيف وضعك من بناتك وكان يقصد بذلك وهنقوشة و شقوبو . عانقته رحمه خان وقالت له : فديتك ،ولله كنا هنا جسديا ولكن روحنا وتفكيرنا ووعينا كان عندك .وتلفت شه وبو الكلام والدتها وقالت:

-نعم ، والله ،كان فكرنا كله عندك وكانت أيدينا على قلوبنا ، وخاصة حين قالو ان اوضاع كركوك مضرية واعتقلوا المواطنين هناك .نظرت شه وبو الة امها وقالت : انتما افضل مني لأنكما افترقتما منذ عة اشهر ولم تلتقيا به ، ولكن ماذا أقول أنا وشم عانقت اخاهمرة اخرى .

لقى شه مال نظرة على وه نه وشه وقالت :وهذه الفتاة الطيبة بماذا كانت منشغلة؟هل اشتهوته السليمانية؟

احمرت وه نه وشه ، وعلت بسمه على شعرها ونظرت الى شه وبو نظرة كأنها تستعطفها وتقول لها : دخيلك ،لااعرف ماذا أقول من شدة الفرح فقد نسيت الكلام فتكلمي بالنيابة عني .

وجهت شه وبو الكلام باشتىاق الى أخيها وقالت : هل تتكلم عن وة نقوشة خان ؟ لادري بم اتحدث . أن فتيات مثلها قليلات .. فقد تحولت الى مناضلة شجاعة ونشيطة. قال شه مال بسرور هل هذا صحيح ؟ وغمز شه مال بعينه

وقال لأخته شه وبو ،كنت اعتقد انها خائفة واذا بك هكذا تقولين .واستغرق الجميع في الضحك.

شعرت وفتقوشة بمزيد من الفرح وادركت أن شةمال يتحرش بها ويريد اجبارها على الكلام .كانت وفتقوشة قد ازدادت جمالا وملاحة وتألقا الى حد كبير تبتت امام عيني شه مال فاتنة جدا ،ولو كان الامر بيده وقادرا على ذلك لوثب عليها ولثم جوانب جيدها وعنقها البلوري ولعصر جسمها الغض الجميل وشدها اليه بأن يبقى على هذا الحال الى أبد الأبدين .

كانت وفتقوشة مرتدية بدلة من الملابس الكوردية التي كانت رحمه خان قد اشترتها لها حال وصولهما الى السليمانية و ان شرابات الكتفية والربطة الكوردية التي كانت قد تدلت على كتفيها،كل هذه كانت اصبحت نقشا عليها فاسكرت شةمال

وجعله يتجنب بهاء لذا لم يكن يعرف أن ينظرالى اي جزء منها ويحذق النظر فيها ولا سيما انها كانت تبدو لناضره قد اصبحت سمينة الى حد ما وان الاطمئنان ولشعور باراحة كانا ينعكسان على وجهها كالمرآة.

في هذه الأثناء دخل السيد سعيد الغرفة وقال بضحكة ومشرقة بعد ان ضرب يدا بيد كهيا يا أمي العزيزة ، فان المجاجات قد نضج طبخها بشكل جيد ،وعليكن ان تطبخن لنا تمنا وبامية لذية نوحاصة لقد سلقت الباميا سلق ولا اعرف اكثر من هذا و هاهو التنور بجانب السلم .

قال رحمه خان ناشطة ..ويلا ،لماذا أتعبت وتحشمت هذا العناء،و اخجلتاه ،وها نحن قد جلبنا معنا الشفته (العروق)والأرغفة الحمصة بالدهن واشياء أخرى كثيرة.

قال السيد سعيد بوجه باسم وبشوش:لاتحملي هما، على العين والرأس ،سأطبخ لكم الآن .قالت ذلك وقامت منتصبه وقامت وه نه وشه ايضا وقالت سوف

اساعدك، وهكذا ذهبنا معا الى موقع التنور وامطبخ. ظلت رحه خان وابنها وحيدين وخاضا في الحديث و السؤال عن احوال المعارف ، كان شةمال يتحدث بعطف وحنان عن قمر و السيداسماعيل ونور ،الى ولدته قاتلا لها انهم قد تأثر و أشد التاثر لدى مغادرته البيت ، ومك كانوا يسألونعن احوالهم ويشتاقون اليها هي و وةنقوشة وكيف اجهشت قر في البكاء،وانه قال لها بأنهم سيرسلون في طلبها بعد فترة .

وان رحمه خان التي كانت تصغي الى أبنها بجمرة قالت بعد ذلك:على الرحب والسعة الف مرة ،باللّٰه بعد مدة،حين يعتدل الجو،سأذهب بنفسي وراءها واجبلها معي .حقيقة ان اهل هذا اللبيت ليس في المقدور رد جميلهم .قالت رحمه خان مبتسمة :كم أشتاق الى احاديث قمر خان الشيقة.ضحك شةمال وقال :قلت لها ، تعالي وأجلسي مع أختي شقوبو أمام بعضكما البعض لان كلامكم واحاديثكم متشابهة .استلقت رحمه خان على قفاها من شدة الضحك وقالت :الويل لأبيننا ،وللّٰه ،انتد ستجبر اننا كلاهما على أن نهجر ألدينة .

على التنور ،كانت شه وبو و وه نه وشه قد شرعتها في التحدث بهدوء زالت شه وبو بغض الحطب القدرالذي يحتوي على الدجاج بصوت خافت وقالت :يا اخ سعيد،حفظك الله وحفظ صحتك مع قيامك بسلق لحم الدجاج ..أنضري الي اين وصل ريش الدجاج ،كأنه خضرن الاكل لفوج كامل من كثر ما بث الفوضى في المكان .مدت شقوبو يدها الى قدرلدجاج وأنزلته من على النار كي تضع قدر التمن عليها ،فعدادت تضحك بصوت خافت وقالت :أنظري هذا البحر من الماء الذي صبه في القدر،اخفت وةنقوشة فهما بظهر يدها وأستغفرقت في الضحك مقهقهة وقالت: أنظري،في اي شيء قد غسل التمن وكيف نثر نصفه هنا وهناك .توجهت وه نه وشه الى شقوبو وقالت هامسة:

يابنت و من اين له أن يعلم هذا المسكين ،ربما كانت هذه هي المرة الاولى التي يوم فيها يمثل هذا العمل..لم نعلم ،ياتري هل له زوجة اطفال ؟ انبرت شقوبو بذكا قائلة:بيبدو ان هذه الغرف والدارالنظيفة والمرتبة الونظمة من عمل ربة بيت كفوءة .. ياتري اين ذهبت زوجته؟ سنعرف الان . نظرت شقوبو خلسة الى وةنقوشة ولحظت كم هي معتبطة وكيف طغى عليها تورد الخدين منذ أن وقع نظر ها على شةمال .وكشابة عالمة بالامور،فهمت أن كل هذا الشوق ولاشراق والغير ليس جزافا ،وان ماينظهر هو اكثر بكثير مما كانت قد اخبرتها به امها وتحدثت عنه.يدبو انمايجبان بعغهما البعض.وقالت في نفسها يابنت ،اي حب واي اعجاب ! بالله انهما اصبحا عاشقين متيمين الى احد الجنون ..اذا ظهر القمر فلا يحتاج الى الاشارة اليه.

بسط المائدة ووضع عليها دجاج وتمن وبامية شقوبو و وةنقوشة وتجمعت الجامعة حولها،واخذ السيد سعيد يكييل المديح للقائمتين بالطبخ ونشاطهما ،وتناول ماعونا وملعقة وشرع في صب التمن لنفسه قاتالا:ان أم هيوا تحسب نفسها أستاذة في فن طبخ التمن ولكنها ازاء طبيخكما هذا ،تضطر الأختباء التواري عن الانظار. شكرته شقوبو على مديحه وقالت : ولكن اين ام هيوا؟ لييتها كانت هنا .

فاجابها سعيد قاتالا :

-قبل وصول اخينا هذا ،ذهب الى خورمال الزياة ابنتا لان كنتنا على وشك الأنجاب. قالت رحمه خان :بيبدو أن هذا الوليد هو وليدهو البكر؟ زاجاب السيد سعيد بوجه مشرق :كلا،عنهما ابن اخر في الثالثة من عمره الحمد الله .ان معلم في خورمال .

قالت رحمهخان :اطال الله في عمره وابقاه لك.

فاجابها قاتالا: مع اغرتكم و احباتكم ان شاء الله .

في الليل عادت رحمه خان ولبنات الى الابيت بعد أن اتخذوا قرارا بأن يزرنه في كل أسبوعين مرة واحدة طيلة وجوده في هذا البيت .

كان هيام وه نه وشه و شةمال وحبهما واشتياقهما لبعضهم البعض ، يزداد يوما بعد يوم ويتخذ دفئا أكثر ،واخذًا يطران بعضهما البعض بالرسائل .

كانوا قد اتخذوا اقرارا مع رحمه خان و شقوبو و زوجها همه جزا بأن يرتبوا الامر بينهم بأنه اذا ماذهب شةمال نحو سیتةك و سقرطلو ،تذهب شه وبو الى هناك ايضا ويعقدوا قرانه عليها .وما اسرع ماضرب همه جزا زوج شقوبو صدره دليلا على الرضا والقلوب وكان قد كان :بعد أن يخف البرد وتنقطع الامطار ،وبعد أن تحف أوحال تلك الطرق ،سننفذ كل شيء .

وكان الجميع يفضلون ذلك ،ولاسيما أن وةنقوشة هي الاخرى كانت كانها محتفية ،ولم تكن تلتقي سوء عدد من الارقاب القريبين جدا ،وكانت تنتقل خائفة وجلة بين هذا المكان أوذاك ،وهي تلبس العباة الحجاب (البوشية) ،لذا فأن ذهابها الى القرية مع شه مال كان حلا مقبولا لدى الجميع .

بعث شةمال بجواب الى صهره همه جزا طالبا منه منع امه والاخریات من الذهاب اليه يوم الجمعة لان احد الجيران أو اثنين بدأوا يراقبون البيت وشرعوا في التهماس ولتقولات وشعر و بأن حادثا جديدا يدور في بيت السيد سعيد.وأن ما ادى الى اثاره هذا اشعور،تحركات ولدته وشقوبو و وةنقوشة التي جذبت انتباههم و لذا عليهن أليأتين الى أن نرسل اليهم جوابا.بعد مرور عدد ايام على ارسال هذا التحذير،عاد همه جزا التي البيت مساء وكان الاتباك باديا عليه ونادى زوجته شقوبو قالت : أتعلمين أنه يجب ألا يبقى شةمال في بيت السيد سعيد هذه الليلة ،لان الجيران قد علموا بذلك ،ونأحد معارف اليد قد ذهب اليه و أخبره : يقال شخصا هاربا محتبئ في بيتك .ورغم ان سعيد قد دحض أقوال الرجل وكذبها الى الحد الذي أخذه الى البيت ليرى كل شيء بام عينه .لذا فأن

المسألة في خطرة ويجب أن يترك ذلك المكان بأسرع وقت لانك تعلمين: (لو وقع الكلام في فم لانتشر في مدينة)) كما يقولون .

غرقت شقوبو في التفكير وأستبد بها الخوف ونظرت الى زوجها وقالت :حسنا،ولكن ما العمل؟قال زوجها:اعتقد بيت والدي أفضل مكان الليلة واحدة او ليلتين ،فهو كان سيذهب قريبا كما رويت لك ذلك اليوم وكنت اذهب معه الى ان اخلصه،ولكنالوضع الان شىء اخرو ولاسيمابعد اعتقال هذا لعدد من الناس في السوق ،لذافأنه يجب أن يخرج بأسرع وقت ممكن توقف همه جزا قليلا ثم استطرد قائلا:فليبق في بيت والدب خلاص هاتين الليلتين لان بيتهم كبير وواقع منطقة قليلة السكان.

قالت شقوبو مكتئبة أين بيت والدتي صالحة واحدة ،كان همه الذي اخذ يتشمى في الغرفة ،وافكاره مبعثرة ،وجه الكلام الى شقوبو قائلا :بيت العمه رحمه ؟لا،لا،بالله عليك لاتقولي هذا .

قالت شقوبو :

-حسنا لو بقي الليلتين في بيت العم عبد الله ،ولكن ماذا نفعل ل(نوره)؟ ومن يضمن غلق فمه..فهو لايعرف عن المسألة شيئا،ورما اذا التقاه اي شخص او أحد يصبح كأنه يمنحه بشرى ،يقول له :لقد جاء كاكه شةمال ويهديكم السلام فكيف يكون ذلك ؟

فكان همه كأنه قد تذكر نوره توا،ضرب يدا بيد ،وقال :

والله تصدقين، لم يكن هذا الطويل الاذنين في فكري و خيالي. بدا همه في التمشي مجددا، ولكن هذه المرة في خطوات سريعة و شديدة ومد يده بارتباك و اضطراب الى راسه و رقبته.. وجلست شقوبو على كرسي وغرقت في التفكير. وقف همه جزا فجاة وقال: لقد وجدته.. ماذا افعل، اعطيه نقودا واقوال له اذهب الى كركوك وزر اختك لطيفة.. فهو يريد من الله ذلك.

قالت شقوبو: نعم، والله، يريد من الله، اذ انه في كل مرة يقول ساذهب، فقي احد الايام كان ممسكا بكيس ويقول لقد اشترت هدايا لابناء اختي لطيفة واشترت عبادة لها هي.

فتمتمت عمتي وصاحت به قائلة: هل العباءات موجودة هنا ام في كركوك؟ فقال نوره: ماعلي، انني اخذها من هنا لها.

وفي الغد. تم ارسال نوره الى كركوك، ووصل شةمال الى بيت حمي اخته شقوبو وتجمع الجميع حوله. كان الحزن قد خيم على ونةقوشة واستبد بها، والآخرين كان القلق والخوف باديين عليهم، لأن اوضاع المدينة قد اصابها الاختلال والاضطراب بعد أن تم اعتقال أحد المعلمين وصانعين في احدى المقاهي وحانوتي وعشروا على نشرات وكتب في بيوتهم .

تحدث شةمال عن جيران بيت السيد سعيد كيف كانوا يضايقونهم وفي كل يوم كانوا يدقون الباب حتى يرفعوا من في الداخل، وكيف أن امرأة ثرثارة من جيرانهم قد جاءتهم في أحد الايام، ورغم أن زوجة السيد سعيد ارادت خلق ذريعة لتقوم الامرأة وتذتب الى بيتها ولكنها ظلت جالسة بصلاقتها واخذت تتكلم الى المساء. وقال شةمال ضاحكا: لم يكن قدى الا القليل لأخرج لها بنفسي وأقول لها ها أنذا هنا ، فاذهيي ودعينا وشأننا واكاد أن أفرغ صافي جوفي ايتها الثرثارة النباحة. لطمت رحمة خان نفسها وقالت: نعمت عينا أمك ، وماذا فعلت بعد ذلك ؟

قال شةمال مبتسا: ماذا فعلت؟! أن اضرورات ترشد الأنسان الى سلوك شتى الطرق . وفي وقت متأخر من الليل، قامت رحمة خان و ونةقوشة لكي تعودا الى البيت بعد أن قامتا باتخاذ التدابير ثم الغتاها بأن ها تناما هنا لاجل شةمال ام ماذا؟ بعد ذلك وجدتا أنه من الافضل الاتبقيا هنا بسبب جيران الطرفين قبل أن تذهب ، عانقت رحمة خان ابنها وقالت: هل تسافرغدا؟ أمهلني

غدا، فسأحضر لك الشاي بعد غد انشاء الله تناولها ثم سافر رافقتك
السلامة. نظر شة مال الى امه وقال :

عمر الله بيتك ،هل هذا هو وقت الشاي (الكروش المحشوة بالتمن) لاتنتهي
ولاتديري الامر بالا ولا تعذبي نفسك. فأنى ذاهب الان الى القرية وهناك في بيت
الخال الشيخ أكل شىء ولماذا تهتمين بالأكل الى هذا الحد؟

قالت رحمة خان نسوف ارى، واحاول ،فاذا لحقت سأحضرها لك ،وأن لم يتييسر
،فلا بأس بذلك.

أنبرت حماة شقوبو وقالت :كيف تتعبين نفسك وتأتين بهذا الكم الكبير من
الشاي المطبوخة من بيتكم الى هنا؟

لي الويل ،لسنا في صحراء قفر .. سأرسل غدا واشتري الباجة وستصبح مهيأة
لبعد غدة، وتعالوا أنتم ايضا وتأكل منها جميعا .

توجه حمه جزا الى حماته رحمة خان قائلا :

-أشهد بالله ،أمي تصدق تمام الصدق.

في تلك الليلة وذلك النهار بقي شة مال في بيت الحاج عبدالله حمي اخته، وفي اليوم
التالي كانت شايه أفتاوخان على النار وهي تغلي وأنتشر عبقها في البيت كله
ولم يكن قد بقي الا القليل على نضوجها وكانت رحمة خان وة نقوشة أهل بيت
شقوبو جالسين حول شة مال ،لانه كان من المفروض أن يسافر في ذلك المساء
نحو القرية، وكان قد غسل نفسه في الحمام وأرتدى الملابس النظيفة، فجمعت
وة نقوشة ملابسها وحاجياتها ووضعته في الحقيبة، وكانا يتحدثان بصوت خافت
معا وطلب شة مال منها أن تبعث له برسئل في اوقات متقاربة، كما طلب منها
صورا تلتقطها فيما بعد وترسلها له ورورى لها تدابير حمه جزا ، بأنه حال
وصلوها الى القرية سيرسل بعد فترة في طلبها بأن تذهب مع أمه وأخته شقوبو
،وهنا في بيت الخال الشيخ سيرسلون في طلب أحد الملالى ليعقد قراهما .

كانت وةنقوشة كانت أنفتحت وأنفرت اساريرهامعه وأنقشعت غمامة الخجل والاستحياء وزالت عنها. وكانت كفتاة ناضجة خيرة بالاوضاع والظروف ،حين تذهب عنده تردعلى احاديثه .. كانا غارقين في مثل هذا الكلام، زاهل البيت منهمكون في اعداد الثاضة ، حين دفع الباب ،وعلى حين غرة دخلت امرأة البيت صارخة صائحة لاطمة وهي تنتف شعرها ويمزيد الصراخ والصت واضجيج قالت:

-في سبيل الله، اغيوثوني :خرج الجميع ذاهلين حائرين وباضطراب وخوف بالغين هرعوا لمعرفة الموضوع .واضطرب شةمال ايضاوحشر نفسه في مكان غير مرثي ،اما وةنقوشة فتزايد خفقات قلبها وبهتت وايبضت شفتها وقالت : وية ياربى اتوب اليك ،ماهذا الذي حدث .. وذهبت هي الاخرى واتبأت بجانب شةمال . وكانت المرأة تتقافز وتنزل في الباحة وتضرب وجهها وتقول : لقد ومروا موقع التنور باستخدام القازمات والمعاول وقادوا امامهم (ابوبكر) و ذهبوا؟ حين سمع حمةجزاكلام المرأة سرت رعشة باردة من قمة رأسه الى أخمص قديمه وتقدم بحرص وقلق بالغين منها وصاح فيها قائلا:

-عمه كافيه.. قليلا من الهدوء رجاء ،تعالى فهمينا لنعرف مالذي حدث! جاءت شقوبو والنساء الاخريات وامكسن بساعدها لياخذنها ال السرداب ،اما هي فكانت تنتزع نفسها من ايديهن وتلقي بنفسها على الارض .الحاج عبدالله الذي قطع صلاته وهرع اليهن مسرعا ، وصادف على السلم ابن شقوبو الاضغر وسألة وبحرص وقلق بالغين :

-ياولدي ماهذا؟ماذي حدث .

فاجابه الولد:

ياجدي أنا أيضا لادري ،انها العممة التي اثارث كل هذا الضجيج .

كل ما استطاع الحاج عبدالله أن يفعله هو أن يوصل نفسه الى اللواتي كن قد احطن بالامرأة، فذهب هو الاخر واقترب منها وقال نيا أمي ، قليلا من الهدوء ، لنعرف ماهو الموضوع وماالذي حدث .. أنت قتلت نفسك ، يا اختي هذا الامر غير جائز ، قومي وتشهدي، انشاء الله لا يحدث شيء ، شتوبو فلذهب احداكن للأثيان بجرعة ماء اليها ، هأت المرأة قليلا فأمسكن بياعدها وأدخلوها الغرفة.

توسل حمة جزا اليها بالأ تشير المزيد من الصراخ كي لاتتجمع الناس حولهم، وليفهموا حقيقة الموضوع . كانت دموع العمه كافيه تنزل كالمزراب على خديها وكانت رحة خان و افتاوخان قد جهشتا في الكاء معها دون أن تعلما لماذا هكذا تفعل.

روت العمه كافية مع شهقة الكاء الموضوع لهم وقالت:

كنا قد اشعلنا النار في التنور، امرأتان او ثلاث نساء كنا جالسات نبسط الخبز وكانت فاطمة خان خبازة تحمص الخبز با لتنور.. حين فتح ابوبكر الباب و جيش من الشرطة وثلاثة او اربعة وفوضين وراءه بالرفش و امعاول وأندفعوا الى الداخل

وقالوا: ان مطبعة البارتني محفية عندك ، اين هي ، قل لنا اين هي ؟ مرة أخرى لطمت كافية على رأسها وقالت باكية :

- خرب الله بيوتهم: القوا العجين والصينييات والظلم (الطبلية) والمظلمة (الشوبك) الى باحة الدار و عملوا في التنور حفرا بالمعاول والمساحي ، وكلما كانوا يحفرون التنور الذي اطفأوا ناره بسطلات المياه التي ملأوه بها ملأ البخار والدخان البيت .. واخيرا حفروا التنور كله، غير أنهم لم يعثروا على شيء، فاستغرقت اعمه كافية في البكاء مرة اخرى وبدأت تلطم وأسها ووجها مرة أخرى، وقالت: ثم انهالو على هذا الولد العزيز بالركلات واخص النادق وقادروه امامهم واخذوه . وابتاه وماذا يمكنني أن أفعل لربما يكونون قد قتلوه الان يا ناس ماذا تفعلون بي!؟

تقدم حمة جزا منها اكثر ووضع يده على كتفها وقالت :سأذهب الان واحاول التوسط له،ثم بابتسامه مصطنعة وبصوت أكثر خفوتا قال لها :ان وكيل المتصرف انسان طيب وصديق حميم للحاكم حسن صديقي،وسأذهب الآن و اخبرالحاكم حسن ..فقط أنت عودي الى هدوئك واسكتي .

حسنت كافية صوتها وهي تبكي وفربت أسها من حمة جزا وقالت هامسة:كانوا يبحثون عن الشيء الذي جلبتموه ذلك اليوم . أصيب حمة جزا بمزيد من الارتباك و اضرت أكثر وكلم العمة كافية بصوت خافت وقالت :اي شيء تعينينه ،لاتتحدثي عن هذا الموضوع قاطبة لأن فيه خطرا على ابوبكر ،فلو تفزهت بمثل هذا الكلام،لما امكنك رؤية ابوبكر مرة أخرى،لاسمح الله،لذا زسأتيك بخبر سار ،وابقي هنا عند أمي زالاخريات الى أن ارجع .

مسحت كافية عينيها ،مدت يدها الى رأسها ،ثم وضعت يدها على فمها قائلة :اتوب توبة،ولا اتفوه بل هذا الكلام ابدأ ،و اذهب واتي بخبر من عن هذا الوال ،ولا اعمل شيئا . خرج حمة جزا السرداب وتبعته شقوبو خربت ايضا الى الباحة وأخذها زوجها الى معا من الباحة واوصاها الا يسمحن للعمة كافية بالعودة ويجلسنمعهها الى حين رجوعه ،لثلا تذهب الى البيت وتبدأ بالصياح والبكاء والعيول وتحدث عن (الشيء) وما اشبه .هزت شقوبو ،بلون شاحب وقلب عصره اهم ،رأسها لزوجها وقالت : حاسنا .

خرج حمة جزا من البيت مستعجلا وقال في نفسه :

-في الواقع اشف الله علينا .عشت يا أخ حمةعلى ذلك ولأ ستاذيتك.

عاد قسم من اهل البيت نحو المطبخ ،وذهب الحاج عبدالله الصلته ،وصعدت شقوبو لترى اخاها شةمال لانها كانت تدرك بانه الان مصاب بالقلق والاضراب .دخلت الغرفة وادارت نظرها فيها،انتقضت ووجهت الكلام الى وةنقوشة قائلة :

اين شةمال ماذا حدث له؟اين حقيبتته وحاجياته؟رفعت وةنقوشة ،مع شهقة

البكاء ,رأسها وقالت على مهلما:ذهب !! لظمت شقوبو صدرها وقالت بقلق بالغ :ذهب !! الى اين ؟مسحت وةنقوشة الدموع من عينيها بمنديلها وقالت :حين حدث هذا البكاء والعويل ،توجس السيد شقيدا و السيد روستم خبفة قالوا :فلنسرع بالذهاب لان ذلك هو الافضل وحين ذهبتم أنتم الى السرداب اخذا شقمال وأنطلقوا ذاهبين . كانت وةنقوشة تبكي بحرقة و قالت :رغم اثني قلت تريشوا وتناولوا لقمة من الأكل لانه حاضر، غير أن شقمال و رفيقيه قالوا:الان ليس وقت الأكل فلنسرع في الذهاب.

ضربت شقوبو يدا بيد وار تعشت شفتها واغرورقت عينها بالدموع وقالت :وهكذا ذهبوا جائعين ؟لم تطبخ كل الشاظة من جلته،كيف لم يأكل منها لقمة واحدة،وذهب. قالت وةنقوشة :انهم كانوا يمتنون أن يبكروا في الخروج ،هل كانوا يفكرون في الأكل ..من سوء جظه ،ماذا كانت هذه البلية الي نزلت هلينا في هذا الوقت

قالت شقوبو بخلق محنوق بالبكاء، ذاهلة:

-ولكن ماذا تفعل هذه المكيينة،محمقة في ذلك ،اذ أن هذا هو ولدها الوحيد ،أغاروا عليهم وحفروا البيت كله ،وأمام عينيها ضربوا ابنها الوحيد بالركلات واخمص البنادق . ضربت شقوبو صدها بقلق بالغ وقالت :تطلع روح اختك،كيف ذهبتم جائعين ودون أن تأكلو شيئا ،والله لو تعلم والدتيوحماتي ذلك فانهما ستقتلان نفسيهما.

حوالي المساء ،عاد حمة جزا الى البيت ودخل السرداب الذي كانت العمة كافية فيه،بوجه باسم ،وجاءت لأستقباله مسرعة و بشوق .ربت حمة جزا على ظهر العمة كافية بابتسامة تنم عن النجاح وقال :

-الم أقل لك لاتقلقي نفسك، فالمسألة بسطة..لقد ذهبت و عشرت على صديقي وقلت له،لن أبرح هذا الكرسي حتى تحل موضوع أبوبكر ،ضحك حمة جزا بشوق وقالت:

-ثقي ، منذ أن بارحت الدار وتركتك ، كنت جالسا في بيت صديقي هذا ولم أتحرك .

أقتربت العممة كافية بشوق من حمة جزا وقالت :

فديت رأسك ، ومدت يدها الى ياختها ورفعت رأسها الى السماء وقالت من صميم قلبها :

-نصركم الله واصاب عيون اعدائكم بالعمى..نعم،أكون قريانا لك ،ثم ماذا فعلت ،وأين أبوبكر ومتى يعود ؟

قال حمة جزا :اصيري أنت ألان فلاكمل حديثي لك:رتبت العممة كافية ياختها وقالت: نعم افديك بروحي ..تكلم .أكمل حمة جزا حديثه قائلا :منذ ذلك الوقت وأنا جالس في ذلك البيت واخيرا عاد الحاكم حسن صديقي الى البيت وقال:

أبشرك ،لقد تم تنفيذ جميع الاجراءات ،وخاصة لم تضبط لديه اية مستمسكات،غير أنهم سيبقونه لمدة يوم او يومين ويوجهون اليه بعض الأسئلة،ثم يطلقون سراحه.توجه حمة جزا بالكلام الى العممة كافية وحفض صوته وقال: ألم اقل لك ان وكيل المتصرف رجل طيب جدا،م أخذها الى جانب من السرداب وقرب منها فمه وقال لها هامسا:يجب أن تكوني حريصة جدا ،ولاتتحدثي مرة أخرى ،عند كائن من كائن ،عن (هذا الشيء)لان ذلك ستكون له ونتائج سلبية للسيد ابوبكر وحتمل أن يقتلوه على مثل هذا الكلام.أنقضت العممة كافية واحكمت غلق فمها وقالت بكلام غير مفهوم فهما جيدا:لا،لا،فديتك ،فليقطعوا لساني لوذكرت اسم (هذا الشيء)عند أحد . وخذرها حمة جزا ايضا بالأتذكر اسم وكيل المتصرف والحاكم حسن وأي شيء اخر ،لأن الحكومة الاذى بهؤلاء ايضا وان ابنها لن يطلق سراحها .

قامت العممة كافية وقالت: اذن فلأذهب الى البيت ، والله هو اعلم بما يحدث لنسرين كنتي وطفليها . مدت العممة كافية يدها الى عبايتها الآن لانني ارسلت في طلبها باسرع مايمكن . ودعها الجميع باخلاص و حرارة وتمنوا لها سراح ابنها في اقرب وقت وذهبوا معها مودعين الى الباب الخارجي .

استنشقت حمّة جزا نفسها طويلا وعاد مع امه والاخريات وقال: يبدو انكم قد تناولتم الاكل .. ولكن هل اكلت العممة كافيّه شيئا؟

قالت امه مهمومة : نعم .. لقد ارغمنا على تناول شيء من الاكل ، ير اننا ، لم يتناول اي واحد منا شيئا ، وان قدر الكرشة (الكيبايات) لايزال باقيا مثل كان ، واكل والدك وكافية خان كل واحد منهما كيباية صغيرة، كما تناول الطفلان ايضا شيئا قبللا . فقال حمّة جزا مستغريا : كيف، لم يتناول أحد منكم شيئا؟ ثم خفض صوته وقال :وماذا عن السيد شةمال ورفيقينا ؟

قالت شةتوبو بحزن: اي شةمال واي الرفيقين .. كانوا قد أنطلقوا حال سماعهم مناحة العممة كافيّه ولطمها مسرعين وغادروا البيت .

قال حمّة جزا بقلق :ان ذلك كان افضل من اكل الكيبايات . لقد باتت الوضاع صعبة، ويقولون ان كتابا قد في هذه الايام كتاب يحتوي على اسماء عدد كبير من الاشخاص ومن المحتمل أن يلجأ نصف رفاقنا الى الأختفاء ، وربما أنا ايضا أذهب واختار الاختفاء .

أنتفضت شةتوبو وحماتها معا ، وبمزيد من الخوف والاضطراب قالت كل واحدة منهما .. الويل كل الويل لنا .. ايى كتاب؟ كان حمّة جزا قد ندم على الكلام الذي صدر منه ،ولماذا فال هذا الكلام فجأة وولد عندهما قدرا اكبر من القلق وعدم الارتياح ،نظر اليهما مبتسما ،وقال :لماذا اضطربتما هكذا ،لاهمية،لماذكروه،ربما كان ذلك اشاعة لاغير،لانهم احيانا ينشرون مثل هذه

الدعايات لزرع الرهبة الخوف في قلوب الناس .واثار حمة جزا الوزاح وقال :فلنذهب لتناول أكلنا ،أنني جائع جدا ..هلموا لاتبالوا بأن السيد شمة مال لم يأكل منها ،ان تخلصه سالما يساوي الف أكل التمن ولكيبايات .يعمرالله ببيتكم ،انكم تهتمون كثيرا بالكفتة والدولة وماشابه،كأن الدنيا قائمة على مثل هذه الاطعمة ،لاتهتموا فأن لأكل يمكن الحصول عليه في كل مكان ،ولن يموت أحد جوعا . قسم لكم بأنه سوف يأكل ،ليلة غد،في البيت الشيخ اطيب واشهى الاطعمة وأحسن مما عندكم ،تعالو وهملوا وقولوا بسم الله الرحمن الرحيم .

فيى بيت العمة كافية ،أشعل حمة جزا سكاراة ووضها بين شفتيه واستنشق منها مصة طويلة التفت ببشاشة الى ابوبكر وقال :أتردي ما الذي كنت خائفا منه منه كثيرا؟ كنت أخاف أن يكون اسمك واردا في الموسوعة ، لأنه أنتذ، حتى السماء لم تكن قادرة على اطلاق سراحك ،ولكن ،والشكرالله ،فقد تم اطلاق سراحك قبل كل شىء .في الواقع كان زكيل المتصرف رجلا شهما ويقال أنه كان حدث بينه وبين مدير الامن بعض التلاسن .

قال ابوبكر :تريد الحقيقة ،كنت قد قطعت الأمل من نفسي ومنكم ايضا غلبني اليأس حين اغاروا علي ذلك الصباح في الدكان واخرجوني منه وحشروني في احدى سيارات الجيب واحاط بي كل هؤلاء من جال الشرطة والامن حاملين الرفش والمعاول .

خفض حمة جزا صوته ونظر الى صديقه ابوبكر الذي كان قد اطلق صرحه ظهر ذلك اليوم وقال له هامسا :في الحقيقة،ياترى من الذي اخبر عنا ،اذ اننا لم نسمح لاحد أن يبقى في البيت سوى السيد حمةعلى الذي ظل باقيا في البيت . هز حمة جزا رأسه قائلا :منذ ذلك اليوم أفكر ،لأنه أما أن أكون أو أنت أو السيد حمة على نفسة .

قال بكر: أنا الآخر خلال الايام الماضية كان هذا الخيال قد أخل بتفكيري. نظر بكر ، الذي كان يبد و مريض منذ شهر وقام من سرير المرض حديثا ، الى صديقه حمزة وقال : ان فكري يذهب الى هذا الولد قريب زوجة السيد حمزة على .. اذ انه جلب الينا ، قبل اعتقالي بعدة ايام ، كيسين من الاسمن ووضعهما في الباحة و ادارنظرة في المكان وقال : يا اخ بكر ما الذي حدث لحمامكم ، اذا لم يمض سوى شهرين على فرش ارضيته بالكونكريت ، فقلت له نعم أنت صادق في ذلك ، ولكن حدث شرخ في ارضيته وتتسلل منه المياه. ولكنه ضحك وقال: اذا اصلحتموه هذه المرة قوموا برشه في اوقات متقاربة حتى لاتحدث فيه شروخ ، وكان يدير بصره في المكان وكأنه كان قد ارتاب في شىء ما .

اجاب حمزة جزا صديقه هامسا وقال : أن السيد حمزة علي له نفس الرأي وكان يقول : ان هذا الولد اخذة منذ مدة يسلك طريق الاكاذيب والاحتمالات ويبدو انه منهمك في اعمال الخداع والتزييف .

قال بكر: يصدق حمزة علي ، والله اني أنا الآخر قد اسأت الظن به وسمعت منه الاكاذيب عدة مرات . وان الانسان الكاذب يمكنه القيام بكثير من الاعمال السيئة الاخرى.

قال حمزة جزا ، ان السيد حمزة علي ، جنبه الله من كل مكروه، انسان سليم الطوية صافي النوايا وسريع التصديق .. فأنا الى حد الان قد أسمعته ايماء بأن هذا الولد يبدو محتالا محادعا ، ولكنه يقول : كلا ، أنه شاب ممتاز أحبه بقدر أبني سيروان وأثق بة.

وبعد قليل من الصمت قال حمزة جزا:

- فلأقومأهب من المرر أن يجلبوا لي كتابا، يقولون ان (التحقيقات الجنائية) قد صدرته يحتوي على اعترافات عدد من الاشخاص تحدثوا فيها بدقة عن كثير من المناضلين ، زكثير من هذه الاقوال اكاذيب وافتراءات . كيفما يكن الامر

ينبغي أن نكون حريصين على أنفسنا خلال هذه الفترة. اعتقد أنه من الأفضل أن نغير أماكننا والا ننام في بيوتنا حتى نعرف ماذا سوف يعملون .
قال بكر: أنك على حق ، وكنت قد قررت ألا أكون في بيتنا، وسأذهب الى بيت عمي ،ومن هناك اطلعكم على كل شيء .
قال حمزة جزا: حسنا جدا ،ثم قام وودعه صديقه.

كان قد مضى عدة ايام فقط وصول شةمال الى قرية سييتك ،حيث دخل أحدهم مسرعا غرفة استقبال الشيخ لاهشا وقال : سيدى ،أن سيارتين تبدو أن من بعيد وانهما تتجهان الى هنا ،ولابد أنهم ضيوف قادمون لخدمة حضرتكم .
انتقض الشيخ وقال :

-هل حقا؟وقام منتصبا وتناول ناظوره الذي كان معلقا على صدره وذهب الى البهو.رغم ان بيته لم يكن على تل مرتفع جدا ولكن امامه كان واسعا وعريضا يشرف على جميع الطرق التي كانت حوله.الصق الشيخ الناظور بعينيه ،غير أنه لم يبد اهتماما ملحوظا،ونظر الى الرجال الموجودين حوله قائلا :صحيح ،انهما سيارتا جيب حكوميتان ويبدو أنهم ضيوف ينزلون عندنا .ومن اجل الاشخاص الموجودين في اليوان تظاهر بعدم المبالاة وأظهر نفسه طبيعيا جدا وأوعزالى أحد رجاله أن يخبر البيت لأعداد الأكل للضيوف .

ودع اشيوخ ضيوف الديوان بعد أن طلب منهم ألا يذهبوا ويتناول طعام العشاء معا،ولكنهم هبروا عن شكرهم له وقالوا من الأفضل أيدهبوا وتفضلوا أنتم ضيوفكم القادمين حديثا وهكذا غادروا المكان .

بعد مغادرة هؤلاء نادي الشيخ ابنه وهمس في أذنه ،وقال :

اين ملا على ؟فأذهب واوجده معك الى المكان خفي وابقوا هناك ،لان سياؤتي جيب قادمتان الى هنا ويبدو أنهما سيارتا جيب حكوميتان .ان ابن الشيخ الذي

كان في سن شةمال ،شابا شجاعا وشهما و كورديا وطنيا ،خرج مسرعا مثل والده زطمأنه بلا يقلق زالا يحمل هما .ان سيارتي الحبيب اللتين كانتا تتواريان عن الانظار بين الوديان واللوفات زالصعود والتزول ،اقترب صوت محركها فجأة،جاءتالى جانب من بيت الشيخ و توقفنا ونز منهما معاون للشرطة ومفوض وسيئة او سبعة من رجال الشرطة ورجل يلبس الملابس الكوردية .ذهب الشيخ لأستقبالهم ورحب بهم ترحيبا حاراقائلا لهم تفضلوا ، تفضلوا ، فقاموا بمسح رؤوسهم بعض الشيءالسيكائر وضعت امامهم استكانات الشاي التخين .بعد الاستراحة توجه معاون الشرطة بقليل من الخجل و الاستحياء الى الشيخ قائلا:

-ياسيدي، جئنا لخدمتك كي تساعدنا ، لأنهم يقولون ان بعض المسيئين و الهاربين ومناضي الحكومة وخصومها قادمون من السليمانية الى هذه المناطق ،وغن قادمون بأمر من الحكومة أن نقتش هذه النواحي لعلنا نعرش عليهم .قال الشيخ بابتسامة وحرص مصطنعين: رجال سوء وهاربون هل هذا كلام تفوهت به؟ لاعدمتهم الشامة، فلو حدث شيء مثل هذا كيف لا أعلم به .. ثم رفع اصبعه وقال :

-قسما بذات الله وصفاته ،ليس في القرى فقط ،بل في عموم المنطقة ، لو مر شخص مابها ،لاتمضي ساعة حتى يأتيني الخبر: منهو،ماهو عمله ،ولماذا قادم الى المنطقة،هل كلام سمعتموه أنتم ؟ اذن ماهو عملي هنا ان لم يكن لحماية المنطقة؟ نظر المفوض الى المعاون وقال بشوق :

-بالله عليك ،الم اقل لك ذلك في السليمانية وطوال طريقنا الى هنا؟الم اقل لو كان للحكومة رجل مخلص في هذه المناطق وتلك الحدود هو خالنا جناب الشيخ ،وان عددا من رجال الشرطة لذين لم يكونوا يجرأون على التكلم خوفا من كبارهم ،ولكنهم فرحها لكونهم جالسين في خدمة الخال شيخ ،كادوا ان يطيروا

من الفرح ، ولكن كان معهم رجل امن وغد كوردي ،يسخر من الكلام الشيخ ويعلم أن ما يظهره الشيخ هو خلاف ما يبطنه وليس كما يظهر نفسه ، ولكنه مرغما ويجب ان يصمت حاليا.بعد تناول العشاء ،طلب الشيخ منهم أن ينزلوا تلك الليلة ضيوفاً عليّة ،وكان هذا الطلب موضع ارتياح لديهم وقالوا: سنقى هذه الليلة في خدمتك كتى نستطيع غدا نتقعد عددا من قرى المنطقة لتتعرف ماهو موجود هنا .. وهكذا غرقوا في الحديث وكان كل واحد يروي شيئا ، وجميعهم قد سرى تاثير المشروب في رؤوسهم ، سوى رجل الامن الذي كان كالا وغاد و الشياطين ينصت الى حديثهم وخرج عدة مرات بحجة الذهاب الى التواليت .

كان بابه رسول نجل الشيخ و ((ملاعلى))الاسم الجديد لشةمال جالسين حول موقد مرضعة بابه رسول العجوز يشربان الشاي ويقعان على قفاهما من شدة الضحك بعد أن كان شةمال يروي له موضوع المرضى الذين زار اليوم عددا منهم وقرأ الادعية على عدد منهم .ضرب شةمال يدا بيد وقال : انظر الى هذه الدفة الغريبة ،رغم أنني قد فرحت فرحا شديدا بأن تحسنت صحة ذلك الطفل وشفاه الله ،ولكنني قرأت اليوم من الأدعية الشىء الكثير حتى ان فمي قد اصابه الاعياء والكلل.

استنشق شةمال نفسا طويلا ، وقال :جلبت الي اليوم امرأة كاسة من الماء افرا عليه وتعطيها لكنتها لتشربها لانها مر على زواجها عام ولم تحبل ولعلها تحبل بعد شرب هذا الماء .قرأت اليوم ادعية واورادا على العجائز من النساء ومرضى الملاريا حتى انني اصببت بالصداع ، واصبحت مثل جحا الذي اجرته زوجته أن يجعل نفسه عالما دينيا اكمل العلوم الاثني عشر مثل جارنا الذي حين تغسل زوجته ملابسه على النبع وتأخذ النساء كلهن جانبا و قلن ،ابتعدن ،

ابتعدن لئلا يقع رذاذ الماء على ملابس الملا .ينبغي أن تجعل نفسك مثله لكي أتباهي أنا ايضا على النبع و أقول:

افسحوا الطريق ،افسحوا الطريق لئلا يقع رذاذ الماء على ملابس الملا .
فلا يبقى بيد الملا حل و تنشر زوجته بان زوجها الملا قد اصبح عالما دينيا مثل من اكلمو العلوم الاثني عشر .

ويصل خبر الى علماء الموصل بأن عالما فذا قد ظهر،فيقوم هؤلاء بتوجيه الدعوة اليه ويقولون فليتنفضل ليزورنا او نذهب لخدمته حت يرينا اسراره وكراماته .وحين يسمع الملا هذا الخبر يرتعب .تيسابد به الخوف ويقول لزوجته : و الان ماذا افعل وكيف اتخلص من هذا المأزق .فاذا وجهوا الى اسئلة كيف ارد عليهم واجيبهم ، ولاعرف ماذا يقولون.

وتقول له زوجتهتوهي تقسم اغلظ الايمان بالقرآن : يجب ان تذهب اليهم حت يأتي الناس لاستقبالك ويكيلو اليك المديح ويذاع صيتك.فيقوم الملا مرغما خائفا مذعورا ويذهب الزيارة علماء الموصل فيأتون لاستقباله ويشيرون ضجة كبيرة ويعلنون في المدينة بأنهم سيجريون كرامات هذا العالم صاحب العلوم الاثني عشر في في يوم الجمعة بعد أداء الصلاة .وفي يوم الجمعة حين ينهي المصلون الصلاة يعرضون الملا على الناس ويرفع لناس اصواتهم بترديد الصلوات ، ثم ينادون الملا ويضعون امامه طاسة مقلوبة ويقولون سيعرف الملا الان ماهو موجود تحت هذه الطاسة.ويقف الناس مبهوتين يخيم عليهم الصمت يمدقون ، ويقف مبهوتا قليلا ويخرج من فعه اصوات مبهمة ويقول تحت شفتيه ((آخ يارودة ، آخ يارودة)) ، وفجأة يرفع الناس اصواتهم بترديد الصلوات ويتقدم العلماء متشوقين ويعانقونه، بينما يهرع اخرون ويقبلون يديه، وهو ذاهل ينظر اليهم ويقول في قلبه ،ماذا،مالذي فعلته؟ويتقدم منه العالم الكبير ويقول : مبروك عليك لانك اصبحت رئيسنا كلنا ويمد يده ليرفع الطاسة وحين ينظرون

اليها ، يشاهدون ان هناك وردة تحتها ،وهذا يعني ان للملا كرامات وانه علم ان ثمة وردة تحت الطاسة المقلوبة ،ولكن في الواقع ،فأن الملا المسكين كان في مأزق ولم يكن يعرف ماذا يقول ، وبسبب القهر الذي لحقته به زوجته يقول ، امام نفسه ((ناخ طولى ،ناخ طولى = اخ ياوردة ،ياوردة)) ،اي أنه يصيح لأن زوجته قد او قعته في هذا المازق .

مسح شةمال عينيه من الدموع لتي اغرورقت عيناه بها بسبب الضحك ،وقال : أنا الاخر حدث لي ماحدث له .وفي نفس اليوم جاءتني امرأة بطاسة مليئة بالماء في المسجد وقالت اريد أن يقرأ هذا الملا الجديد دعاء على هذا الماء لأن حفيدي الصغير (ابن ابني) مريض جدا ،فقرأت دعاء على الماء اضطرارا .ضحك شةمال وقال : لكنها لم ترض بذلك وقالت ينبغي ان تشرب جرعة من هذا الماء حتى يشرب ماتبقى منه ، ورغم انني قلت لها يا أمي ان الطفل مسكين ولايمكن ان يشرب من بقايا فم شخص اخر ،ولكن كان ذلك بدون جدوى ورأيت ما فعله .وضع بابه رسول سيكارة بين شفثيه وقال بابتسامة مشرقة ، من حسن حظك ان الطفل قد تعافى اليوم التالي وبذلك ذاع صيتك ووقع خبزك بالدهن كما يقولون ،وان الدجاج والديكة في طريقها الى الملا ، ماذا تريد اكثر من ذلك ،ولماذا عمك غير منتج لم بعض كثير من الوقت ، حتى عادت مرضعته بابه رسول العجوز الى البيت و اوصدت الباب الصفيحي الصغير باحكام وجاءت اليهما ووجهت الكلام اليهما قائلة بصوت خافت :

-ينام رجال الشرطة في ديوان الشيخ وعددهم يصل الى ىحوالي عشرة اشخاص ،ويقولون انهم قادمون يبحثون عن الهارين والمختفين . ثم وضعت العمه حلیم يدها جانب فمها وقالت هامسة: جاءني حمهصالح وقال يا أمي اخبر ملا علي الا يخرج باي شكل من الاشكال حتى آتي لكم بالجواب .

انزل باب رسول يشماغه وطاقيته من على رأسه واتكأ وقال :

اذن أنا الاخر لن اعود اذ لا اقوى على الترحيب و البسمة الكاذبين المصطنعين معهم. وفي مساء اليوم التالي جاء حمّة صالح ابن العمّة حليم في طلبه وقال : ارجعوا فان سيارتنا الجيب قد تركنا المنطقة واخذ الشاب في التحدث عن المفوض ورجال الشرطة وكيف انهم كانوا يديرون بأبصارهم هنا وهناك ، كما تطرق الى تصرف رجل الامن الوغد وكيف ذهب الى المسجد بحجة الصلاة وتحدث محادعا مع البسطاء والماسكين لاستنطاقهم ، وفي طريق المسجد صادف العمّة ريمال وأخبرها مدعيا بأن أحد أقاربه قد غضب من اهله و هرب وأنه يبحث عنه ويلحقها الاجر ان كانت قد شاهدت شخصا غريبها جاء الى المنطقة. وأن العمّة ريمان دون أن تعرف من هو هذا الرجل اجابته بصفاء القلب وسلامة الطوية، لا، والله لم يأت شخص غريب الى هذه المنطقة في هذه الفترة ،غير ان أحد رجال الدين قد جاءنا حديثا اطال الله في عمره ،انه رجل طيب زمن عباد الله الصالحين وان ادعيته، فديته، ذات تأثير آني وسريع. فيسألها رجل الامن ما اسمه ؟ فتجيبه : ملاعلي .و حين يسألها : أى نوع من الرجال هو، شاب أم كبير في السن ، تغضب العمّة ريمال منه وتقول :والله لن أقول لك ،لماذا أنت كثير الاستئالة بهذا الشكل ؟وهكذا أنتم تعرفون العمّة ريمان أي نوع من النساء هي ،وكانت قد أرسلت الشتائم الى الرجل حتى وصلها الى البيت ،وكانت الرجل قد هرع مسرعا الى ديوان الشيخ وكان يريد من الله ويتمنى أن تعود العمّة ريمان الى حالتها ،وهكذا لم يتجرأ عن الخروج حتى رحلوا وتركوا لقرية.

بوصول (موسوسة التحقيقات الجنائية) التي اصدرتها التحقيقات الجنائية وقراءتها ،تهياً حمّة جزا مع رفاقة الذين كانت اسماؤهم مذكورة في الموسوعة ، أختفوا وتواروا عن واحد الانظار وذهب منهم الى ناحية ، وخاصة حين استخدمت السلطات في السليمانية المباغطة ي الاغارة على بيت واحد او اثنين

من الرفاق المعروفين واعتفلتهم و غيبت اثرهم في الحال .بنتيجة هذه الحوادث ،حدث اختلال في المدينة وخميت الهموم و الاحزان على مخلصي البارتني والاكراد الوطنيين جمعاء . انتشرت الدعايات والاشاعات بانه على اثر صدور هذا الكتاب (الموسوعة)،قامت الحكومة، ليس في مدن كوردستان فقط ،بل في العراق عموما ،باعتقال عدد من السياسيين الكورد و العرب وغيث اثرهم .بعد فترة وعن طريق البعض من ذوي السلطة الذين استنجد بهم ذو الموقفين لعلمهم يعرفون شيئا عن احوال و اوضاع المعتقلين ،انتشرت اخبار بانه قد تم التحقيق مع معظم المعتقلين بعداستخدام شتى صنوف العذيب والحاق الاذى بهم ،ثم نقلوا الى سجن ابو غريب و أدخل القادة المعروفون واحدا واحدافي زنانات انفرادية وينتظرون هناك اليوم لذي يقدمونهم فيه الى المحكمة العرفية.

كان صيت ملا علي ينتشرويشتهر اكثر يوما بعد يوم كأن الله كان يود ان يسبغ عليه نعمته وتصبح اقواله حقيقة. ولكنه في بعض الأحيان كانت افكاره تضطرب ويشعر بالضجروالسام حتى من نفسه ، ويجوم خياله وتفكيره حول أخباره ورفاقه وكانوا يشغلون حيز كبيرا من اهتماماته وهمومه . في كثير من الأحيان ،وعن طريق الصدفة، كان المرضى الذين يأتون بهم ليقرأعليهم الأدعية ،يتماثلون للشفاء ،وعلى هذا الاساس كانت هذه الأدعية تصبح فنونا وكرامات،وأن أدعية (حضرة ملاعلي) قد ادت الى أن يأتوا بالمرضى اليه منقرى المنطقة ليشفيهم ويقرأ الأدعية عليهم وخاصة بعد ان انتشر خبر مفاده بأن كنة العجوز التي لم تكن تنجب ،قد حبلت بعد أدعية ملاعلي .

كان شةمال يضحك من صميم قلبه باةضاعه الجديدة هذه ،مفي احيان اخري كانت الهموم والاحزاب تطغيان عليه وانه كان تمر ثلاثة ايام او اربعة قبل أن تترك تلك الاحزان قلبه.

فمن جهة ، كان ذلك ناجما عن بساطة وسذاجة هؤلاء الذين يأتون اليه ليلتو الأدعية عليهم ، ومن جهة اخرى كان قلبه منقبضا ويحمل هم المناضلين الذين ابتعلتهم المعتقالات ويحمل هم سكان المدن ، ولم تبقى لاي شيء اخر قيمة او معنى لديه سوى انضال ومواصلة الكفاح الاصرار عليه وكان يدفع اكثر ويلجأ الى الاماكن الخالية والمهادنة ويعكف على كتابة القالات الرئيسية والبيانات الحماسية المشجعة.

وفي احيان اخرى حين كان يهدأ ويعود الى حاله ، كانت صورة شوئم تطو على سطح خياله.

كان وةنقوشة قد اصاب شةمال بمزيد من الدوار ، وكان دوما مشدود النظر بالطريق ويصيخ بسمعة الى خبر وجواب من لدن والدته ، اين هي ، لماذا لم تأت وماذا لم تحضر وةنقوشة الى هنا؟ لا بد انهما ستظهران في هذا الاسبوع . ياترى أي حادث اعاقها ! كان شةمال يسلي نفسه ويقول لقد مضى الكثير ولم يبق الا القليل . وفي احيان اخرى ، كان يضرب يدا بيد ويقول : ان كل هذا ناجم عن غياب حمةجزا ، فهو ليس هناك ، والا كيف لم يكونوا يحضرون الى حد الان ، او كيف لم يكن يبعث الي بجواب ، مالذي حل بهم ولماذا تاخروا ، والله وحده يعلم في اية زاوية اختفى بسبب هذه الازواضع الصعبة .

كان شةمال ، حين يجلس على فراشه ليلا يشرع وضع الخطط ويمتلئ قلبه امالا وأماني حول مجيء وةنقوشة ولكنه في احيان اخرى كان يفند خيالاته العذبة ويعتبرها غير معقولة ، ويجاور نفسه قائلا :

- مارأيك في ان اقول للشيخ منذ الان ليهيء لنا مكانا ، لانني احب أن نكون معا لوحدنا ، ولأن بيتهم يعج بالضيوف والقادمين والرائحين .

لا اعتقد أن تكون وةنقوشة قاندرة على العيش هنا . ونظرا لشهامة الشيخ وفضله واخلاصه ولحرصه على سلامتي لربما لن يرضى ان ابتعد عنه واذن لاعيش في دار اخرى .. أنني اعلم أنه لن يسمح بذلك .. اذن ماذا أفعل؟

لم يكن لأمي الحق في ان تتأخر كل هذا التأخر ،لان وةنقوشة ايضا تعتبر من الهاريينواالمختفين .. ماذا أقول، أننا لافلئك التحكم بأمرنا وينبغي أن ننترك كل شيء للظروف و الصدق ،اذ يصادف احيانا ان ننسى حتى حياتنا الخاصة ،وإذا ما تذكرنا ها فاننا نخلج أن نتحدث عنها او نبالي بها .

ونحن حتى لو كانت لنا رغبة خاصة بناييجب أن نصبح مشب قطة حين تحقق النظر في قطعة لحم وتريد لوسنننحتلها فرصة أن تشب فيها محالبها وتحطفها سرا ،وفي مثل هذا الحال ،وحت لو اختطفنا هل مثل القطة ،فان اوضاع وظروف شعبنا المسكين لن تسمح لنا أن نشر بهذا الفرح اي أن نتلذذ بها كما يقولون .

كان قد مضى على وجود شةمال في قرية سيقك مايقارب من ثلاثة اشهر وكان في رعاية وحماية الحال الشيخ ،وكانت الاخبار المزعجة غير السارة تأتيهم يوما ،والتي تفيد كيف أن الحكومة تبحت عن الذرائع والحجج للتحرش بالناس وسلوك الممارسات اللانسانية.

انتشر الاخبار بأن الحكومة تنوي اجراء انتخابات مجلس النواب وانها طلبت من الكورد تسمية ومرشحهم لهذا الانتخابات التي ستكون انتخابات ديمقراطية وصحيحة . فقام الكورد بالاستحضارات ،رغم انهم كانوا يعلمون بأن ذلك انما هو مؤامرة واكاذيب وان الحكومة كأنها معهم لعبة (الختيال) ، وانها ستعمل على فوز المرشحين الذي تطمع هي في فوزهم .ولكن مع ذلك فان البارتي قد اعلن عن تسمية مرشحيه واخذ في اجراء الدعايات الانتخابية لمرشحيه وتمت كتابة اسمائهم في الاماكن العامة عل الجدران في المدينة ،غير ان لم يكن قد بقى سوى اسبوعين على اجراء الانتخابات ، حتى تم اعتقال المرشحين الكورد وارسلوا مقيدي الايدي الى الموصل .

كانت ر دود الافعال عنيفة ،وخاصة مدينة السليمانية حيث اثير سكان المدينة دفعة واحدة واقاموا مظاهرات عارمة ةتعالت هتافاتهم :يعيش ، يسقط

،وصعد الشباب والاطفال والرجال سيارات اللوري المفتوحة كان يدورون في شوارع المدينة مصفقين ومعبرين عن حبههم لمرشحين المعتقلين وكانت سيول الاحتجاج والغضب لاتزال تترى وتزداد . واخير حل يو الانتخابات ، وقام الناس بالأدلاء باصواتهم في مدن وقرى كوردستان وانتخب معظمهم ممثليهم الموثوق بهم في حين كان هؤلاء قد زج بهم في السجون . جلس جميع مساء امام الراديو مع الانجميع كانئا يعرفون ماسون تعلنها لاذاعة الحكومية وكيف انها ستزور الحقائق وتعرض نفسها الى المزيد من الفضح و الخزي والخذلان امام الشعب . اذاعت الاذاعة أنباء لانتخابات متحدثة عن مدن العراق . ومن المعلوم ان المدن العراقية الاخرى كان شانها شأن مدن كوردستان و كانت الحكومة قد مارسلت معها نفس سبل الخداع ز عملت فوز المثليين لذي رشحتهم حسب هواها وليس المرشحين الذي كان سكان المدن يريدونهم قلبيا .

محين جاء دور مدينة السليمانية واصاخ الجميع باسماعهم وشوق زائدين الى الراديو حيث أعلن المذيع ان ممثلي الحكومة هم .

الذين فازوا في منطقة السليمانية وماجاورها . شعر المواطنون بالا حباط وثاروا .. فكانت الابواب تفتح وينطلق الرجال والنساء منها ويندفعون وينهلون بالشتائم على الحكومة وهم يهتفون بسقوطها على مصراعيها ويقدمون قطعاً من الاحطاب الحكومة للشتاء، ويناولونها للناس ،كما ان النساء ايضا وهن يلفن العباءات على اجسادهن يهرعن راكضات نحو باب السراي ،وفي النهاية اصبحت هذة المدينة والشارع الكبير الممتد امام السراي وحواليه كانها قد قام يوم الحشر وثارث السيول السوداء والرمادية ،ومئات من رجال المتظاهرين .وكان المتظاهرون ويهاجمون الشرطة ، فينسحب رجال الشرطة الى داخل السراي وكانوا يهاجمون بعضهم البعض مرة اخرى ، يظهرن كموجتين كبيرتين في بحر متلاطم الامواج ثارث موجاته مرة تتكسر بهذه الجهة ،وبتلك الجهة مرة اخرى .

وبداً اطلاق النار من قبل رجال الشرطة ،لذا اضطر المواطنين الى التفرق والانتشار . وظلت الاوضاع على هذا الحال عدة ايام ، حتى ان الحكومة ارسلت قوات لمحاصرة دور المرشحين الذي كانوا قد نالوا ثقة شعبهم والذين كانوا قد اعتقلوا وزجتبهم في السجن في الموصل .

اصيب المئات بالجروح ووقع اثنان او ثلاثة واطنين شهداء ، حتى أن الجرحى كانوا قد تم نقلهم الى بعض الدور وكان يجري تضييد جروحهم وتداويها خفية وبعيدا عن أنظار الحكومة .

كان شتمال والشيخ ورفاقه الذين جاء عدد منهم لزيارة شتمال ، والآخرين الذين التجأوا في هذه الفترة الى الشيخ في سبتك خوفامن الاعتقال والتعذيب ،كانوجميعا ايديهم على قلوبهم ينتظرون اخبارا عن احداث المدينة بمرص شديد ونفاذ صبر بالغ جدا عن طريق رجل كان الشيخ قد ارسله فورا قبل يومين الى المدينة ليأتي لهم بالأخبار كما أن شتمال قد ارسل مع رسالة الى رفاقة والى بيتهم والى عدة اطراف اخرى ،اذ أنه كان من الممكن الحصول على واحد من هذه الاطراف لعلمهم يرسلون اليهم اخبارا عن تلك الاحداث .بعد ثلاثة ايام من السام والقلق وصل الرجل عند المساء وذهبوا لاستقباله مسرعين وادغلوه الغرفة واحاطوا به ،واخذالرجل يروي لهم دون استراحة وبأنفاس لاهتة تلك الاحداث وماوقع هناك ، وكم شخصا استشهدوا والعدد لكثير من الذين كسرت رؤوسهم وايديهم وارجلهم واختتفوا وهم جرحى وكم شخصا قد اعتقل ،وكيف أن الحكومة قج ارسلت الشرطة وامطروا الشبايبك والابواب واستبد الذعر والخوف بأبناءهم وكيف ان سكان تلك البيوت ظلوا عدة ايام جائعين ولم يجرأ احد من التقرب اليهم خوفا من رجال الشرطة ،الى أن هاجمت نساء المحلة رجال الشرطة بالاحجار ووجدالجيران الفرصة سانحة فأخذوا اليهم الاكل عن طريق السطوح سرا .

كان شةمال والشيخ والآخرين يصغون اليه بأسف وقلق شديدين ويطلقون زفرااتهم دليل على التعبير عن الاستنكار ويكيلون الشتائم الى الحكومة وأز لامها .
لما أكمل الرجل حديث كان على وشك القيام للذهاب واخذ قسط من الراحة والتخلص من التعب ،توقف فجأة وتوجه الى السامعين وضرب يد بيد وهز رأسه بعدم ارتياح قائلا :أن مايدعو للاسف ،ان هؤلاء الشهداء قد استشهدوا لكثرة الدماء التي نزت من جروحهم ،ولو جرى العمل على ابصالحهم الى المستشفى لما ماتوا وضرب الرل مرة اخرى يدا بيد وقال :

-كانوايقولون انه كانت بين الشهداء فتاء وسكان المدينة كلهم متأسفون لها وكانو يتحدثون عنها في كل مكان ويقولون انها كانت جميلة وفاتنة ومليحة الى اقصى حد وبجانب ذلك شجاعة وجسورة غير هيابة.

خفق قلب شةمال وسرت رعشة شملت كل جسمه واصيب بالحمول ودوار الرأس وأوشك أن يسأل ماذا ،ماذا ؟

ماذا يقول هذا الرجل ،فتاة وفتاة ،من كانت تلك الفتاة؟ياترى ؟كلا ، ليست وةنقوشة لوحدها جميلة . غير ان شةمال قد ثقل لسانه وجف فمهم لم يكن قادرا على الكلام .سبقه الشيخ الى الكلام وتوجه بعدم ارتياح بالغ قائلا : هذه المسكينة ،خرب الله بيتهم .لم تعرف من كان هؤلاء الشهداء وهذه الفتاة التي تتحدث عنها ابنة من كانت ؟

توقف الرجل قليلا كان يحاول التذكر ،ثم قال بأسى .كان الشهيديان كلاهما رجلين ومن اهل المدينة،وكانت بينهما هذه الفتاة والتي لم أعرف بشكل كامل انها كانت ابنة من ،كما ان الناس لم يكونو يعرفونها وقالو انها ليست من مدينةالسليمانية وكانت قد قدمت ونزلت ضيفة على أحد معافها وهكذا تذهب هي الاخرى معهم الى المناظاهرة و وفي أول رشقة تصيب طلقة رأسها حيث استشهدت في الحال .

استخدم شةمال كل قوته واندفع ليستطيع ان يسأل الرجل اولم يستطع ان يزور البيت الذي كان قد اوصاه وكتب اليه العنوان . ان هذا الرجل ماذا قال و كيف أنهى الحديث عن هذه الفتاة بكلمتي اشقاف ومدح جمالها التي رواها للجماعة بهذا السهولة ،ولكنه لم يعلم ان كلماته قاتلة واصاب كبد شةمال في الصميم .
رد الرجل على شةمال :وله ياسيدي ،زرت ذلك البيت ثلاث مرات ،كان بابهم موصدا،وحين سألت امراة من جرائهم عن أحوالهم قالت غاضبة :ليس في البيت احد، ماذا تيرد منهم ،لم يكن يتقصهم الا أنت . يبدو ان المراة كانت قدخافت من رجال السوء ،لذا ظهرت هكذا حزينة وغير مرتاحة و غاضبة امام عيني .

كه لاويز

الشهر ٦/١٩٨٩

لندن